
مذكرات روميل
٢
ثعلب الصحراء
دار احياء التراث العربي

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 09 / رمضان / 1444 هـ
الموافق 31 / 03 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائـي



مذكرات رومل

مذكرات رومل

ثعلب الصحراء

الجزء الثاني

منشورات دار احياء التراث العربي - بيروت

الطبعة الاولى
تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٦٨

القسم الرابع

معارك العلمين

الفصل الأول

سباق مع الزمن

رومل يحاول معاودة الهجوم بسرعة :

ساد الهدوء في الجبهة بعد توقف هجومنا المؤقت على العلمين وبعد ان صددنا هجوم العدو المضاد بنجاح ، وقد حاول الطرفان استغلال الفرصة لاعادة تنظيم قواتهم . ومرة ثانية دخلنا في سباق استعداداً للجولة التالية .

وقد توجهت كل مجهودات جيش البانزر الى معاودة الهجوم بأسرع ما يمكن، لأن نجاح هذا الجيش (في فصل الصيف) بث الذعر والهلع في قلوب العدو في لندن وواشنطن ، لذلك فقد كان من الطبيعي ان يبذل الامريكيون والانجليز جهدهم لوقف أي تقدم آخر لجيش البانزر نحو الاسكندرية . ولكن قوافلهم البحرية تستغرق من شهرين الى ثلاثة اشهر لاتمام رحلتها من بريطانيا أو أمريكا حول رأس الرجاء الصالح الى شمال أفريقيا ، ولهذا فقد كان أمامنا أسابيع قليلة قبل وصول الامدادات الضخمة التي لا بد وان تكون قد شحنت بالفعل الى الجيش الثامن بعد سقوط طبرق . وقدرنا وصول الامدادات للجيش الثامن من بريطانيا وأمريكا في حوالي منتصف شهر ايلول . وكان ميزان القوى يميل نحو الأعداء بقوة ، كما أن فرصتنا للقيام بهجوم مضمون النتائج ستصبح مستحيلة ، لذلك عزمت على القيام بالهجوم لاسبق العدو . وكانت هناك أسباب اخرى تضطرني لشن هذا الهجوم بأسرع ما يمكن . ففي كل يوم يقوم البريطانيون بزرع

ألغام إضافية امام جبهتهم . وكنت قد قررت الالتفاف حول موقع العلمين وهذا يتطلب أولا اختراق القطاع الجنوبي من الجبهة البريطانية . لذلك فالصعاب التي ستواجه هذه العملية تتزايد .

وكان الاعتماد الوحيد في خطتنا هذه يقوم على السرعة والمفاجأة، وكان علينا أن نتقدم عبر الخطوط البريطانية للوصول الى الارض المفتوحة خلفها بأسرع ما يمكن لنفرض الامر الواقع على العدو قبل ان يتمكن من اتخاذ أي اجراء مضاد، اما إذا استغرقنا وقتاً طويلاً للتغلب على الدفاعات البريطانية القوية فان عنصر المفاجأة سيزول تماماً ...

هذا بالاضافة الى ان البريطانيين سيتمكنون في وقت قصير من مواجهتنا في العلمين بقوات كبيرة جداً ، وذلك لقرب الشرق الأدنى والهند من الجبهة حيث سيأتون بقوات جديدة من الهند وسوريا والعراق، وسيمكنهم الحصول على العتاد اللازم لها بتفريغ كل المخازن الموجودة في مصر ، واستخدام الشحنات المنتظمة عند وصولها لمصر . وقدرت الموقف فتبين لي أنه في ٢٠ آب سيكون للبريطانيين ٧٠ كتيبة مشاة و ٩٠٠ دبابة وعربة مدرعة وحوالي ٥٥٠ مدفعاً مضاداً للدبابات جاهزاً للعمليات .

وكان الأمر يتطلب مجهودات شاقة في مجال الشئون الادارية إذا أردنا مقارعة الجيش الثامن باستعداداته الضخمة ، ولكننا كنا نعاني أزمة حادة في هذا المجال بالذات فمنذ نهاية تموز ركز السلاح الجوي البريطاني جهده ضد خطوط مواصلاتنا بين الموانيء الافريقية والجبهة وضرب قوافلنا الادارية واغرق صنادلنا الساحلية الواحد تلو الآخر . ولم تطمئن على نفسها أية سفينة ترسو في البردية ومرسي مطروح ، بل وحتى في طبرق نفسها ، من نشاط القاذفات البريطانية . كما ان سلاحنا الجوي كان مشغولا للغاية عن جبهتنا التي كان الطيران البريطاني يزيد من ضغطه عليها تدريجياً ، وبذا لم يستطع سلاحنا الجوي حماية الطريق الساحلي والمياه الساحلية الا بقوة بسيطة . ففي بداية شهر آب أغرق طيران العدو ثلاثة صنادل ساحلية في ميناء البردية في يوم واحد . وكانت المياه الساحلية معرضة أيضاً لنشاط السفن الحربية البريطانية ، نظراً لغياب مدمرات الحراسة الايطالية ، وكانت معظم سفن التموين تضطر للذهاب الى بنغازي أو طبرق مما فرض مجهودات مضنية على امكانيات نقلنا البحري ، وزاد الآمر سوءاً ان طبرق

تعرضت لهجوم قوي من القاذفات البريطانية في ٨ آب وقلت قدرتها بنسبة وصلت الى ٢٠ ٪ بسبب تدمير رصيفها الرئيسي ، وهكذا أصبنا بضربة شديدة .

الامدادات لا تصل الى رومل :

وفي بداية شهر آب كانت الامدادات التي تصلنا لا تكاد تكفي احتياجاتنا اليومية . ولم يكن الاستعداد للهجوم في حيز الامكان ، وكان موقف حملاتنا الميكانيكية بالذات مقلقاً لان حاله الطرق السيئة والاحتياجات المستمرة لخدمة العربات نتج عنها ان ٣٥ ٪ منها كانت تحت الاصلاح . وحيث ان ٨٥ ٪ من حملاتنا كان من العربات البريطانية أو الأمريكية الصنع والتي لم يكن لدينا عدد كاف من قطع الغيار ، فمن السهل ان نقدر الصعوبات التي كانت تواجهها عمليات الاصلاح . كما ان وحدات الفرقة ١٦٤ وفرقة فولجوري للمظلات لم يكن لديها أي عربات خاصة بها وكانت على وشك الوصول ، وبهذا اصبح نقلها عبئاً ثقيلا على حملات التشكيلات الاخرى .

وكان مجهودنا الرئيسي منصباً على سحب كل العربات المأسورة تدريجياً من وحدات النقل ووضع عربات جديدة أو مستصلحة من صناعتنا مكانها . وكان في ايطاليا حوالي ٢٠٠٠ عربة جاهزة للشحن وبعضها ينتظر منذ أكثر من عام ومعها ١٠٠ مدفع من جميع الانواع . ولكن الشحن كان يتم ببطء شديد ، كما كان لدينا ١٠٠٠ عربة أخرى و ١٢٠ دبابة تحت الطلب في ألمانيا .
وكان لدينا ١٧,٠٠٠ مقاتل الماني في جيش البانزر شاركوا في العمليات منذ بداية الحملة الافريقية وكانو يعانون جميعاً من آثار الطقس في إفريقيا بدرجات متفاوتة . وقد حان الوقت لاعادة معظمهم إلى أوروبا بعيداً إذا كنا نرغب في تفادي إنهيارهم صحياً . وبالرغم من أسفي للتخلي عن هؤلاء المحاربين الممتازين فإني اضطررت لطلب سحبهم لأن أغلبهم لم يكن في حالة تسمح باستخدامه بعد ذلك .

ومع كل هذا فإن أسوأ مشاكلنا كانت في الامدادات وترجع إلى ضعف النواحي التنظيمية ، فالاشراف على الشحن عبر البحر المتوسط كان في أيدي القيادة العليا الايطالية التي تعمل ضدنا ، وكان المكتب الالماني الوحيد الذي

يمكنه التأثير عليها تحت إدارة الجنرال فون رينتلين الذي كان ملحقاً عسكرياً لنا في روما لسنين . ولم يتدخل المارشال كسلرينغ أو الادميرال وانجهولد إلا في النواحي الخاصة بحماية القوافل والموانيء جواً وبحراً . كان الشيء الوحيد الذي يمكن لجيش البانزر ان يعمله في هذا الصدد هو القيام بعمل « كشف درجة الاستعجال » أي كشفاً يحدد أهمية العتاد الموجود في إيطاليا وطريقة وصوله بالترتيب حسب هذه الأهمية .

ولم يكن لدينا أي سلطة على هذه الشحنات في موانيء الوصول أو فيما يتعلق بنسبة الشحنات الالمانية للشحنات الايطالية وهي أهم ما في الموصوع ، فالمفروض نظرياً أن تكون النسبة ١ : ١ وفي الواقع فقد ازدادت النسبة الايطالية على حساب النسبة الالمانية . هذا بالاضافة إلى أنه كان يعاد إمداد الوحدات الايطالية في العلمين بسرعة مذهلة وتستبدل عرباتها تباعاً بعربات أخرى جديدة من إيطاليا بينما لم تصل عربة المانية واحدة لجيش البانزر من ايطاليا حتى أول شهر آب .

تدخل السياسة في الحرب :

ومن أسوأ الأمور على الدوام السماح للعوامل السياسية بان تؤثر على الامداد أو على خطط العمليات . ففيما يتعلق بهذا يجب القضاء على أي روح هدامة بدون رحمة ويجب أن تتضافر كل الجهود دون النظر إلى اعتبارات أخرى في تحقيق النصر العسكري .

وقد دافع جيش البانزر عن مصالحه بكل طريقة ممكنة دون ان يحرز أي تقدم يذكر . وفي كل مرة كان الموقف ينتهي بمعركة كلامية ، فعندما إحتججنا على ارسال فرقة بيستويا إلى أفريقيا لفق الايطاليون قصة ، مفادها ان هذه العملية قد تمت باستخدام سفن حديثة الوصول من بحر ايجة . وتبعاً للوضع الراهن كان من المفروض استخدام كل سفينة يمكنهم ان يضعوا أيديهم عليها لخدمة جيش البانزر ليتمكن من الاستمرار في قتاله ضد البريطانيين .

وكان كافاليرو (الذي زار الجبهة من وقت لآخر) يعد كثيراً بإصلاح كل شيء وفي كل مرة يعاود زيارته يقول ضاحكاً أنه خلال مدة خدمته كان يعد

بالكثير ولكنه لا يتمكن من تنفيذ وعوده .

وفي افريقيا كان يجري تفريغ السفن ببطء شديد ، وسادت في هذا المجال الافكار العتيقة وعدم تحمل المسئولية ولم يكن هناك أي روح تميل للابتكار والتجديد .

وهكذا فاننا لم نتمكن ابداً من زيادة إمكانيات التفريغ في طبرق ، فكل ما كانت تستطيع استقباله لم يزد عن ستمائة طن يومياً ، وكانت النتيجة بقاء السفن في الميناء لمدة طويلة معرضة لخطر القصف من القاذفات البريطانية . وقد طالبنا مراراً وتكراراً بزيادة الانشاءات في الميناء وتشييد اماكن لتسهل عملية التفريغ فيها في المناطق المجاورة بمساعدة العمال الايطاليين ، واحضار كميات اكبر من معدات الموانيء (الايطالية الصنع) ودعم الدفاع الجوي عن طبرق ، ولكننا لم نفلح . وقد بنيت آمالاً كباراً على الخط الحديدي الذي كسبناه من البريطانيين الذي كان يمتد من طبرق الى الضبعة ، وافترضت انه سيجري في وقت قصير تنظيم حركة النقل عليه الى الجبهة ، ليخفف من الاعباء الملقاة على عاتق قوافلنا البحرية ، ولكن لم يتم اي شيء ، من هذا ايضاً .

وكما سبق ان قلت ان سبب المشاكل كلها كان منحصراً في التنظيم المعقد والفوضى السائدة للشئون الادارية الايطالية .

وفي اغلب الاحيان كان الجنرال فون رينتلين مرتبطاً بأوامر ديبلوماسية ناجمة عن وظيفته كملحق عسكري تمنعه من بذل جهده لخدمة مطالبنا بطريقة فعالة . ومن العوامل التي سببت المشاكل العديدة العلاقات السياسية بين المانيا وايطاليا ، التي منعتنا من لفت نظر القيادة الايطالية بصراحة ووضوح لما يفعلونه ومطالبتهم باصلاح هذه الفوضى . وكان الافضل ان نوضح الامور في مناقشة مفتوحة وهو شيء يتلائم مع طبيعة التحالف الحقيقي اكثر من ذلك النفاق المستمر ، لاننا حافظنا على المظاهر الخارجية فقط وادعينا دائماً ان كل شيء على ما يرام بينما كنا نخسر في الميدان خسائر فادحة . وقد قيدت موقف الحكومة الالمانية حرية فون رينتلين في العمل لأن رتبته لم تكن عالية لدرجة تكفي للسماح له بالاحتجاج في مثل هذه المجالات المتعلقة بالسياسة العليا للحلف .

وكانت نتائج هذه العيوب كلها وخيمة للغاية ، فالتشكيلات الألمانية التابعة لجيش البانزر استهلكت ، في الفترة بين اول أول آب حتى ٢٠ منه ، ضعف

الامدادات التي وصلتها في هذه الفترة عبر البحر الابيض المتوسط ، فنجم عن هذا بالطبع إنخفاض مخزوننا الضئيل اصلا. وفي نهاية هذه الفترة كانت القوات الالمانية تعاني نقصاً في مرتباتها يصل الى ١٦٠٠٠ فرد و ٢١٠ دبابة و ١٧٥ حمالة جنودمدرعةوسيارة مدرعة و ١٥٠٠ عربة اخرى ، ولولا المستودعات البريطانيه الضخمة التي غنمناها في المنطقة الشرقية من برقة والقسم الغربي من مصر لما تمكنا من الاستمرار في القتال على الاطلاق .

تأجيل الهجوم لحين وصول الوقود والذخيرة

وفي شهر آب كان الواجب يقضي ببذل كل مجهود ممكن لتجهيز كل ما يلزم لعملياتنا من وقود وذخيرة في أفريقيا . وقد نوهت من قبل أن هذا لم يحدث ، يضاف اليه أن اعادة تنظيم وامداد تشكيلاتي الألمانية لم تكن جيدة وبالرغم من المخصصات الايطالية الكبيرة في الامداد والتموين لوحدات المشاة التابعة للفيلق العشرين الايطالي المحمل والتي كانت ستقوم بدور أساسي في الهجوم كانت تفتقر لنصف عدد عرباتها وبذا فلم تكن محملة بالفعل الا بأربع كتائب من عشر . أما الدبابات (فكان مجموعها حوالي ٢٢٠ دبابة) وكان اكثر من نصفها في حالة سيئة بحيث كانت تتعطل بعد تحركها لمسافة قصيرة جداً ، وذلك بسبب محركها المستهلك وسائقيها غير المدربين .

أما في الجانب البريطاني فقد قدرنا ان تصل الى ميناء السويس في بداية شهر ايلول قافلة كبيرة تزيد حمولتها عن مائة الف طن بكل ما يمكن تصوره من أحدث الاسلحة والعتاد الحربي للجيش الثامن . لذلك كان جيش البانزر مصراً على شن هجومه قبل هذا التاريخ . ولكن بسبب النقص في الامدادات بشكل عام فقد اقتصرت الخطة على توجيه ضربة قوية للجيش الثامن في خط العلمين ، ثم الاستيلاء على الاراضي المحيطة بالاسكندرية والقاهرة . ولكننا اضطررنا لتأجيل موعد الهجوم عدة مرات حتى تصل دفعات كبيرة من الوقود والذخيرة.

وضغط الجيش بكل ما لديه من وسائل الشئون الادارية لتوفر له متطلبات عملياته الهجومية في الوقت المحدد . ولكن لم يتم له أي شيء بالرغم من عدم استحالتها ، واغلب الظن ان القوم في روما كانوا يعتبرون النصر في أفريقيا

أصبح مضموناً . ومع هذا ففي نهاية آب أخطرني كافاليرو بأن ناقلات البترول قد أرسلت بالفعل لتوصيل حاجاتنا في الوقت المحدد للهجوم . وقـــال أنه لو أغرقت هذه الناقلات فهناك سفن أخرى ستبحر على الفور تحت حراسة قوية . ووعدني كسلرينج بأنه في حالة أية طوارىء ستقوم أسرابه (من الناقـــلات) باحضار خمسمائة طن من البترول بطريق الجو يومياً لجيش البانزر. وقال كافاليرو أنه سيستخدم الغواصات والسفن الحربية لنقل أهم المستلزمات .

٢٤ آب ١٩٤٢

عزيزتي لو

لم أتمكن من الكتابة بالأمس . ولكني الآن في وضع يسمح لي بالقيام بذلك أحياناً ولكني لا أزال مضطراً للذهاب لألمانيا للعلاج لمدة ستة أسابيع . ويجب قياس ضغط دمي بطريقة سليمة مرة أخرى. وقد بلغني ان أحد أطباء الفوهرر في طريقه الينا ولكني لن أسلم قيادتي هنا لنائبي إلا بعد أن أتأكد أن كل شيء على ما يرام . ولا أعرف بعد من سيتسلم مني القيادة . وسيفحصني الأطباء اليوم مرة أخرى . وأظن أنه قد يريحك أن تعلمي أنه من الممكن شفائي تماماً .

مرض روما

« من الملازم الفريد اينجمار برندت إلى السيدة روما »

مصر في ٢٦ آب ١٩٤٢

عزيزتي السيدة روما .

ستدهشين بدون شك لسماعك عني من إفريقيا ... وسبب رسالتي هـــذه اعلامك عن حالة المارشال الصحية . لقد بقي زوجك في إفريقيا لمدة تسعة عشر شهراً أي أكثر مما بقى أي ضابط آخر ، كما ان سنه يزيد عن الاربعين حتى هــذه اللحظة ونظراً لما يقوله الأطباء فإن هذا حدث جسماني مذهــل ، وبعد مشاق التقدم اضطر لتحمل المسئولية المضنية لخط العلمين وكان قلقه عليه قـــد تسبب في حرمانه من الراحة عدة ليال طويلة ، ويضاف إلى هذا أن الموسم الرديء قد حل مرة أخرى .

وكل هذا بطبيعة الحال قد أثر عليه وبالإضافة إلى عوارض نزلة برد شديدة

وسوء الهضم السائد في افريقيا ، فقد ظهرت علامات الارهاق عليه أخيراً مما أقلق جميع من شعروا بهذا . وفي الحقيقة أنه لا توجد أية خطورة مباشرة ولكنه إذا لم يخلد إلى الراحة لفترة فإنه قد ينهار بسبب الضغط الزائد مما يؤدي الى تأثره جسمانياً على الدوام .

والطبيب الذي يشرف على علاجه هو الدكتور الاستاذ هورستر من جامعة ويرزبورج وهو من اشهر الاطباء الباطنيين في ألمانيا ، وهو على الدوام بجانبه للنصح والارشاد ولمراقبة حالته الصحية . وقد أخطر الفوهرر وتم الاتفاق على اعطاء المارشال اجازة مرضية طويلة في اوروبا بعد الانتهاء من تقدير الموقف ومستقبل العمليات في افريقيا . وحتى هذا الحين سنبذل كل ما بوسعنا لنسهل له الامور ونقنعه بمراعاة نفسه . وقد اقمت مطبخاً صغيراً وحصلت على طاه ممتاز . والطعام الطازج والخضروات تصل يومياً بطريق الجو . ونحن نصيد السمك والطيور ونحصل على الدجاج والبيض .. بغرض المحافظة على قواه .

ويجب ان الفت نظرك يا سيدتي حتى لا تسيئي فهم هذه الرسالة . انه قد وصل تقرير طبي مطول للقيادة العليا للقوات المسلحة وأعرف بالتجربة أن هذا سيؤدي لفتح الابواب كلها لكل انواع الاشاعات عن صحة المارشال لان مثل هذه المواضيع تنتشر بسرعة . وعليه فقد أردت ان اعلمك بالحقيقة قبل ان تقلقي للاشاعات غير العالمة ببواطن الامور . ولا يوجد ما يستدعي القلق . فكل ما يحتاجه هو فترة راحة طويلة في اوروبا وهذا شيء تم ترتيبه بالفعل .

سيدتي أرجو ألا تقلقي . اما عن سلامته الشخصية فأنا سأقوم في حاله أي عمليات اخرى بعمل كل ما بوسعي لتأمينه لأن كل واحدمنا من ضباط وجنود لا يتردد في التضحية بحياته من أجل المارشال .

(انتهى خطاب برندت)

الفصل الثاني

الفرصة الوحيدة : علم حلفا

١ – البريطانيون يدافعون بشدة :

وفي ليلة ٣١/٣٠ آب تحركت المشاة مع المجموعة التابعة لجيش البانزر للهجوم على المواقع الجنوبية من الجبهة البريطانية في العلمين .

وبعد ان اجتازت قواتنا الحد الشرقي لحقول الغامنا ارتطمت بحاجز قوي من الالغام البريطانية ، ولم نكن نعلم بوجوده وكان البريطانيون يدافعون عنه ببسالة ، ولكن المهندسين والمشاة استطاعا تحت حماية مدفعيتنا فتح ممرات خلال الحاجز البريطاني . وقد استغرق ذلك وقتاً طويلا وكلفنا ثمناً فادحاً من الخسارة في الارواح ، وقد اضطررنا لاعادة المحاولة ثلاث مرات . وكانت حقول الالغام تحتوي على عدد خيالي من الالغام وذات عمق كبير تحميها الاشراك الخداعية . وقد بدأت طائرات العدو في ضربنا باستمرار موجهة جهدها الى المنطقة التي تسير فيها قواتنا المهاجمة .

وقضت هيئة اركان حرب الجيش الليل على التلفون ،حيث كانت تنهال عليها التقارير في سيل لا ينقطع . وبالرغم من ذلك فقد بقي الموقف غامضاً بالرغم من أنه توضح لنا ان الأمور لا تسير وفقاً للخطة المرسومة . وقد دافع البريطانيون عن تحصيناتهم القوية بعناد غريب فعطلوا تقدمنا ، مما أتاح للعدو في المناطق المهددة الفرصة لإرسال اشارات الانذار ، وتقارير الموقف الى الرئاسة البريطانية ومكنتهم من اتخاذ الاجراءات المضادة اللازمة . وكانت هذه الفرصة ذات قيمة عظمى للعدو لأن كل ما كان بحاجة اليه هو الاحتفاظ بخطوطه حتى تتمكن

قواته الميكانيكية من احتلال موقع يمكن بواسطته القيام بالعمليات المضادة للقوات الالمانية الايطالية التي اخترقت الجبهة .

ووصلت انباء تفيد بأن الجنرال فون بسمارك قائد الفرقة ٢١ بانزر قد قتل إثر انفجار لغم ، وان الجنرال نهرينج قائد فيلق أفريقيا قد اصيب هو الاخر ، وبذلك لم تتحقق خطتي بتقدم قواتي المحملة ثلاثين ميلا في ضوء القمر وتندفع شمالا عند الفجر ، لان قوة الهجوم توقفت مدة اكثر من اللازم بسبب حقول الالغام القوية التي لم نكن نعلم بوجودها ، وبذلك فقدنا عنصر المفاجأة الذي كان أساسياً لانجاح الخطة بأكملها . وتبعاً لتلك النتائج أخذ يتنازعني عاملان : فإما أن نستمر في الهجوم أو نتوقف عنه ، ورحت اقدر الموقف فوجدت أننا فقدنا السبق الزمني الذي اعتمدنا عليه باعتبار البريطانيون سيحتاجون لشيء من الوقت ليتخذوا اجراءاتهم المضادة ، بحال نجاحنا في الاختراق السريع في الجنوب ، ولكن العدو الآن يعرف مكاننا بالضبط ، فقررت اعتماد قراري النهائي على موقف فيلق افريقيا .

وبعدها بقليل علمت ان فيلق افريقيا قد تغلب على حزام الالغام البريطاني بفضل القيادة البارعة لرئيس أركانه بايرلاين ، وانه سيتقدم نحو الشرق على الفور . وناقشت الموقف مع بايرلاين وقررنا الاستمرار في الهجوم .

وكانت المدرعات البريطانية مجتمعة للقيام بعمل فوري ولم يعد في استطاعتنا القيام بالتفاف واسع نحو الشرق لان جوانبنا ستصبح مهددة باستمرار من الفرقة السابعة المدرعة في الجنوب والفرقتين الاولى والعاشرة المدرعتين في الشمال فاضطررنا للتحول نحو الشمال في منطقة اقرب .

وحددنا اهدافنا بعد هذا بالتبة ١٣٢ لفيلق أفريقيا وعلى بيوت علم حلفا للفيلق العشرين الايطالي . وتبعاً لاستكشافنا الجوي فان هذه التباب كانت محصنة بقوة فتحتلها (كما علمنا فيما بعد) الفرقة ٤٤ مشاة البريطانية التي وصلت حديثاً من بريطانيا .

ومن خلال تجاربنا السابقة في هذا المضمار علمنا ان المعركة عند تبة علم حلفا (هي مفتاح العلمين) ستكون معركة ضارية ، فطلبنا من الفيلد مارشال كسلرينج تركيز هجوم جوي شديد عليها في الايام القليلة القادمة .

وبعد ان تزود فيلق افريقيا بالوقود استأنف تقدمه وبدأ هجومه بسرعة

في بداية الأمر بالرغم من هبوب عاصفة رملية عنيفة ومعه فرقة ليتوريو الإيطالية المدرعة .

الطائرات البريطانية تكبد روممل خسائر كبيرة :

واستمرت العواصف الرملية في الهبوب في فترات متقطعة طيلة النهار ، مما ارهق الرجال ارهاقاً بالغاً ولكنهـا في الوقت نفسه منعت الطائرات البريطانية من القيام بهجمات عنيفة على قواتي . ونظراً لوعورة الطريق فقد بدأ البترول في التناقص بشكل خطير فأوقفنا الهجوم على التبة ١٣٢ . وكان الفيلق العشرون الإيطالي لا يزال متخلفاً بمسافة شاسعة ولكن الفرقة ٩٠ الخفيفة وصلت لهدفها المحدد وقامت كتائب الإستطلاع بالحماية نحو الشرق والجنوب الشرقي .

وبعد هبوط الظلام تعرضت قواتنا لهجمات شديدة من الطائرات البريطانية التي تركزت بشكل عنيف على مجموعة الاستطلاع ، وبطريقة أقـــل عنفاً على الوحدات الأخرى . وكانت الطائرات تحلق في دوائر ثم تلقي بسيل لا ينقطع من المشاعل المضيئـــة ، بينما تقوم الطائرات الأخرى بقصف العربات ، وتوقف كل تحرك بسبب هجوم الطائرات من ارتفاع منخفض . وبعد مدة وجيزة كان عددٌ كبيرٌ من عرباتنا يشتعل ويحترق وتكبدت مجموعـــة الاستطلاع خسائر كبيرة ...

وفي هذه الأثناء لم تكن شحنة من البترول المنتظرة قـد وصلت لإفريقيا ، يضاف إلى ذلك تهديد قوافل إمدادنا بواسطة المدرعات البريطانية عبر الممرات المفتوحة في حقول ألغام العدو . لذلك اضطررت للتخلي عن أية محاولة للقيـام بعمليات رئيسية في الوقت الحالي ، وأقصى ما كان يمكننا أن نسمح به لأنفسنا هو عدة هجمات محلية ذات أغراض محدودة .

وقام فيلق إفريقيا تبعاً لهذا القرار بالهجوم في صباح أول ايلول بالفرقة ١٥ بانزر فقط ، وبعد أن دمرنا عدداً من الدبابات البريطانية الثقيـــلة نجحت القوة الرئيسية في الوصول إلى المنطقة الواقعة في الجنوب مباشرة من التبة ١٣٢ حيث اضطرت بسبب قرب نفاد الوقود أن توقف هذا التقدم المحلي .

واستمر الهجوم على فيلق إفريقيا طيلة اليوم بشدة من الطائرات البريطانية

والحقت بنا خسائر فادحة بسبب ان الأرض كانت مكشوفة ولم نتمكن من اللجوء إلى أماكن تحمينا وفي الصباح التالي توجهت إلى المنطقة التي يحتلها فيلق إفريقيا . وفي الفترة ما بين الساعة العاشرة والثانية تعرضنا لهجمات لا تقل عن ست مرات من الطائرات البريطانية . وكانت القاذفات والمقاتلات تعاود الهجوم المرة تلو الأخرى . فالحقت بقواتي خسائر فادحة ، واحترقت أعداد كبيرة من العربات في أماكنها في الصحراء .

وعند العصر نقلت مركز قيادتي ، ونظراً للموقف الإداري السيء بدأت في التفكير بوقف الهجوم مرة أخرى .

وتتابعت هجمات القاذفات البريطانية طوال اليوم كما أطلقت المدفعية البريطانية كمية هائلة من الذخيرة ، فكانت تضربنا بحوالي عشرة قذائف مقابل قذيفة واحدة من جانبنا .

ولم تصل حتى ذلك الوقت نقطة واحدة من البترول الذي وعدنا به . وفي المساء كان لدى جيش البانزر كمية قليلة من البترول تعادل « صرفية واحدة من البترول » ، وهذه الكمية مهما اقتصدنا فلن تكفينا إلا لوقت قصير جداً .

ويقول ليدل هارت :

« صرفية البترول تعادل ما يكفي الوحدات للسير مائة كيلومتر في طريق جيد أي على أرض ليست وعرة .

وكان من المفروض وصول الخمسة آلاف طن في اليوم الثالث من ايلول ولكن العدو اغرق منها ألفين وستمائة طن وبقي حوالي ١٥٠٠ طن في إيطاليا لم تشحن بعد » .

القائد الحذر مونتغمري

وقررت ان أوقف الهجوم وان ننسحب على مراحل إلى الخط الممتد بين جبل الطاقة وباب الفطارة ، نتيجة للموقف الجوي الخطير وإمداداتنا المريعة ، وأضحى هجومنا لا يواجه أي احتمال للنجاح لعدم وجود البترول والمظلة الجوية من ناحية ، ولأن المعركة بلغت موقفاً لم يعد يقرره الا التفوق المادي وحده من ناحية أخرى — ولو أن الهجوم على الهضبة المحيطة بالتبة ١٣٢ استمر لأدى إلى

معركة تحطيم تدريجي لإمكانياتنا .

وقام العدو في هـذه الأثناء بحشد قوات مدرعة ضخمة بين علم حلفا وباب القطارة ، ثم ثبتوا في مناطق تجمعهم ، وتلا ذلك بعض الهجمات المحليـة والتي صددناها بسهولة . وقـد ترك القائد البريطاني الجديد الجنرال مونتغمرى الأثر بأنه رجل حذر للغاية وغير مستعد للقيام بأية مخاطرات .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« لقد قرر مونتغمري إتخاذ الاستعدادات الضرورية لضربـة مضادة قوية ولكن بعد إعداد القوات لمطاردة كبيرة . ولكنه ما لبث ان قرر إعادةتكوين الخط وأن « يستمر في الاستعداد المنظم لهجوم كبير في مرحلة قادمة » وتبعـاً لهذا توقف ، ومنع أية محاولة لقطع خط الرجعة على رومل » .

ويتابع روميل مذكراته :

وعند المساء اجتمعنا بالفيلد مارشال كسلرينج وافهمته بالتفصيل أثر الهجمات الجوية البريطانية وخاصة في طريقة « الضرب المساحي » في الامكنة المليئـة بالدبابات والمدافع والعربات ، فوعد ببذل كل ما بوسعه لمساعدتنا .

ولكن في هذه الليلة (٣/٢ ايلول) تعرض فيلـق أفريقيا وجزء من الفرق الإيطالية المدرعة والفرقـة ٩٠ الخفيفة مرة ثانية لضرب مستمر من الطائرات البريطانية ، واستمرت المشاعل تضيء الصحراء كلها . وكانت القنابل المحرقة التي لا يمكن اطفاؤها منتشرة في كل مكان فساعدت على إضاءة ما حولها . وفي هذه الأثناء كانت كميات كبيرة من القنابل الشديدة الانفجار وحتى بعض الألغام الأرضية تنهال على المنطقة التي تحتلها قواتي . وتمكنت الطائرات البريطانية من تحديد أماكن كثيرة من المدافع المضادة للطائرات من عيار ٨٨ مم .

النيوزيلنديون يذبحون الاسرى والجرحى :

استمر انسحابنا حسب الخطة ، ولم يقم البريطانيون إلا بهجمات منعزلة ، وفيما عدا ذلك تركوا للطيران والمدفعية القيام بالقضاء على قواتنا . وطلبنـا من كسلرينج ارسال كل طـائرة يمكن العثور عليها لضرب القوات البريطانية إلى

الشمال من المنطقة ، حيث كان يبـــدو أنهم يفكرون في شن هجوم علينا من الجنب .

وفي هذه الليلة لم يقم الطيران البريطاني إلا بهجمات محدودة فقامت طائراتنا بمهاجمة الفرقة الهندية التي كانت تستعد للهجوم على فرقة بريسكيا ولواء الرامكة فبعثرت تنظيماتها ، وقد ركزت كل الهجمات على الطرق التي كانت على أجنابنـا وخاصة الفرقة النيوزيلندية الـــتي كانت أضعف من أن تتمكن من التغلغل في جبهتنا وأمكننا صدها بسهولة .

أما الهجوم الليلي الآخر الذي قام به الفيلق العاشر الإيطـــالي فقد كلف البريطانيين خسائر فادحة شملت عدداً كبيراً من القتلى ، وتم أسر مائتي بريطاني من بينهم العميد كليفتون قائد اللواء السادس النيوزيلندي . وقد تحدثت الى العميد كليفتون الذي قال لي أنه خجل لإضطراره للاعتراف بأنه أسر بواسطة الإيطاليين فقد كان يتناقش معهم ليحثهم على الاستسلام بتهديده بوجود مدرعات بريطانية قوية محشودة أمام موقعهم وكانوا قد بدأوا بالفعل في نزع المؤن من بنادقهم عندما وصل لسوء حظه ضابط ألماني وهدم كل ما بناه . وكان يبدو غاضباً لهذا الحادث ، وقد ذكرت له بعض المخالفات للقانون الدولي كان النيوزيلنديون قد ارتكبوها. فقد حدث في عدة حالات ان ذبحت هذه الفرقـــة بالذات الأسرى والجرحى . وقال ان هذا يرجع في الغالب للعدد الكبير من الماوزر الذين تضمهم الفرقة .

٤ ايلول ١٩٤٢

عزيزتي لو

لقد مرت بي أيام عصيبة للغاية . وقد اضطررنا لوقف الهجوم لأسباب ادارية منها تفوق العدو الجوي ، بالرغم من ان النصر فيما عدا هذا كان في جانبنا ، وقد ذهبت للقيادة لفترة وجيزة لأول مرة هذا اليوم بـل وخلعت حذائي وغسلت قدمي . وأنا ما أزال آمل في استعادة السيطرة على الموقف . أطيب تمنياتي لك ولمانفريد .

ملحوظة : قتل بسمارك — وجرح نهرينج .

ولم يظهر البريطانيون رغبتهم في حسم الموقف بالاستمرار في القـتال ، ولم يكن هناك من سبب لأن يفعلوا ذلك لأن الوقت كان في صالحهم . وقد اعترف بعض الاسرى خلال هذا الهجوم أن القيادة البريطانية كانت تعلم بقرارنا للهجوم

في حوالى ٢٥ آب . وقد صرح بعض الأسرى أن القيادة البريطانية قد علمت بخطتنا للهجوم على المنطقة الجنوبية للجبهة بالتفصيل من ضابط ايطالي كبير .

وفي صباح يوم ٦ أيلول أنهينا انسحابنا ولجأت قواتي للدفاع مستخدمة المواقع البريطانية القوية التي استولينا عليها . وبفشل هذا الهجوم ضاعت علينا آخر فرصة للوصول الى قناة السويس . وكنا نتوقع بعد هذا أن كل الإمكانيات الصناعية في بريطانيا وإمكانيات الولايات المتحدة الصناعية الضخمة ستدعم من موقف العدو وسيؤدي هذا كله إلى تحول الموقف ضدنا .

اسباب فشل هجوم رومل :

أما الأسباب التي أدت الى فشل هجومنا فهي :

أولاً — كانت المواقع البريطانية في الجنوب قوية للغاية بعكس التقارير الواردة الينا من فرق الاستطلاع .

ثانياً — أدت الهجمات الجوية المستمرة للطائرات البريطانية إلى السيطرة سيطرة تامة على الجو ، وبذلك توقف جيشي وامتنع عن التحرك بسهولة أو القيام بأي تقدم بناء على الجداول الزمنية الموضوعة .

ثالثاً — لم يصل البترول الذي كان ضرورة أساسية لنجاح خطتنا فقد أغرقت بعض السفن التي وعدنا بها كافاليرو كما تعطل البعض الآخر . ويضاف إلى هذا أن كسلرينج لسوء الحظ لم يتمكن من تنفيذ وعده بإرسال خمسمائة طن يومياً للجبهة عن طريق الجو في حالة الطوارىء .

« ويقول الجنرال ويستفال في كتابه أن كسلرينج أرسل هذه الكمية بالفعل ولكنها استهلكت في الطريق الى الجبهة » .

وكانت خسائرنا باهظة وأغلبها بسبب القصف الجوي من الطائرات البريطانية .

وقد تعلمنا درسا هاماً أثناء هذه العملية . هذا الدرس الذي كان سيؤثر في كل الخطط التالية بل وفي إدارتنا للحروب في المستقبل ، وهذا الدرس هو ان أي عمليات أرضية استراتيجية وتكتيكية ستقيد للغاية لو استطاع العدو أن يسيطر على الجو بقوة كبيرة حيث يتمكن من الإغارة بحشود من الطائرات الثقيلة التي لا يهمه أمر خسارتها .

وهذه المعركة التي عرفت بين الجنود باسم « سباق الأيام الستة » لأنهـــا أستمرت ستة أيام منذ بدء هجومنا حتى أنسحبنا إلى مواقعنا الجديدة .

وكما لاحظنا فالقوات البرية البريطانية لم تظهر إلا أثناء هذا الهجوم ، ولم يحاول مونتغمري القيام بأي هجمات كبيرة لاستعادة الجزء الجنوبي من خطوطه وكان سيفشل لو حاول مثل هذه العملية لذلك أعتمد على مدفعيتـــه القوية وطيرانه المميت .

ويضاف إلى ذلك أن خطوط مواصلاتنا تعرضت لغارات مستمرة من الفرقة السابعة المدرعة . ولا شك في أن إدارة القائد البريطاني للمعركة كانت بارعة ومنسجمة مع الموقف لأنها مكنته من انزال خسائر فادحـــة بقواتنا بالنسبة للخسائر التي لحقت بجيشه مع الاحتفاظ بقوته الضاربة سليمة في نفس الوقت .

السيطرة الجوية واهميتها في حرب الصحراء

وعلى كل حال فهناك نقطتان بارزتان .

١ – التأثير الحاسم للنشاط الجوي الواسع النطاق على تحركات القـــوات المحملة وأخطر النتـــائج كانت في الخسائر الجسيمة التي سببها الضرب الجوي لوحداتنا .

٢ – محاولة البريطانيين تأمين السيطرة الجوية واستغلالها تماماً .

ولم نكن نشك في أن الزيادة في القوى البريطانية نتيجة لوصول قافـــلة حمولتها مائة ألف طن إلى السويس ستدعم أيضاً من موقف الطيران ، ومن هذا أستنتجنا أن العدو سيستخدم ضدنا في المعركة القادمة عدداً من الطائرات أكبر من الذي أستخدمه في المعركة السابقة .

بناء لما تقدم فقد كان علينا أن نتوقع النتائج التالية :

سيخوض العدو معركة التدمير المادي (التعرية) بقواته الجوية ، وستكون النتيجة فعالة ضد القوات المحملة في الصحراء المكشوفة وستكون أهدافاً واضحة للقاذفات والطائرات التي تحلق على أرتفاع منخفض . وسيكون موقف العـــدو قوياً مما يسمح له بضرب قواتنا بشدة دون ان يستهلك أي جزء يذكر من قوته .

ومن ناحية القيادة فان العدو سيتمتع بالمزايا الآتية :

١ – ستحصل قيادة العدو بسبب سيطرتها الجوية على تقارير أستطلاع كاملة بصورة مستمرة .

٢ – سيتمكن العدو من العمل بحرية وبجرأة أكبر لانه يستطيع لو حدثت أية تطورات من جانبنا ان يعطلها لحين اتخاذ الاجراءات المضادة اللازمة .

٣ – وكقاعدة عامة فأي تعطيل لسرعة العمليات في أي جانب يؤدي آلياً إلى زيادة السرعة في الجانب الآخر . وبما أن السرعة هي من أهم العوامل في الحرب الميكانيكية فمن السهل استنتاج أثر هذا على العمليات .

يضاف إلى ذلك أن الفريق الذي يتمتع بالتفوق الجوي يستطيع أن يلحق بالعدو خسائر فادحة كما يستطيع أن يراقب الطرق المؤدية للجبهة باستمرار مما يؤدي إلى توقف كل حركة عليها أثناء النهار ويجبر عدوه على السير ليلاً فقط وبهذا يؤدي إلى إضاعة وقت ثمين .

ولكن سيل الإمدادات المستمر ضروري وبدونها يجمد الجيش في أماكنه ولا يستطيع القيام بأية عمليات .

وكل هذا زودنا بمبادىء منطقية ، فالذي نحتاجه هو المساواة أو ما يقاربها في الجو وهذا كان يتطلب دعماً من كسلرينج وخاصة في الطائرات المطاردة والطائرات المقاتلة وأهم منها إضافة عدد من أسراب القاذفات الثقيلة .

ولو حدث توازن للقوى في الجو لأدى إلى إمكان تطبيق القواعد الأصلية للحرب مرة أخرى بالرغم من وجود قيود تكتيكية معينة على تحركات الطرفين مفروضة عليها بسبب نشاط العدو الجوي الكبير .

ان أي قائد يضطر للقتال ولو بأحدث الأسلحة ضد عدو يسيطر على الجو ، يكون كالمقاتل الهمجي ضد قوات أوروبية حديثة وتحت الظروف نفسها وبنفس فرص النجاح .

وحيث أنه لم يكن هناك أمل يرجى في بعث التدعيمات الجوية بسبب انشغال السلاح الجوي الألماني في جبهات أخرى ، فلن نتساوى حتى في القوة مع البريطانيين . وكان يجب أن نضع في حسابنا احتمال حصول السلاح الجوي البريطاني على السيادة الجوية الكاملة بعد وقت قصير .

وبناء عليه فقد كان علينا أن نضع خطة يكون دفاعنا فيها ضد الهجوم

البريطاني المنتظر لا يتأثر من ناحية السيادة الجوية البريطانية إلا بأقل تأثير ممكن ، لأن أول وأهم خطر يهددنا الآن هو الخطر الجوي ، ولم يعد بمقدورنا أن هذه القوات ستكون معرضة للقصف الجوي . وكان علينا مواجهة العدو في مواقع مبنية بحيث يمكنها مواجهة أحدث أسلحة الحرب . وأذعنا بأن العدو باستخدامه لقوته الجوية سيتمكن من تعطيل عملياتنا أينما أراد في النهار أو في الليل وذلك باستخدام المشاعل المضيئة . وقد تعلمنا من تجاربنا السابقة أن أي نوع من الجداول الزمنية ما هو إلا ورق لا قيمة له . وهذا أدى أنه لا بد من إنشاء مواقع على جانب كبير من القوة بحيث تتمكن من الثبات بإمكانياتها المحلية وحدها لوقت طويل دون أي معاونة من قواتنا الاحتياطية لحين وصول النجدات مهما عطلها الطيران البريطاني .

الفصل الثالث

معركة العلمين

بعد فشل هجومنا ضد خط العلمين البريطاني بدأت مرحـــلة جديدة انتهت بانهيار جبهتنا في شمال إفريقيا . فقد دارت في الفترة مـــا بين ٦ أيلول و٢٣ تشرين اول معركة الإمدادات بعنف متزايد . وفي نهاية الأمر خسرنا هـــذه المعركة ويمكن بالطبع تصور شعورنا بعد فشل الهجوم. فسفن التموين التي وعد كافاليرو بأن تصلنا في الوقت المناسب لهجومنا لم تصل في الواقع إلى افريقيا إلا في يوم ٨ أيلول وفي هذه الأثنـاء كان الموقف الاداري قد بلغ حـــد الأزمة والكميات التي وصلتنا لم تكن كما اتفقنا .

ونظراً لزيادة النشاط الجوي البريطاني، ونشاط الاسطول البريطاني في البحر الأبيض فالصعاب قد تزايدت إلى حد كبير ، لأن طائرات العدو كانت تهاجم باستمرار موانئنا وتدمر منشئاتنا الإدارية الواحدة تـلو الأخرى . وكنا نخـــر السفن باستمرار ، وقلت تبعاً لهذا أعداد السفن التي كان الايطاليون يخصصونها للرحلة إلى إفريقيا . وكان بناء السفن الجديدة بطيئاً للغاية بدرجة تدعو للرثاء، إذا قارناها بالمليون ونصف طن التي خسرتهـا إيطاليا حتى بداية تشرين الأول وكانت الخسارة تتزايد بانتظام . فقد أغرق العدو عشر سفن في رحلتهـــا الى إفريقيا في المدة من شباط حتى نهاية تموز ، أما في الفترة ما بين آخر تموز ومنتصف تشرين فأغرق لنا لنا عشرون سفينة .

وقبل هذا بثمانية عشر شهراً أعلن كبار الضباط من هيئة الاركان العامـــة

الألمانية ان الامدادات لافريقيا تعتبر مشكلة مستعصية. ولأن هذا الرأي تشترك فيه الدوائر على أكبر مستوى في القيادة العليا للجيش الألماني ، فقد أدى بالقيادة في إيطاليا وأوروبا (والذين كانوا السبب في ضياع الزمام) أن يظلوا في أماكنهم لأن أعذارهم كانت تلاقي آذاناً صاغية من القيادات العليا التي كانت تتقبلها كما وان تقديراتهم للموقف (من حيث وسائل النقل) كانت مبنية دون أي أساس على الإطلاق ، وحتى أواخر صيف ١٩٤٢ فقد كانت ناتجة عن آراء وأفكار عتيقة تفوح منها رائحة التهرب من مواجهة المشاكل وميلها لإثبات استحالة حلها .

وكان الواجب علينا منذ البداية أن نقضي على أي حزازات وأفكار جامدة. وقد كانت تراودني على الدوام صورة الفارق بين استاذ الاقتصاد ورجل الأعمال من حيث نجاحها في النواحي المالية . فرجل الأعمال ربما لا يكون على نفس المستوى الثقافي للاستاذ ، ولكن أفكاره تنبع من أمور واقعية ويضع كل قوة إرادته للخدمة التنفيذية . اما الاستاذ فقد لا يستطيع تقدير الأمور بطريقة صحيحة بالرغم من قدرته على إيجاد أفكار اكثر ، ولكنه لا يستطيع ولا يميل لتنفيذها بنفسه . وعليه فان رجل الأعمال ينجح من الناحية المالية ، بينما يفشل الاستاذ .

ونفس الفرق نجده بين الجندي النظري والجندي المقاتل ، فمن أهم أسباب النجاح ليس في الامور العسكرية وحدها فحسب وإنما أيضاً في الحياة عموما ، فهي تكمن في القدرة على التنفيذ والقدرة على توجيه كل طاقاتنا نحو تحقيق واجب معين بذاته .

والجندي الذي يتمتع بقوة ذهنية فقط لا يصلح إلا كمساعد في أعمال الأركان حرب فهو يستطيع أن ينتقد ويوجد مواضيع للمناقشة ولكن النتيجة التي يصل اليها نظرياً لا بد وان تتوفر لها قدرة تنفيذية في شخص القائد لكي يتابعها وينتقدها بقوة .

وهذه الملحوظات يمكن تطبيقها ايضاً على نواحي الإمداد والتموين ، لأن المرض الذي كنا نعاني منه كان سببه عدم وجود شعور واقعي وعدم وجود روح المبادأة والقوة الدافعة بجانب نواحي الضعف التي سبق لي تحديدها . ولكي أضرب المثل ربما يحسن بي أن أوضح بعض ما كان يمكن اتخاذه من إجراءات

لتلافي مثل هذا الموقف :

(ا) لم تعين وحدات بحرية إيطالية كبيرة لحماية القوافل أو لنقل المواد الضرورية التي كنا نحتاجها على وجه السرعة . وبالطبع كان ذلك سيؤدي إلى عدم وجود وقود لتستخدمه تاكسيات روما !!

(ب) لم يتم تنظيم وتنفيذ عملية هجومية ضد مالطة . وقد عرضت القيام بهذه العملية بقواتي ، وأنا مقتنع بأنه لو اعطيت لي القوات التي طلبتها علاوة على المساندة البحرية والجوية اللازمة لنجحت في الاستيلاء على الجزيرة الحصينة وإذا ما استولينا على مالطة فلن يستطيع البريطانيون التأثير على حركة القوافل البحرية في وسط حوض البحر الأبيض المتوسط. أى أن مالطة تسببت في ضياع آلاف كثيرة من الأرواح الايطالية والألمانية .

(ج) لم يتم إنتاج كميات كبيرة من الصنادل البحرية والسفن الساحلية في إيطاليا أو تنظيم خدمة ساحلية بحرية ناجحة تحت حماية بحرية كافية .

(د) لم يتم الحصول على أماكن إنزال جديدة على الشاطىء وعمل الأرصفة اللازمة لذلك أو حتى زيادة في قدرة التفريغ عما كانت عليه في الموانىء الموجودة بدرجة كبيرة أو بالسرعة اللازمة .

وأنا لا أقلل أبداً من صعوبة تنظيم شئوننا الإدارية كما قيل عني من بعض الشخصيات في مقر القيادة العليا للفوهرر ، وإنما كنت أقدرها تقديرها الصحيح وفي نهاية عام ١٩٤٢ وبعد معركة العلمين أصبح الاحتفاظ بمسرح العمليات الإفريقي مستحيلا . ولكن لا يوجد أدنى شك في أنه كان من الممكن تأمين خطوط سير القوافل البحرية في ربيع وصيف هذا العام . وهذا كان سيمكننا من الاستيلاء على ساحل البحر الأبيض المتوسط بأكمله وبعدها لم يكن هناك أي إشكال في مواجهة حركة النقل البحري في هذا البحر .

ولكن لم يكن هناك فهم سليم في مقر قيادة الفوهرر لفن إيجاد مراكز الثقل الاستراتيجي في النقطة الحاسمة .

وبعد هجومنا الفاشل مباشرة أرسلت تقريري لمقر قيادة الفوهرر والقيادة العليا الإيطالية وجاء فيه : —

« أن القوات الألمانية لجيش البانزر الأفريقي التي تتحمل العبء الأكبر للحرب في أفريقيا ضد زهرة قوات الإمبراطورية البريطانية تحتاج لإمدادها

بسيل لا يتوقف من الامدادات الضرورية للاعاشة والقتال ، ويجب استخدام كل سفينة وطائرة نقل موجودة لتحقيق هذا الغرض . وإذالم يمكن تنفيذ هذا فإن استمرار الاحتفاظ بمسرح العمليات الأفريقي بنجاح يصبـــح مستحيلا . وسيصبح الجيش بعد هـــذا (أطال الوقت أم قصر) في خطر عندمـــا يشن البريطانيون هجوماً كبيراً وربما حلت به نفسه الكارثة التي حلت بحامية نقب الحلفاية » .

الانجليز يتمتعون بالتفوق بالمدرعات :

وفي هذه الأثنـــاء كان البريطانيون يزيدون من قوتهم تدريجياً . وفي حوالي ١١ ايلول كان لديهم في الجبهة خمس فرق مشاة وفرقة مدرعة وفرقتان مشاة وفرقتان مدرعتان خلف الجبهة كأحتياطي الجيش وفرقتان مشاة إضافيتان في دلتا نهر النيل . وكان قلقنا يتزايد باستمرار ، وطلبنا تعزيزات إضافيـــة من المدافع المضادة للدبابات كبيرة العيار لتعويض التفوق الضخم الذي يتمتع بـــه البريطانيين في المدرعات .

كما طلبنا تعزيز قواتنا بفرقة مدرعة أخرى . وأصبحت التعيينـــات هي الاخرى تمثل مشكلة ، عندما اخذنا في استنفاد المخزون من الكميات التي غنمناها في شرق ليبيا . وأثناء زيارتي للجبهة أخذت أسمع باستمرار عن ازدياد عـــدد المرضى بسبب رداءة التعيينات . وكانت الخسائر التي تسببت عن هذا كبيرة على وجه الخصوص في الفرق التي كانت في أفريقيا منذ فترة طويـــلة أو التي لم تمر بالإختبارات اللازمة للخدمة في المناطق الحارة .

وبينت خطورة الموقف لقيادة الفوهرر مرة اخرى ، وطالبت بانهاء أزمـــة الإمداد والتموين بأية طريقة باستخدام كل ما يتيسر من السفن لتحميلها بلوازمنا وأما فلن يستطيع الجيش الألماني الايطالي الإحتفاظ لوقت طويل بمواقعـــه في افريقيا .

وطلبت كحد أدنى للامداد بإرسال ثلاثين الف طن خلال شهر ايلول وخمسة

وثلاثين الفاً خلال تشرين وذلك بعد وصول الفرقــة ٢٢ المحملة جوا . كما طالبت بإرسال كل عربة مخصصة لجيش البانزر من العربات الموجـودة في المانيا وإيطاليا ، وأرسلنا تقارير مفصلة ودقيقـة على أثر الهجوم البريطاني على قواتنا وطالبت بتدعيم قواتنا الجوية وخاصة بالمقاتلات . ولكن وضح لنا بعد هـــذا بقليل أن احتمال تحقيق آمالنا معدوم على وجه التقريب .

وكنت أعتبر ان الكميات التالية هي احتياجات ضرورية للدفاع عن مواقعنا في مواجهة الهجوم البريطاني المنتظر : —

وهي : —
ذخيرة : ٨ مرتبات يومية .
وقود : ٢٠٠٠ ميل لكل عربة .
تعيينات : مخزون يكفي ٣٠ يوماً .
وبينت بوضوح وبجزم أنه لا يمكن ضمان الدفاع عن مواقعنا بنجاح إلا بتحقيق هذه المطالب .

٩ ايلول ١٩٤٢

عزيزتي لو
إستعدت صحتي إلى حد كبير وأشك أن يستطيع أي انسان أن يلاحظ علي شيئاً من هذه الناحية . ولكن الطبيب يضغط علي بشدة لكي أقضي فترة نقاهة في ألمانيا ولا يرغب في تأجيلها اكثر من هذا . ولكن شتومة يجب ان يصل أولا ويستقر في وظيفته .

ومن ناحية فأنا مبتهج جداً لأنني سأستطيع رؤيتك بعد غيابي لفترة ما ولكن من ناحية اخرى لن أرتاح ابداً فكرياً بالنسبة للموقف هنا ولو أني لا أستطيـع الذهاب للجبهة بنفسي . وأنا أعرف أن تشرشل قد نسب له انـــه قال « لن يستطيع الاحتفاظ بمصر لأكثر من عدة أشهر فقط » . ولكني أعتقد أنه يفكر في القيام بهجوم جديد بقوات متفوقة خلال أربعة أو ستة أسابيع . ولن يوقفه سوى نصر لنا في القوقاز فقط . وقد أصبح جاوزي غير لائق للخدمة في المناطق الحارة ويجب ذهابه لمدة ستة أشهر . كما ان حالة ويستفال — هو الآخر — سيئة فهو يشكو من كبده (الصفراء) وسيسافر العقيــد فون ميللنثين اليوم بسبب

مرضه بالدوسنتاريا الأميبية . وقد جرح أحد قادة الفرق بالأمس . وبهذا يكون كل قادة الفيالق والفرق تغيروا خلال عشرة أيام .

١١ ايلول ١٩٤٢

أنا بخير حتى الآن . ولكن الحال غير ثابت . وقد حان الوقت لكي ارتاح لعدة أسابيع . ويبدو أن البريطانيين يعانون من موقفهم في الهند كما أنهم قلقون للغاية بسبب الموقف في القوقاز . أرجو ان أستفيد من كل هذا .

وقد هبت عاصفة رملية مرة اخرى بالأمس ولكنها لم تكن شديدة . ولقد تلقيت خطاب مانفريد المؤرخ في ٣١ وقد سررت به للغاية .

وأغلب الأمر أن هذه الخطابات تصل بعد ان اكتب اليكما . ومع هذا فسأستمر في الكتابة فالمرء لا يعرف ما قد يحدث .

وكيف الحال في فنز نيو شتادت؟ وانا متلهف للغاية على رؤية الأمور هناك. ويجب ان يكون مانفريد قد كبر كثيراً في سبع شهور، وأظن أنه بلغ طولي.

الانجليز يحاولون الاستيلاء على طبرق بانزال بحري :

وفي ساعة مبكرة من يوم ١٤ ايلول قام البريطانيون بمحاولة لإنزال قوات كبيرة في منطقة طبرق بعد ان ضربوها والمنطقة المحيطة بها بأكثر من مائة وثمانين طائرة . وطبقاً للوثائق التي سقطت في أيدينا فقد كان واجبها تدمير منشآت الميناء واغراق السفن الموجودة فيها .

وقد فتحت البطاريات المضادة للطائرات والموجودة في شبه الجزيرة نيرانها الشديدة فوراً على البريطانيين ونجحت مجموعات الاقتحام الالمانية والايطالية التي تم تكوينها بسرعة في تطويق قوات العدو التي أنزلت . ولخوفنا من أن يكون البريطانيون يحاولون الاستيلاء على طبرق فقد حركنا عدة وحدات محملة نحو الحصن على الفور . ولكن القوات المحلية نجحت في السيطرة على الموقف بعدها بقليل . وقد تكبد البريطانيون خسائر كبيرة من القتلى والاسرى وتبعاً لتقارير البطاريات المضادة للطائرات فقد تمكنت من اغراق ثلاث مدمرات أو سفن حراسة . وفي اليوم التالي لحقت طائراتنا مرة اخرى بالبريطانيين وقررت انها أغرقت طراداً ومدمرة أخرى وعدة سفن حراسة ، كما أصيب عدة سفن بريطانية

في هذا الهجوم .

وفي ١٥ ايلول طرت الى طبرق بنفسي واعربت عن تقديري للقوات على العمليات الدفاعية الناجحة التي قامت بها . وقد سبب لنا هذا الهجوم البريطاني متاعب جمة وقلقاً كبيراً لأن طبرق كانت من اكثر مناطقنا حساسية . وكنت أخشى أن يحاول العدو مرة اخرى القيام بمثل هذه العملية في بداية هجومه المنتظر وعليه فقدأصدرت تعليماتي لنائب أمير البحر لومباردي والجنرال دايندل بالعمل على تأمين الدفاع عن الحصن .

١٦ ايلول ١٩٤٢

عزيزتي لو

عدت في الليلة الماضية منطبرق. وستسرين بدون شك عندما تسمعين الملحق الخاص للأنباء عن محاولة الانزال الفاشلة . والظاهر أن كل شيء على ما يرام وسيصل شتومة لروما اليوم وأرجو أن أسافر خلال أسبوع . وقد وصل كسلرينج هذا الصباح بعد أن قابلته وتكلمت معه بالأمس في طبرق وكان قد وصل من مقر قيادة الفوهرر ويبدو ان المعركة فيستالينغراد صعبة للغاية وتستنفد قوات كبيرة يمكن ان نستخدمها بطريقة أكثر نجاحاً في الجنوب .

وكان هذا أعنف هجوم بريطاني على مناطقنا الخلفية ، وعلى العموم فان عمليات صغرى من نفس النوع كانت تقوم بها مجموعات من الكوماندوز تحت قيادة ستيرلينج . وكان هؤلاء الكوماندوز يعملون من واحة الكفرة ومنخفض القطارة وأحياناً بلغوا في عملياتهم إقليم برقة حيث كانوا يقومون بعمليات إزعاج أقلقت الايطاليين للغاية . وقد حاولوا المرة تلو المرة اثارة العرب ضدنا ولكن لحسن الحظ لم ينجحوا في هذا لأنه لا يوجد شيء أكثر إزعاجاً من حرب العصابات . وربما كان من المهم ألا تتخذ اجراءات انتقامية ضد الرهائن بمجرد اندلاع نيران حرب العصابات لأن هذا لا يؤدي إلا لزيادة الرغبة في الانتقام ويساعد على تقوية المحاربين غير النظاميين . ومن الأفضل ترك الأمور تمر بهدوء بدلاً من اتخاذ أي إجراءات ضد الأبرياء . فإن هذا يثير المنطقة المجاورة بأكملها ، ويتحول كل الرهائن إلى شهداء . وكان القائد الإيطالي يشاركني نفس آرائي ولذا فان الاغارات العربية القليلة مرت في هدوء .

وفي هذه الأثناء (وبالرغم من العناية الفائقة من جانب البروفيسورهورستر) وصلت صحتي لدرجة من السوء بعد ثمانية عشر شهراً مستمرة في إفريقيـــا لدرجة أنه أصبح من الضروري أن أتلقى علاجاً طويلاً بدون أي تأخـــير في أوروبا . وكان الجنرال شتومة سينوب عني في قيادة الجيش أثناء سفري . وقد وصل إلى مقر قيادتي في ١٩ ايلول . وقد انعقد في نفس اليوم مؤتمر ضم كل من الماريشال كافاليرو والعقيد آونو (رئيس الشئون الادارية) وانا وقد أظهرت أنا وآتو الحالة المخيفة لشئوننا الادارية وخاصة بالنسبة لنشاط الايطاليـــين في حركة النقل لبعض التشكيلات المخصصة لطرابلس وليس للجبهة . وهـــذه التشكيلات التي لم تكن تصلح على الاطلاق في الجبهة ، وكل ما هنالك أنهـــا احتلت مساحـــات كان من الواجب تخصيصها لامداداتنا الضرورية . وكان الدوتشي قد أمر بارسال فرقتين إفريقيتين بالاضافة إلى الفرقـــة بيستويا إلى طرابلس .

وفي هذا الوقت كان الجنود التابعون للتشكيلات الايطالية في جيش البانزر والذين أمضوا حوالي سنتين في إفريقيا يسحبون بدون بدل . وكالعادة وعـــد كافاليرو بتحقيق مطالبنا . وفي يوم ٢١ ايلول ذهبت مـــع جاوزي وبايرلاين للتفتيش على الحامية الألمانية الايطالية في واحة سيوة ، وهناك قابلنـــا السكان العرب بحماس . وقد قدمنا الهدايا للزعماء المحليين والتقطنا الصور لرجال القبائل في البستهم الزاهية الألوان . وقد قدموا إلي مغلقاً مختوماً بختم اليوم وعليـه كل طابع مستخدم في الواحة .

وفي اليوم التالي سلمت قيادة جيش البانزر إلى الجنزال شتومة . وقد تغير بعض الشيء عندما سمع أنني أنوي قطع علاجي والمجيء الى شمال إفريقيا لو قام البريطانيون بهجوم كبير . وقد ظن أنني لا أثق في كفاءته .

وفي اليوم التالي سافرت إلى درنة بقلب حزين ومنها إلى إيطاليـا . وكنت أنوي افهام الإيطاليين مرة ثانية بأنه يجب عليهم القيام بمجهود غـــير عادي في مجال الامداد والتموين لكي نحافظ على الأرض التي غنمناها في مصر لمدة طويلة .

وقد توصلت اخيراً إلى اتفاق يقضي بان يقوم الايطاليون في ليبيا بتجهيز ثلاثة آلاف عامل على الفور لإنشاء طريق وراء الجبهة . لأن عرباتنا كانت تتعطل باستمرار بسبب سيرها على طرق ممهدة مغطاة برمال كثيفة ومليئة بالحفر خاصة وأن السائقين كانوا يقودونها كالشياطين دون أي اعتبار لعرباتهم . وقد وافق الإيطاليون على شحن اربعة آلاف طن من القضبان لإنشاء خطوط السكة الحديدية في افريقيا . كما تعهدوا بمهاجمة واحة الكفرة والاستيلاء عليها لوقف الإغارات الانجليزية التي كانت تستخدمها كقاعدة لها .

ومن الطريف أن نقارن بين ما وعد به كافاليرو وبين ما حققه بالفعل فنجد انه عندما تلقى الجنرال بارباسيتي طلب الثلاثة آلاف عامل قال أنه لن يتمكن من إيجاد كل هذا العدد واكبر عدد يمكن تجهيزه هو أربعمائة . ومن هذا العدد ايضاً لم يصل سوى مئة وبذلك لم نتمكن إطلاقاً من إنشاء الطريق .

وعلى نفس الطريقة لم تصل القضبان وبالتالي لم ينشيء الخط الحديدي إلا أفراد الفرقة ٩٠ الخفيفة وحدهم .

وعندما حان وقت الهجوم على واحة الكفرة لم يكن باربايستي ولا كافاليرو راغبين بالقيام به ، وبقي كل شيء على ما هو عليه كما أستمر التهديد البريطاني .

وأغلب الأمر أن المارشال كافاليرو كان يرغب في إسكاتي بأية طريقة اعتقاداً منه أنه سيمر وقت طويل قبل ان يعود لإفريقيا مرة ثانية .

رومل يجتمع بموسوليني وهتلر

وفي ٢٤ ايلول ناقشت الموقف مع الدوتشي . ولم اترك له مجالاً للشك في انه إذا لم تصل الامدادات إلى الحد الذي طلبته فسنضطر في النهاية للتخلي عن شمال افريقيا . واظن انه بالرغم من كل ما اوضحته لم يقدر خطورة الموقف بالفعل . وخلال العامين الماضيين أخطرته بنفسي وباستمرار عن مصاعبنا الادارية ولكن دون جدوى وبالطبع لم يكن لدى القوم في اوروبا أي فكرة عن المواقف الصعبة التي كنا نجابهها وقيل لنا على الدوام « ستنجحون في التغلب على كل شيء » ولكن لم تتوفر الظروف المادية ولم يكن في استطاعتي تحقيق اي هدف وطبعاً كانت ثقة الجميع بنا حسنة ولكننا في افريقيا كنا نهتم أكثر بموقفنا

الاداري . ولم نكن نقدر انفسنا بأكثر من قدرها وكنا نعرف أن اسباب نجاحنا كانت طبيعية على الدوام وعلى أية حال فقد سررت لسماعي بأن سلطات الإمداد والتموين الألمانية والإيطالية كانت تنوي استعمال عدد كبير من السفن الفرنسية في المستقبل القريب .

وبعدها بعدة ايام قدمت نفسي للفوهرر . وكانت رئاسته قد تأثرت كثيراً بنجاح جيش البانزر وكانت ترغب في حسم الأمر في منطقة البحر المتوسط .

وقد بينت للفوهرر الخطوط العريضة لهجومنا على خط العلمين وأسباب فشله . وقد نوهت على وجه الخصوص عن التفوق الجوي البريطاني ووصفت له أثر تكتيكات القصف الجوي الجديدة التي فرضوها على حرية استخدامي لقواتي الميكانيكية وسبب تعرضها للهجوم الجوي . كما قلت أيضاً ان الطريقة الوحيدة للتغلب على تفوق العدو الجوي كانت في ارسال قوات جوية كبيرة من جانبنا لافريقيا .

وشرحت الموقف الاداري السيء وكما فعلت مع الدوتشي لم أخف اننا لن نتمكن من الاستمرار ما لم يحدث تغيير جذري . ووصفت بالتفصيل إمكانيات تحسين نظم إمدادنا. كما طالبت برفع حصة الإمدادات الألمانية بالنسبة للامدادات الإيطالية مبيناً أن قوة التشكيلات الالمانية المقاتلة تزيد كثيراً عن الايطاليين . وقررت مرة أخرى انه يجب شحن ٣٠,٠٠٠ طن في ايلول و ٣٥,٠٠٠ في تشرين كشرط أساسي لصد الهجوم البريطاني المنتظر .

وقد لاحظت أن الجو في مقر قيادة الفوهرر يسوده التفاؤل الشديد . وكان غورنغ على وجه الخصوص ميالاً للتهوين من أمر الصعاب التي نواجهها . وعندما أخبرتهم ان القاذفات المقاتلة البريطانية قد ضربت دباباتي بمدافع عيار ٤٠ مم قال مارشال الرايخ الذي شعر بأن هذا يمسه شخصياً :

« هذا مستحيل فالأمريكيون لا يعرفون سوى أن يصنعوا أمواس الحلاقة »

وأجبته قائلاً : « يا سيدي المارشال نحن راضون بالحصول على هذه الأمواس » .

ولحسن الحظ كنا قد أحضرنا معنا قنبلة خارقة للدروع قذفتها إحدى الطائرات البريطانية التي كانت تحلق على ارتفاع منخفض على إحدى دباباتنا .

وقد وعد الفوهرر بزيادة إمداداتنا إلى حد كبير ، وذلك خلال الأسابيع القليلة المقبلة باستخدام عدد كبير من الصنادل البحرية يسمى : « سيبل فهرين ».

وقد أكدوا لي ايضاً أنهم سيرسلون قريباً لواء من القنابل الصاروخية المتعددة الفوهات الجديدة (نيبل وبرفر) كما أنهم سيرسلون ٤٠ دبابة من طراز « النمر » ومدافع ذاتية في الصنادل البحرية الجديدة والسفن الإيطالية .

وبعد ذلك ظهر أن هذه الوعود أعطيت في جو من التفاؤل استناداً على أرقام خاطئة لامكانية الانتاج لأنه لم يتمكن من تنفيذ برنامج إنتاج الصنادل البحرية على المستوى المطلوب ولم يتم إرسال الأرقام المذكورة من القنابل الصاروخية ودبابات النمر إلى افريقيا .

هبوب العاصفة

بدأت معركة العلمين في ٢٣ تشرين أول ١٩٤٢ وقد غيرت من سير الحرب ضدنا في إفريقيا ويمكن اعتبارها بحق نقطة التحول في هذا الصراع العنيف كله . وكانت الظروف التي دخلت بها قواتي الباسلة المعركة مؤسفة للغاية لدرجة أنه لم يكن هناك من أمل في النصر .

فقد واجهنا مدرعات العدو المتفوقة من حيث النوع ، والتي وصلت بعددها إلى أكثر من الف دبابة . بينما كانت دباباتنا لا تزيد عن ٥٠٠ من المانية وايطالية . وصحيح أنه كان لدينا عدد معقول من المدافع ولكن الكثير منها كان إيطاليا قديماً وبعضها من الغنائم ، وأغلبها تنقصه الذخيرة . ويضاف إلى هذا ان البريطانيين حققوا سيطرة جوية تامة فوق البحر الأبيض المتوسط وبضربهم لموانئنا ومراقبتهم الدقيقة لطرق مواصلاتنا البحرية بالإضافة إلى نشاطهم البحري الكبير كانوا يستطيعون في الواقع أن يشلوا أي حركة بحرية لنا ، ونتج عن هذا أن مخزوننا من الامدادات كان قليلاً لدرجة أن النقص في كل مجال كان واضحاً حتى عند بداية المعركة ، وستظهر آثار هذه الظروف بوضوح في الرواية التالية للأحداث .

وكان يوم ٢٣ تشرين كغيره من الأيام في جبهة العلمين ، ومر عادياً حتى المساء عندما فتح العدو ضدنا غلالة شديدة على طول الجبهة ثم تركزت ضد القطاع الشمالي . ولم نشاهد من قبل مثل هذه النيران الشديدة على الجبهة الإفريقية ، والتي استمرت

طوال معركة العلمين. وقد حشد مونتغمري ٥٤٠ مدفعاً عيارها يزيد عن ١٠٥ مم في القطاع الشمالي بين التبة ٣٥ ودير الشين . وقد قصف البريطانيون مواقعنا بدقة غير عادية ونجم عن ذلك خسائر فادحة . وقد ساهمت القاذفات البريطانية في القصف التمهيدي .

وقد تحطمت شبكة اتصالنا بسبب الغلالة وتوقفت كل التقارير من الجبهة تقريباً . وقد قاتلت نقطتنا الخارجية حتى آخر طلقة ، وبعد ذلك وقعت في الأسر أو أبيدت . وتحت صدمة نيران المدفعيه البريطانية المخيفة التي بلغت قوتها ضرب المدفعية في الحرب العالمية الأولى ، ترك جزءاً من المشاة الإيطاليين مواقعهم وهربوا إلى المؤخرة وبعد قليل كان البريطانيون قد اجتاحوا مراكزنا الخارجية وتغلغلوا داخل خط دفاعنا الرئيسي على جبهة طولها ستة أميال . وقاومت مشاتنا بشراسة بالرغم من ان معظم أسلحتها الثقيلة قد دمرت بنيران المدفعية المعادية . وأحضر البريطانيون الدبابات إلى قواتهم المهاجمة الأمامية . وفي وقت قصير اجتاحوا بقايا فرق المشاة الايطالية شقوا طريقهم داخل خطوطنا ولكنا تمكنا من إيقافهم بنيران المدفعية المركزة . كما أبيدت كتيبتان من الفرقة ١٦٤ مشاة اثناء الساعات الأولى من الصباح بنيران المدافع البريطانية العنيفة .

ويعلق ليدل هارت فيقول

« لم يتقدم الهجوم بالسرعة التي كانت ترجوها القيادة البريطانية بسبب كثافة حقول الألغام . وقد حل الفجر قبل فتح الممر الاول لكي تمر المدرعات ، ولكنها عندما حاولت اجتيازه كان الضوء قد بزغ فأمكن إيقافها بسهولة . أما في الممر الثاني فقد كانت المدرعات لم تزل متوقفة . ولم يتمكن البريطانيون من اجتياز الحقول والانتشار وراءها إلا في صباح اليوم التالي بعد هجمات ليلية جديدة قامت بها فرق المشاة . وقامت الألوية الأربعة بدباباتها السبعمائة ومدفعيتها القوية باحتلال مواقع تغطي فتحة الثغرة التي بلغت ستة أميال لتصبح بعد ذلك مستعدة للدخول في معركة ضد أي هجوم معاكس من جانب الألمان، وكان مونتغمري يرجو أن يقوم أعداؤه به » .

ويتابع رومل مذكراته

وقد سمع الجنرال شتومة صوت قصف المدفعية المعادية من مقر قيادته الواقع على الساحل على بعد عدة أميال فقط من الجبهة ولكنه لعلمه بقلة الذخيرة الموجودة لم يعط الامر لمدفعيتنا بضرب مناطق تجمع العدو . وقد كان هذا خطأ من وجه نظري لأنه كان سيخفف حدة الهجوم البريطاني على الأقل ، وعندما فتحت المدفعية في النهاية نيرانها لم تستطع التأثير بنفس الطريقة التي كانت ستؤثر بها لو بدأت القصف قبل ذلك لأنه في هذا الوقت كان البريطانيون قد تمركزوا في مواقع الدفاع التي أستولوا عليها أثناء الليل . وعندما بزغ فجر يوم ٢٤ تشرين لم يصل لمقر القيادة إلا تقارير قليلة وكان الموقف غامضاً جداً . ونتيجة لهذا عزم الجنرال شتومه على الذهاب إلى الجبهة بنفسه .

وقد طلب منه رئيس أركان حرب الجيش العقيد ويستفال أن يأخذ معه عربة حراسة وعربة أشارة كما كنت أفعل على الدوام . ولكنه رفض أن يأخذ أي حرس أكثر من العقيد بوختنج ، وكان ينوي ألا يبعد لاكثر من مقر رئاسة الفرقة ٩٠ الخفيفة . وفي الساعات الأولى من يوم ٢٤ تشرين بدأ القصف من جديد ولكن هذه المرة على القطاع الجنوبي حيث هجمت فرق بعدها بقليل تساندها بحوالي مائة وستين دبابة . وبعد ان اجتاحوا نقطنا الخارجية أمكن إيقافهم أمام خطوط دفاعنا الرئيسية .

ويعلق ليدل هارت بقوله :

« في قطاع الفيلق الثالث عشر عبرت الفرقة ٧ المدرعة حقول الالغام الاولى في الليلة الاولى ولكنها أوقفت أمام منطقة الالغام الثانية بنيران المدافعين الشديدة. وفي الليلة التالية أمكن فتح ممر ضيق وعندما حاولت المدرعات المرور عبره صدتها النيران مرة ثانية . وبما ان الخسائر كانت في ازدياد مستمر أوقف مونتغمري الهجوم في الجنوب لأنه كان يرغب في الحفاظ على الفرقة ٧ المدرعة لمعارك اخرى .

ويتابع رومل مذكراته :

وفي عصر يوم ٢٤ تشرين اتصل بي الفليد مارشال كيتل تليفونياً في سمرينج

وقال لي أن البريطانيين يهاجمون العلمين بمدفعية قوية منذ الليلة الماضية . والجنرال شتومة مفقود ، وسألني إذا كنت في وضع يسمح لي بالعودة إلى افريقيا لاستلام القيادة مرة اخرى ، فوافقت على الفور . ثم قال كيتل أنه سيعلمني عن تطورات الموقف اولاً بأول . وقضيت الساعات القليلة التالية في حالة حادة من القلق إلى ان حل المساء فاتصل بي هتلر بنفسه في التليفون وقال لي أن شتومة ما زال مفقوداً وهو إما يكون قد وقع في الأسر أو قتل وسألني إذا كنت أستطيع السفر إلى افريقيا فوراً . وكان عليّ الاتصال به مرة أخرى قبل سفري لأنه لا يرغب في ان اقطع علاجي ما لم يصل الهجوم البريطاني إلى حد خطير . وامرت بتجهيز طائرتي في السابعة من الصباح التالي وذهبت فوراً إلى فينر نيوشتادت . واخيراً وصلتني مكالمة من الفوهرر بعد منتصف الليل بقليل : « نظراً للتطورات في العلمين وجد نفسه مضطراً لأن يطلب مني السفر إلى افريقيا لاستلام القيادة » .

وسافرت في صباح اليوم التالي وانا متأكد من أنه لم يعد هناك أمل في انتصارات مدوية أخرى في افريقيا لأن ضباطي اعلموني في تقاريرهم ان الامداد والتموين لم يرسل إلا بكميات لا تصل بحال للاحتياجات التي كنت قد حددتها على اساس أنها أدنى المستلزمات . ولم أكن اعلم ان الحال في الواقع أسوأ من ذلك بكثير . وعند وصولي إلى روما قابلني الجنرال فون رينتلين في المطار (وهو الملحق العسكري وضابط الاتصال بيننا وبين القوات الايطالية المسلحة) حيث اطلعني على آخر أنباء العمليات وقال انه بعد تمهيد عنيف من المدفعية استولى العدو على جزء من خطوطنا جنوب التبة ٣١ ، وقد ابيدت عدة كتائب تماماً من الفرقة ١٦٤ والقوات الايطالية . وكان الهجوم البريطاني لا يزال عنيفاً والجنرال شتومة ما يزال مفقوداً . كما اخبرني انه لا توجد في افريقيا سوى ثلاث صرفيات يومية من البترول ولم ترسل أي كميات إضافيه في الاسابيع الاخيرة لعدم توفر السفن للأسطول الايطالي من ناحية وبسبب الخسائر التي كبدها لهم البريطانيون . وهذه كانت كارثة رهيبة لأن الوقود لا يكفينا إلا لمسافة ٣٠٠ كم فقط وهي المسافة بين طرابلس والجبهة وهذا بالنسبة للأرض الصالحة لتحرك الحملات وليس مثل الأرض التي نقاتل عليها ، لذلك لا يمكننا المقاومة لمدة طويلة بالنسبة لهذه الظروف وسنحرم من إمكانية اتخاذ القرارات التكتيكية

الضرورية وبذا سنعاني من قيود شديدة على حريتنا في العمـل . وكنت غاضباً للغاية لأنني عندما سافرت كان يوجد على الأقل ثماني صرفيات يومية للجيش في مصر وليبيا ، وكان هذا قليلا جداً نظراً للضروريات التي تستلزم وجود ثلاثين صرفية يومية . وقد اكدت لنا التجارب اننا نحتاج الى صرفية كاملة لكل يوم في المعركة وبدونها يبقى الجيش عـاجزاً ولا يستطيع الرد على ضربات العدو . وكان الجنرال فون رينتلين آسفـاً للموقف ، ولكنه قال أنه لسوء الحظ كان في أجازة فلم يتمكن من الاهتمام بالمسائل الادارية .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« كان رومل ثائراً للغاية لأن السلطات الالمانية لم تفعـــل شيئاً لدعم جيش البانزر في دخوله المعركة المنتظرة . ولكن انتقـاد رومل كان يجب ان يوجه الى نائب الجنرال رينتلين ، لا الى رينتلين نفسه الذي كان متغيبـــاً في اجازة مرضية » .

مقتل الجنرال شتومة وعودة رومل الى افريقيا

ويتابع رومل مذكراته :

ولثقتي بأننا سنخوض هذه المعركة بأمل ضعيف في النصر فقد عبرت البحر المتوسط بطائرتي من طراز ستورش ووصلت مقر قيادتي مساء ٢٥ تشرين اول وفي هذه الاثناء عثرنا على جثمان الجنرال شتومة فأرسـل الى درنة ، ويبدو أنه كان يتحرك الى ميدان المعركة على مدق الانذار عندما اطلقت عليه النيران في منطقة التبة ٢١ من المشاة البريطانية التي استخـدمت المدافع المضادة للدبابات والمدافع الرشاشة . وقد اصيب العقيد بوجتنج بجرح مميت في رأسه . وقد حول السائق العريف وولف السيارة فوراً فقفز الجنرال شتومة وتعلق بها من الخارج أثناء اندفاع السائق بأقصى سرعته بعيداً عن نيران العـدو ويبدو أن الجنرال شتومة تعرض لازمة قلبية فجأة فسقط من السيارة . ولم ينتبه له السائق . وفي صباح يوم الأحد عثر على الجنرال ميتاً . والمعروف ان الجنرال شتومة كان يعاني من ارتفاع بضغط الدم ولم يكن مهيئاً في الواقع للخدمة في المناطق الحارة .

وفي المساء قدم لي الجنرال فون توما والعقيـــد ويستفال تقاريرهم عن سير

المعركة حتى هذا الوقت وذكرا ان الجنرال شتومة منع قصف منـــاطق تجمع العدو في الليلة الاولى للهجوم نظـراً لقـــلة الذخيرة . ونتج عن هذا ان العدو استطاع ان يستولي على قسم من حقل ألغامنا وتغلب على القوات الموجودة بخسائر قليلة نسبياً وكانت مشكلة الوقود تجعل أية تحركات كبيرة مستحيلة بأكثر من هجمات مضادة محلية بواسطة المدرعات الموجودة خلف القطاع المعرض للخطورة. وقد قامت وحدات من الفرقة ١٥ بانزر بعـدة هجمات مضادة في يوم ٢٤ و٢٥ تشرين ولكنها تكبدت خسائر هائلة من نيران المدفعية البريطانيـــة وهجمات الطائرات البريطانية التي لم تتوقف. وفي مساء يوم ٢٥ لم يبق في الفرقة سوى ٣١ دبابة من قوتها الأصلية وهي ١١٩ دبابة .

ولم يبق في شمال افريقيا الا مخزون قليل للغـــاية من الوقود وبدأنا نشعر بالأزمة . وكنت قد طلبت بالفعل أثناء وجودي في روما استخدام كل غواصة وسفينة حربية إيطالية لنقل الوقود والذخيرة . ولم تعد قواتنا الجوية قادرة على صد الهجمات الجوية البريطانية . وكانت القاذفات البريطانية الجديـــدة تثبت وجودها بالفعل فكل دبابة تابعة لمجموعة القتال في القيادة قـد اصيبت من نيران هذا النوع من الطائرات .

وكان هدفنا في الأيام القليلة التالية طرد العدو عن خطوطنا الأساسية الدفاعية مهما كان الثمن وإعادة إحتلال مواقعنا القديمة لمنع وجود بروز في مواقعنـا نحو الغرب .

وفي هذه الليلة تعرضت خطوطنا مرة ثانية لغلالة عنيفة من المدفعية وتطورت إلى أن اصبحت عاصفة ثابتة من النيران . ولم أنم الا بضع ســاعات وخرجت بسيارة قيادتي حيث علمنا أن البريطانيين قضوا ليلتهم كلها في محاولة لاقتحـــام جبهتنا تساعدهم المدفعية التي كانت تطلق أحياناً خمسمائة طلقة مقابل طلقة واحدة من جانبنا . وكانت قوات كبيرة من فرق البانزر قـد ارتبطت بالخط الرئيسي. وقبل منتصف الليل بقليل تمكن العدو من الاستيلاء على التبة ٢٨ وهي موقع هام في القطاع الشمالي وقام بإحضار التعزيزات إلى هـذه النقطة استعداداً لاستئناف هجومه في الصباح لتوسيع رأس الجسر في حقول الالغام باتجاه الغرب.

وقامت وحدات من الفرقة ١٥ بانزر بشن هجمات على التبة ٢٨ ومعهـــا وحدات من فرقة ليتوريو وكتيبة برساليري تساندها المدفعية المحلية والمدفعية

المضادة للطائرات ، وقد قاوم البريطانيون بعنف ، وسالت أنهار من الدماء على أرض عديمة القيمة ، وقصفت المدفعية البريطانيــة أرض الهجوم بعنف مخيف . وعند المساء نجحت كتيبة البرساليري في احتلال الميول الشرقية والغربية للتبة . ولكن التبة نفسها بقيت في ايـدي البريطانيين وأصبحت القاعدة الوطيــدة لعمليات معادية كثيرة ، وقد راقبت الهجوم بنفسي من الشمال ، وانهالت كميات لا حصر لها من القنابل على قواتي .

وكانت القوات البريطانية حول التبة ٢٨ تزداد باستمراد . وأصدرت أوامري للمدفعية لكي توقف تحركات البريطانيين شمال شرق التبــة ٢٨ بنيران مركزة ولكن الذخيرة لم تعد تكفي لتنفيـذ هذه العملية بنجاح . وفي اليوم التــالي أحضرت ُ الفرقة ٩٠ الخفيفة ومجموعة القتال التابعــة لرئاستي لمساندة الهجوم على التبة المذكورة . وكان البريطانيون يدفعون بقوات جديدة باستمرار في هجومهم من التبة ٢٨ وكان واضحاً أنهم يرغبون في شق طريقهم الى المنطقة الممتدة بـين الضبعة وسيدي عبد الرحمن . لذلك فقد تحركت فرقة تريستا الى المنطقة الـتي تقع شرق الضبعة . وعند المغرب قامت تشكيلات من القاذفات المنقضة الألمانية والايطالية بهجوم انتحاري محاولة تدمير قولات العربات البريطانية المتحركة الى الشمال الغربي ولكن الطائرات المقاتلة البريطانية انقضت على هذه الطائرات البطيئة وأجبرتها على التخلص من قنابلها على خطوطهم ، ولكن الطيارين الألمان اندفعوا نحو اهدافهم وتكبدوا خسائر جسيمة . ولم أر مطلقاً قبــل هذا في أفريقيا مثل هذه الغلالات العنيفة من المدفعية المضادة للطائرات . وكانت مئات من الطلقات المضيئة تندفع الى السماء في كل اتجاه وأصبح الجو كله جحيمــاً من النيران .

وحاولت الهجمات البريطانية التي تساندهــا الدبابات المرة بعد الأخرى أن تفتح طريقها غرباً عبر خطوطنا جنوب التبة ٢٨ . وأخيراً تمكنت بواسطة ١٦٠ دبابة من إبادة كتيبة من الفرقة ١٦٤ حيث شقت طريقهــا الى خطوطنا نحو الجنوب الغربي . وتبع ذلك قتال عنيف تمكنت فيه الدبابات الباقية (الألمانيــة والإيطالية) أن ترد العدو . وكانت خسائرنا في الدبابات حتى هــذا الوقت ٦١ دبابة في الفرقة ١٥ بانزر و ٥٦ دبابة في فرقة ليتوريو وكلها مدمرة تدميراً تاماً . .

وبعد هجوم الطائرات البريطانية المستمر ليلاً قامت طيــلة اليوم بإرسال

مجموعات تتكون من ١٨ الى ٢٠ طائرة بفاصل ساعة . وهذا لم يكبدنا خسائر فادحة فحسب وانما أدى لظهور معالم إرهاق خطيرة وشعور بالنقص والعجز في صفوفنا .

ويقول ليدل هارت في تعليقه :

« كان الإرهاق والانهيار في الجانب البريطاني متبدياً ايضاً وكان هناك شعور سائد بأن الهجوم ربما يتوقف. وبينما لحقت بالمدرعات الألمانية والايطالية خسائر فادحة في هجماتها يومي ٢٥ ، ٢٦ تشرين فقد خسرت المدرعات البريطانية هي الأخرى عندما حاولت الهجوم في ٢٦ تشرين، وقد ضرب الطرفان في غباء وسخف رقماً قياسياً لعملية « الاقتراب المباشر » أي الروح الهجومية التي لا يوجهها العقل .

وقرر مونتغمري أنه من الأفضل التريث وتغيير الخطة لكي يعطى فرصة للراحة لمعظم قواته ، بينما يقوم باعادة تجميع هذه القوات واستدعاء الفرقة السابعة المدرعة من الجنوب مع الابقاء على الضغط بالمواجهة في نفس الوقت بهجمات صغيرة يومي ٢٧ ، ٢٨ تشرين وحتى في هذه الهجمات استنفذ ما يقارب من لواء مدرعاً بأكمله» .

ويتابع رومل مذكراته :

كان توقف الامدادات قد اصبح يشكل كارثة كبرى. فالناقلة «بروسيربينا» التي كنا نرجو أن تخفف من أزمتنا في الوقود قصفت من الجو وأغرقت خارج طبرق . ولم يعد لدينا من الوقود إلا ما يكفي لتحريك قولات الامداد بين طرابلس والجبهة ليومين أو ثلاثة . هذا دون النظر الى احتياجات القوات الميكانيكية التي سيجري امدادها من نفس الكمية المذكورة . فقد كان علينا ان نحشد كل وحداتنا الميكانيكية في الشمال لطرد البريطانيين الى الوراء نحو خط الدفاع الرئيسي بهجوم مضاد مركز ، ولكن لم يكن لدينا من الوقود ما يكفي لهذا الهجوم وهكذا فقد أجبرنا على استخدام التشكيلات المدرعة في الجزء الشمالي من خطوطنا في هجمات مبعثرة.

وبما ان العدو كان يعمل بتردد غريب وبكثير من الحذر ، فان هجوماً مركزاً بالمدرعات كان يمكن ان ينجح بالرغم من ان حشد المدرعات سيقابله بالطبع اشد ما يمكن من نيران مدفعية البريطانيين وهجومهم الجوي . ومع هذا

فإننا نستطيع تمييع العملية بالتراجع لعدة أميال نحو الغرب ثم نهجم بكل قوتنا فنهزمهم في الأرض المكشوفة ولم تكن المدفعية البريطانية ولا طائراتهم تستطيعان التدخل بكل قوة في معركة مدرعة مثل هذه لأن هـذا يعرض قواتهم للخطر بنفس النسبة التي تتعرض لها قواتنا .

ولم أتمكن من اتخاذ القرار بسحب اي قوات من المنطقـة الجنوبية للجبهة بسبب حاجتنا للوقود. واضحى من المستحيل الاستمرار في معركة ميكانيكية لمدة تزيد عن يومين بعد هذا القرار أو اعادة قواتنا نحو الجنوب فيما لو هـاجمنا العدو هناك .

ولكني قررت مع كل هذا إحضار الفرقة ٢١ بانزر بأكملها الى الشمال بالرغم من علمي ان الوقود لن يكفي لارجاعها . يضاف الى ذلك ان المجهود الرئيسي للعدو كان سيوجه للنقطة الشمالية خـلال الايام القليلة القادمة محاولا حسم الامر هنا ، لانه قد سحب نصف مدفعيته من المنطقة الجنوبيـة . وفي نفس الوقت اعلمت الفوهرر أننا سنخسر المعركة ما لم يتحسن موقف الامداد فوراً. ومن واقع تجاربنا السابقة فان احتمال هذا التحسن كان ضئيلا .

٢٦ تشرين اول ١٩٤٢

عزيزتي لو

وصلت بالأمس والموقف حرج جداً والعمل كثير ! وبعد الأسابيع الرائعة في المنزل ليس من السهل ان اعتاد على الجو الجديد والعمل الذي علي القيام بـه . فهناك فارق كبير .

واستمرت القاذفات البريطانية في هجومها طيلة ليـل ٢٦ تشرين وبدأت غلالة من مدفعية البريطانيين في المنطقة الشمالية حيث استخدموا فيها مدافع من جميع الأعيرة . وفي وقت قليل لم نعد نميز بين وميض المدافـع وانفجار الدانات واضيئت السماء بلهيب النار والانفجارات . وقد كانت التكتيـكات التي اتبعها العدو نابعة على ما يظهر من رصيدهم الذي لا ينفد من الذخيرة . واثبتت دباباتهم الجديدة « شيرمان» والتي دخلت المعركة للمرة الاولى أثناء هـذه المعركة انها تفوق دباباتنا بكثير .

وكانت تسبق هجماتهم على خطوطنا غلالات كثيفة من المدفعية فتستمر عدة

ساعات ، ثم تندفع المشاة المهاجمة خلف سحب من النيران والدخان لتزيل الالغام وكل العقبات في طريقها . وعندما كانت ترتطم بعقبة شديدة كانت تحول اتجاهها تحت سحب الدخان ، وبمجرد ان تفتح المشاة ثغرة في حقول الالغام تندفع الدبابات الثقيلة متقدمة وتتبعها المشاة عن كثب . وقد أظهروا مهارة فائقة في تنفيذ هذه العمليات ليلا ويبدو أنهم تدربوا عليها تدريباً مضنياً قبل الهجوم.

وفي الاشتباكات القريبة كانت الدبابات البريطانية القوية التسلح تقترب لمسافة تتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٧٠٠ ياردة مطلقة نيرانها الشديدة على مدافعنا المضادة ودباباتنا التي لا يمكنها اختراق الدروع البريطانية على هذا المدى وكانت كميات الذخيرة الضخمة التي تستنفذها مدرعات العدو (أحياناً كانت تطلق اكثر من ثلاثين طلقة على هدف واحد) كانت تُعوض باستمرار بواسطة حاملات الذخيرة المدرعة . وكانت قنابل المدفعية البريطانية توجه بواسطة ضباط ملاحظة يصاحبون الهجوم المدرع .

٢٧ تشرين اول ١٩٤٢

عزيزتي لو

المعركة صعبة للغاية . ولا يمكن ان تتصوري العبء الذي يثقل كاهلي . وكل شيء في كف القدر فنحن نخوض هذه المعركة تحت ظروف سيئة جداً . ومع ذلك آمل ان ننجح في اجتياز هذه المحنة . وانت تعرفين انني سأضع كل ما لدي من قوة لتحقيق هذا الهدف .

في الساعات الاولى من يوم ٢٧ تشرين قام العدو بهجوم جديد نحو الجنوب العربي متجهين نحو نقطة اختراقهم القديمة جنوب التبة ٢٨ . وقامت قاذفات العدو بقصف مواقعنا الدفاعية في مدة لا تزيد عن عشرة دقائق . وبقيت الجبهة كلها معرضة لغلالة عنيفة المدفعية البريطانية . وكان المفروض ان تقوم الفرقة ٩٠ الخفيفة بهجمات معاكسة محلية في عصر هذا اليوم على التبة ٢٨ بينما تقوم الفرق ٢١ ، ١٥ بانزر وفرقة ليتوريو وجزء من فرقة آريتي بهجوم على المواقع البريطانية بين حقلي الالغام .

وبعد قليل انقضت قاذفاتنا على الخطوط البريطانية وقمت بتركيز كل نيران مدفعيتنا والمدافع المضادة للطائرات بعنف على قطاع الهجوم المنتظر ، ثم انطلقت مدرعاتنا بالهجوم ولكن نيران العدو المميتة انهالت علينا وتوقف هجومنا

بعدها بقليل بسبب الدفاع المضاد للدبابات القوي للغـاية وكان مصدره اساساً المدافع المضادة للدبابات الموجودة في مواقع محفورة وعدد كبير من الدبابات . وتكبدنا خسائر فادحة فاضطررنا للتراجع ، وعلى العموم كانت فرصة النجاح في الهجوم بالدبابات قليلة لأن الفرصة سنحت لهم لاحتلال مواقع دفاعية ،ولكن لم يكن امامنا اجراء آخر . كما ان هجوم الفرقة ٩٠ الخفيفة تحطم بواسطـة المدفعية البريطانية الشديدة وسيل منهمر من قنابل الطائرات . وظهر ان بلاغ الفرقة الذي يتضمن استيلائها على التبة ٢٨ كان غير صحيح .

وفي هذا المساء اضطررنا لاستخدام وحدات قوية من فرق البانزر في الجبهة لسد الثغرات كما احتلت وحدات عديدة من الفرقة ٩٠ الخفيفة مكانها في الخط . وفي هذا اليوم لم يصلنا بطريق الجو سوى ٧٠ طن فقط من البترول ونتج عن ذلك ان الجيش اعيد تموين عرباته بما يكفيها للتحرك لمسافات بسيطة لاننا لم نكن نعرف موعد وصول البترول ، ولا المدة التي ستضطر الوحدات للتصرف خلالها بدون اعادة تموينها . وكانت الكلمة السائدة «أقل تحرك ممكن» متحكمة فينا اكثر من اي وقت مضى .

وفي المساء أرسلنا مرة اخرى إشارة استنجاد لروما ومقر قيادة الفوهرر. ولكن لم يبق أي أمل في تحسين الوضع . وتبين منذ هذه اللحظه أن البريطانيين سيدمرون قواتي تدريجياً لأننا لم نعد نستطيع الحراك في ميدان المعركة ، مع العلم ان مونتغمري لم يلق بعد في أتون المعركة سوى نصف قوته الضاربة فقط .

٢٨ تشرين اول ١٩٤٢

عزيزتي لو

لا أعلم إذا كنت سأستطيع أن أجلس وأكتب بهدوء في الأيام القليلة المقبلة أو حتى للأبد . واليوم ما تزال هناك فرصة .

المعركة قوية ، وربما نستطيع الحفاظ على مواقعنا بالرغم من كل ما اصابنا ولكن ربما ساء الموقف وقديؤدي إلى نتائج وخيمة تؤثر في مجرى الحرب كلها ، لأن شمال أفريقيا ستسقط في أيدي البريطانيين في الأيام القليلة بدون قتال تقريباً وسنعمل كل ما بوسعنا للصمود . ولكن تفوق العدو مريع وإمكانياتنا قليلـة للغاية وإنني أتساءل هل سأتحمل الهزيمة ؟ ان هذا بيـد الله وحده . وجزاء المهزوم شديد .

وأنا سعيد لأن ضميري مرتاح لأني بذلت كل جهدي للنصر ولم أبخل بشيء وأدركت جيداً خلال الاسابيع القصيرة التي قضيتها معكم ماذا تعنيان أنتما الاثنين بالنسبة لي . وآخر مشاعري لكما وحدكما .

وفي اليوم التالي أضطررت لاتخاذ القرار باستدعاء وحدات أخرى إلى الشمال ونتج عن هذا ان القطاع الجنوبي أصبح خالياً تقريباً من الأسلحة الثقيله والوحدات الألمانية . وقد حلت محلها بقية فرقة آريتي التي كانت حتى هذه اللحظة في القطاع الشمالي . وفي الصباح قام البريطانيون بثلاث هجمات على جبهتنا الشمالية ، لكن وحدات البانزر صدتهم على اعقابهم ، ولسوء الحظ فقد خسرنا دبابات كثيرة .

وكما حدث في الايام الماضية استمرت الهجمات الجوية ، بينما بقي الموقف الإداري سيئاً للغاية . وفي ايطاليا تم تجهيز الطرادات الاحتياطية والمدمرات لتزويدنا بالذخيرة والبترول ، ولسوء الحظ ان القليل من هذه السفن توجهت لطبرق ومعظمها وصل بنغازي . وكنا نعلم من التجارب ان النقل من هذه الموانيء إلى الجبهة يستغرق عدة أيام لذلك فقد كان وصول الامدادات قبل فوات الاوان أمراً مستحيلاً .

ومنذ منتصف يوم ٢٨ ظهرت حشود قوية من المدرعات البريطانيه في حقل الالغام وأفترضنا أن العدو سيقوم بشن هجومه الحاسم ولذلك قمنا لصد الهجوم المضاد بقدر ما تسمح به قوتنا المتبقية . ونتيجة للخسائر الفادحة التي تكبدتها فرق المشاة الالمانية الايطالية فقد احتل فيلق افريقيا بأكمله مواقع في الخط . ومرة أخرى اكدت لكل القادة ان هذه المعركة تعني الحياة او الموت وعلى كل ضابط وجندي ان يبذل آخر جهده .

وبعد فترة بدأت غلالة بريطانية مخيفة في ضرب المنطقة غرب التبة ٢٨ . وبعدها بقليل بدأت مئات من المدافع البريطانية قصف قطاع الكتيبة ٢ من الآلاي ١٢٥ شمالي التبة .

ويتابع رومل مذكراته :

بالرغم من ثقل هذا وباستخدام كل مدفع في المنطقة نجحنا في صد الهجوم البريطاني الذي جاء أساساً من حقل الالغام ، وتمكنت فرق المشاة والمدرعات البريطانية من التغلغل في خطوطنا ، وفي الثغرة بين حقلي الالغام وإلى الشمال

منها . ودارت رحى المعركة العنيفة في هذه النقطة مدة ٦ ساعات بقوة متزايدة وأخيراً اجتيحت الكتيبة الالمانية الثانية من الآلاي ١٢٥ والكتيبة ١١ برساليري كما حوصرت وحداتها الفرعية وانهالت عليها قذائف العدو من جميع الجهات ولكنها قاتلت بشراسة .

ورحت افكر في سير المعركة وما قد يحدث والقرارات التي يجب علي اتخاذها . وكان من الصعب أن نصمد أكثر من هذا أمام الهجمات البريطانية الشديدة وكان من الواضح ان لا أنتظر الاختراق الحاسم وإنما علي أن أنسحب غرباً قبل وقوعه . ومثل هذا القرار كان سيؤدي قطعاً إلى خسارتي لجزء كبير من مشاتي غير المحملة وذلك لأن قواتي الميكانيكية قد ضعفت للغاية . وبما أن المشاة كانت مشتبكة بمعركة عنيفة ولا يمكن سحبها ، فكان علينا ان نحاول اجبار العدو على وقف هجومه ، وكان الأمل ضعيفاً ولكن قضية البترول وحدها جعلت الانسحاب الذي كان سيؤدي إلى حرب خفيفة الحركة مستحيلاً .

ولو ان الانسحاب مع كل هذا سيفرض علينا فالغرض الرئيسي للجيش سيكون انقاذ أكبر عدد ممكن من الدبابات والأسلحة نحو الغرب ولذلك يترتب علينا ان لا نبقى في خط العلمين حتى يقضى علينا نهائياً . وعليه فقررت في هذا الصباح (لو زاد الضغط البريطاني أكثر من اللازم) الانسحاب إلى موقع الفوكة قبل ان تصل المعركة لذروتها .

هدوء يسبق العاصفة

وفي صباح ٢٩ تشرين استأنف العدو هجومه ضد الكتيبة ٢ من الآلاي ١٣٥ تحت ستارة مدفعية عنيفة ، وقد قوبل بهجوم من الفرقة ٩٠ الخفيفة لإنقاذ الكتيبة أو حتى لتخفيف الضغط عليها ولكن بقايا الكتيبة ٢ تمكنت من التخلص تحت ستار هذا الهجوم وشقت طريقها نحو الوحدات المجاورة . وما بقي منها كان في عداد القتلى أو الجرحى أو الأسرى . الا أن الهجوم الكبير المنتظر لم يحدث في هذا اليوم كما كان منتظراً .

ويعلق ليدل هارت :

وما ان علم الكسندر ومونتغمري ان روميل نقل الفرقة ٩٩ الخفيفة إلى القطاع الساحلي بما أدى إلى تخفيف احتمال الاختراق السريع هناك لذلك قررا العودة إلى محور الهجوم الاصلي ، لان المقاومة هناك أضحت ضعيفة . »

ويتابع روميل تدوين مذكراته :

تلقيت أنباء مزعجة تقول أن الناقلة «لويزيانا» التي أرسلت محل «بروسبرينا» قد أغرقت بطوربيد جوي . والآن بدا أن خطنا الدفاعي قد انتهى . وقد انصبت عاصفة غضبي (بسبب هذه الانباء) على الجنرال بارباسيتي الذي جاء إلى مقر قيادتي ليمثل المارشال كافاليرو الذي ارتبط بمهام في روما . واكثر ما أغضبني هو ان الطرادات الاحتياطية الايطالية القوية التسليح كانت تذهب إلى بنغازي لتبعد عن مدى الطائرات البريطانية حاملة الطوربيد .

وبدا واضحاً انهم فهموا (حتى في روما نفسها) ان الجيش يواجه احتمال الابادة ، إذا لم يصل البترول على الفور لذلك تقرر استخدام الغواصات والسفن الحربية والطائرات المدنية وكل مساحة في السفن ، ولو ان هذا حدث بعد سقوط طبرق لما كنا موجودين أمام العلمين في نهاية تشرين . ولكن تبين ايضاً ان الاوان قد فات بالفعل .

٣٠ تشرين الاول ١٩٤٢

عزيزتي لو :

بدأ الحال يهدأ شيئاً فشيئاً . وقد استمتعت بنوم معقول . وكل ما ارجوه ان اتمكن من تحقيق آمالي .

واستمرت الجبهة على هدوئها النسبي فيما عدا نيران المدفعية الشديدة والغارات الجوية التي قصفت مناطقنا الشمالية . وفي هذا اليوم وصلتنا ٦٠٠ طن من البترول من احدى السفن الايطالية فقمت بجولة لاستطلاع موقع الفوكة . وكان الجيش قد تحطم نتيجة للغارات الجوية والمدفعية لدرجة أنه لم يعد في امكاننا التشبث بأمل الصمود في وجه محاولات البريطانيين للاختراق التي كانت متوقعة كل ساعة . وفي الارض المكشوفة أصبحت فرق المشاة الايطالية تشكل عبئاً ثقيلا وذلك لعدم وجود اي حملة معها . وفي انسحابنا من برقة في عام ١٩٤١-١٩٤٢ كان الايطاليون المحاصرون لطبرق بعيدين نحو الغرب

بدرجة سمحت بانسحابهم بمساعدة قواتنا المحملة والمدرعة .

أما هنا فان أي انسحاب للمشاة سيؤدي لفتح القطاعين الأوسط والجنوبي أمام القوات الميكانيكية البريطانية القوية المستعدة هناك . والشيء الوحيد الذي يمكن ان نفعله هو محاولة الهروب بالمشاة أثناء الليل، ومن ثم تحميل كل الوحدات التي يمكن تحميلها على العربات الموجودة وذلك بعد أن نكوّن جبهة واسعة بالقوات الميكانيكية ثم ننسحب قتالا نحو الغرب . ولكن كان علينا أن ننتظر أولاً تقدم البريطانيين حتى نتأكد من اشتباكهم في المعركة وبذلك لا يستطيعون إلقاء ثقل قوتهم فجأة في أي ثغرة في جبهتنا وبذا يحققوا غرضهم في الاختراق.

وأصدرت أوامري بسحب الفرقة ٢١ بانزر (من خط الدفاع الرئيسي غرب حقل الالغام) لتصبح حرة الحركة مرة اخرى ، وكانت ستحل محلها فرقة تريستا. وكانت هذه التحركات جارية بالفعل أثناء الليل عندما بدأت المدفعية البريطانية قصفها فجأة على المناطق التي تحتلها فرق المشاة في الشمال . واشتبكت مدفعية الجيش والمدفعية المضادة للطائرات مع مناطق تجمع البريطانيين فوراً جنوب حقل الألغام ولكنها لم تتمكن من تحطيم التجمعات الكثيفة للمشاة البريطانية والتشكيلات المدرعة في هذا القطاع . وبعد ساعة من التحضير بدأ الاستراليون هجومهم .

وفي صباح اليوم التالي وصلت قوة مؤلفة من ٣٠ دبابة بريطانية ثقيلة الى الطريق الساحلي وهاجمت جزءاً من الآلاي ٣٦١ المشاة الذي يحتل الخط الثاني . وحيث ان الفرقة ٢١ بانزر كانت ما تزال تقوم بتسليم مواقعها لفرقة تريستا لذا كانت الوحدة الوحيدة الموجودة للقيام بالهجوم المضاد هي الكتيبة ٥٨٠ استطلاع. وتحركت على الفور الى سيدي عبد الرحمن وأقمت نقطة قيادتي شرق المسجد . وكان العدو في هذا الوقت قد شق طريقه الى الساحل وعزل الألاي ١٢٥ مشاة. وعينت الجنرال فون توما الذي ظهر في مقر قيادتي مع بايرلاين لقيادة الهجوم المضاد الذي ستقوم به وحدات من الفرقة ٢١ بانزر والفرقة ٩٠ الخفيفة . وكان سيسبقه هجمات شديدة من القاذفات المنقضة ، علاوة على غلالة من مدفعية هذا القطاع بكامل قوتها .

وبدأنا بالهجوم ولكننا لم نتمكن من الوصول الى أهدافنا لأن العدو حطم مدرعاتنا ومشاتنا بقصف مركز من المدفعية ومن الجو . ومع هذا فقد استعدنا

الاتصال بالآلاي ١٢٥ . وفيما بعد تمكنا من انقاذ الكتيبتين بهجوم جديد تحت قيادة الجنرال فون توما في اليوم التالي ، ونجحت في طرد العدو نحو الجنوب عبر خط السكة الحديدية .

وفي وقت مبكر من بعد ظهر ذلك اليوم (١تشرين ثاني) ذهبت الى التبة ١٦مع الجنرال فون توما والجنرال سبونيك والعقيد بايرلاين لألقي نظرة على المكان الذي دارت عليه المعركة . وكانت الرؤية ممتازة : وعلم الصليب الأحمر يرفرف فــوق محطة السكة الحديدية «الكوخ» بالقرب من تل العيصي والبريطانيين يسمونه مركز « تومبسون» .

وكانت توجد سبعة دبابات محطمة بالقرب من «الكوخ» كما رأينا حوالي ٣٠ أو ٤٠ عربة مدرعة بريطانية مدمرة هي الاخرى . ويبدو أن البريطانيين كانوا يقومون بإخلاء جرحاهم لذلك أمرت مدفعيتنا بالتوقف عن الضرب .

اما الموقف الإداري فقد بقي على سوئه رغماً عن تحسن موقف البترول بعض الشيء نتيجة لزيادة الامدادات القادمة جواً الى طبرق . اما الذخيرة فقد كانت من أسوأ ما يمكن . فلم يصل للساحل الافريقي سوى ٤٠ طناً منذ ان بدأالهجوم البريطاني مما اضطرنا للاقتصاد وعدم ضرب مناطق التجمع البريطاني الا للازعاج.

وحتى هذا الوقت لم يستخدم البريطـانيون سوى عدد بسيط من فرقهم في الجبهة فقد كان لديهم حوالي ٨٠٠ دبابة حشدوها في مواجهة القطــاع الشمالي لتسديد الضربة الحاسمة . أما نحن فلم يكن لدينا سوى ٩٠ دبابة ألمانية و ١٤٠ إيطالية لكي نستخدمها في المعركــة . ولكن كيف كان الموقف في روما ؟ وأحسن تعريف لهذا الموقف الاشارة التي بعث بها كافاليرو والتي وصلتنا في مساء أول تشرين الثاني .

« إلى الفيلد مارشال رومل .

سمح لي الدوتشي بأن أنقل اليك تقديره العميق للهجوم المعاكس الذي قدته بنفسك . كما ان الدوتشي يبعث اليك بثقته التامة في ان المعركة الدائرة ستنتهي نهاية حسنة تحت قيادتك »

أوجو كافاليرو

وقد تبين لي أن مقر قيــادة الفوهرر لم يكن عالماً بالموقف في إفريقيا هو الآخــر .

وأحياناً يكون من سوء حظ المرء ان يتمتع بشهرة عسكرية معينة . فهو يعرف قدرته ولكن الآخرين ينتظرون منه المعجزات وينسبون الهزيمة للاهمال المقصود .

النصر او الموت :

بدأ الهجوم البريطاني الكبير المتوقع ليلة اول تشرين الثاني . وانهالت القذائف من مئات المدافع البريطانية على خطوط دفاعنا الرئيسية لمدة ثلاث ساعات ،وفي الوقت نفسه هاجمتنا القاذفات البريطانية ثم تقدمت حشود المشاة والمدرعات غرباً للهجوم . وتغلغل البريطانيون في خطوطنا بعد وقت قصير وتقدموا عبرها بالدبابات والسيارات المدرعة نحو الغرب . وبعد قتال عنيف نجحنا في صدهم وذلك بإلقاء احتياطي الفرقة ٩٠ الخفيفة في المعركة . ودعم العدو قواته تدريجياً في النتوء الذي انشأه في خطنا .

وبعد قليل قامت حشود اخرى باختراق جبهة الفرقة ١٥ بانزر جنوبي غربي التبة ٢٨ . وتقدمت المشاة النيوزيلندية والمدرعات البريطانية واجتاحت آلاي من الفرقة تريستا وكتيبة من المشاة الألمانية بالرغم من مقاومتها العنيفة ، وفي الفجر وصلت الى نقطة تقع غرب مدق التلغراف .

وتبعاً لتقارير ضباط ملاحظة مدفعيتي فقد كان هناك ٤٠٠ دبابة بريطانية تقف شرقي حقول الألغام . ونجحت مجموعات منفصلة من الدبابات البريطانية والسيارات المدرعة في شق طريقها نحو الغرب ، وبدأت في اصطياد وحدات إمدادنا .

وفي الساعات الاولى من صباح الثاني من تشرين قام فيلق أفريقيا بهجوم معاكس فأحرز بعض النجاح مع انه تكبد خسائر جسيمة في المدرعات لأن دباباتنا لم تستطع ببساطة مواجهة الدبابات البريطانية الثقيلة . وقد أمكن إقفال الثغرة التي بلغ طولها ٤٠٠٠ يارده والتي أنشأها العدو في خطوطنا وقد وضعت فيها قيادة العدو خمسة عشر آلايا من المدفعية وكميات هائلة من الذخيرة . ولم تتمكن بعد ذلك من فتح ثغرة اخرى إلا باستخدام كل المدفعية .

وكان من الصعب جداً في هذه المرحلة أن نحصل على اية معلومات واضحة عن الموقف ، لأن كل وسائل اتصالنا كانت قد دمرت وأغلب شبكات إشارتنا كانت مشوشة ، وسادت الفوضى تماماً في عدة نقاط من الجبهة .

ووضعنا الفرق ٢١ و ١٥ بانزر بالترتيب من الشمال إلى الجنوب للقضاء على ثغرة العدو . وتلا ذلك قتال عنيف بين الدبابات . وقامت الطائرات والمدفعية البريطانية بقصف قواتنا دون هوادة وفي منتصف اليوم قامت حوالي مائة طائرة بريطانية بالقاء حمولتها على قواتي لمدة ساعة . وأخذت المدافع ٨٨ مم (التي تعتبر السلاح الوحيد الفعال ضد الدبابات البريطانية الثقيلة) تتوقف عن الضرب الواحد بعد الآخر . وعلى الرغم من احضارنا للجبهة كل مدفع مضاد للطائرات موجود فلم يكن لدينا من المدافع سوى ٢٤مدفعاً سليماً في هذا اليوم. وبعدها بقليل أصبحت كل قواتنا المحملة مشتبكة في الجبهة . وقد أخذنا كل ما يمكن أخذه من وحداتنا الإدارية ومع هذا فان قواتنا المقاتلة لم تكن سوى ثلث ما دخلنا به المعركة .

وذهبت للجبهة مراراً حيث راقبت سير المعركة من مرتفع وكان العدو يدمر دبابات فرقتي ليتوريو وتريستا الواحدة تلو الأخرى . ولم يكن المدفع الايطالي المضاد للدبابات من عيار ٤٧ مم اكثر فعالية ضد الدبابات البريطانية من مدفعنا عيار ٥٠ مم ، وبدأت علامات التفكك تبدو على القوات الايطالية ورأيت بعض وحدات فرقتي ليتوريو وتريستا تهرب بالفعل إلى الغرب ولم يعد لضباطها أي سيطرة عليها .

وفي عصر هذا اليوم اضطرتنا خطورة الموقف في الشمال لاتخاذ قرار باحضار فرقة أريتي إلى الشمال على طول مدق التلغراف فاضحت جبهتنا الجنوبية مكشوفة تماماً . وبعد شيء من التعطيل نجحت في الاتصال بالعقيد بايرلاين بواسطة رئيس الاركان حرب واعلمته بقراري ، وتحركت فرقة أريتي إلى الشمال وأحضرت معها جزءاً كبيراً من المدفعية من الجبهة الجنوبية كما قررت أن الوقت قد حان ولكي أقلل من طول الجبهة قررت سحب الآلاي ١٢٥ من مواقعه وإعادة وضعه في مواجهة الشرق على طول مدق التلغراف .

وفي المساء وصلني التقرير عن الموقف الاداري لجيش البانزر . وكان ميئوساً منه تماماً .

وقد اطلقنا في هذا اليوم ٤٥٠ طناً من الذخيرة ولم يصلنا سوى ١٩٠ طناً أحضرتها لنا ثلاث مدمرات إلى طبرق .

اما العدو فكان متفوقاً بالجو إلى ما وراء طبرق ، حيث كان يهاجم المدينة والميناء باستمرار .وأغرق العديد من السفن في الميناء. ونظراً لتحركاتنا المتزايدة

فقد تأزم البترول مرة أخرى . وكان ما يزال أمامنا قتال عنيف .

وفي هذا المساء علمنا ان العدو يقوم بحشد مدرعات النسق الثاني في نقطة اختراقهم وهذا يعني اندمارنا اصبح وشيك الوقوع . ولم يعد لدى فيلق أفريقيا سوى ٣٥ دبابة سليمة .

ويعلق ليدل هارت .

« كانت الأمور على غير هذا المنوال « في الجانب الآخر من التل » فاللواء ٩ المدرع خسر ٧٥ ٪ من قوته حيث دمرت له ٨٧ دبابة ، وبالرغم من أن اللواءين ٢ و ٨ المدرعين وصلا عبر الممر لتدعيمه ، لكن الهجوم توقف لاستخدام ستارة المدافع المضادة للدبابات بالمواجهة مع التهديد بالدبابات من الجانبين ، وظل التقدم متوقفاً طيلة اليوم التالي مما اتاح لرومل فرصة معقولة للهرب من المصيدة » .

ويتابع رومل مذكراته :

وكانت هذه هي الفرصة الملائمة للتراجع الى خط الفوكة . وبعض أجهزتنا الخلفية كان قد جرى نقلها بالفعل الى الغرب . وفي الليل سحبت الجبهة الجنوبية الى المواقع التي كنت احتلها قبل هجومنا في نهاية آب. وتحرك الآلاي ١٢٥ إلى المنطقة جنوب سيدي عبدالرحمن . وكان على الفرقة ٩٠ الخفيفة وفيلق افريقيا والفيلق العشرون الايطالي بعد ذلك الانسحاب ببطءلتسمح لفرق المشاة المترجلة بالتحرك بعيداً سيراً على الاقدام أو الانتقال بأي حملات باقية .

وبعد الايام العشرة التي استغرقها القتال أصبحت قوة الجيش مرهقة لحد أنها لم تعد تقوى على إظهار أي مقاومة جدية عند محاولة العدو التالية لاختراق خطوطنا والتي توقعنا وقوعها في اليوم التالي . ونظراً للعجز الشديد في حملتنا الميكانيكية فأي انسحاب منظم لقواتنا غير المحملة بدا مستحيلا. هذا بالاضافة الى ان قواتي الميكانيكية كانت مشتبكة في القتال عن كثب لدرجة أنه لم يكن من الممكن تخليصها بالكامل. وبناء عليه كان علينا ان ندخل في اعتبارنا احتمال التدمير التدريجي للجيش. فأرسلت تقريراً بهذا الموضوع لمقر قيادة الفوهرر .

وكان هدفنا في يوم ٣ تشرين الثاني الانسحاب امام الضغط البريطاني الى رقعة ممتدة من نقطة تبعد حوالي عشرة أميال الى شرق الضبعة . وقد أمكننا التخلص من القطاعين الاوسط والجنوبي بدون ان يتنبه العدو لهذا . وقد

اضطررنا لسحب أغلب الأسلحة الثقيلة بواسطة الأفراد لعدم توفر العربات مما أدى الى بطء التحرك . فبالرغم من كل هذه الصعاب وصلت الفرقة الجنوبية الى مواقعها الجديدة في الصباح .

رومل يعتبر الموتى محظوظين :

عزيزتي لو

المعركة عنيفة وهي تسير ضدنا. ونحن ننهار بسبب قوة هجمات العدو . وقد حاولت انقاذ جزء من الجيش . وأنني أشك في نجاحي . وفي الليل أنام وعيناي مفتوحتان باحثاً بأفكاري عن مخرج من هذا المأزق لقواتي البائسة .
ونحن نواجه أياماً حرجة للغاية وربما كانت أصعب ما يمكن أن يواجهه المرء. والموتى محظوظون فالموضوع قد انتهى بالنسبة لهم . افكر فيك باستمرار بحب من قلبي وعرفان بالجميل . وربما أصبح كل شيء على ما يرام وربما تقابلنا مرة أخرى .

سيظل يوم ٣ تشرين يحمل ذكراه في التاريخ لا لأن آ لهة الحرب قد تخلت عنا فحسب وإنما لأنه منذ هذا اليوم توقفت حرية جيش البانزر بسبب تدخل السلطات العليا في سير العمليات .

ومنذ الصباح وأنا أشعر بعدم الاطمئنان لأنه بالرغم من تقارير الموقف الواضحة التي أرسلناها فقيادتنا العليا لم تخرج منها بالنتائج الصحيحة أو بفهم للظروف التي كنا نجابهها ، لذلك قررت إرسال الملازم برندت لتوضيح الموقف للفوهرر بنفسه . وكان على برندت الذهاب إلى مقر قيادة الفوهرر بدون أي غموض في ذهنه عن حقيقة موقفنا وكان عليه ان يوضح ان الحرب في افريقيا قد فقدت .

وكنت أرغب في تجنب الوقوع في شراك البريطانيين بأي ثمن والهرب من محاولتهم لتطويقنا وتدميرنا . وكنت أنوي مقاتلتهم بأسلوب تعطيلي في مواقع مؤقتة في أكثر من مكان واجبر العدو على احضار مدفعيته في كل مرة متفادياً أي معركة حاسمة لحين ان نصل بقواتنا إلى ما يسمح لنا بدخول مثل هذه المعركة او نكون قد نقلنا أغلب الجيش الإفريقي عبر الصحراء إلى أوروبا مع

ترك جزء صغير في أفريقيا لتغطية الانسحاب .
وفي الساعة التاسعة صباحاً سرت شرقاً على طول الطريق الساحلي إلى مقر قيادتي الأمامي وفي الطريق رأيت أعداداً كبيرة من العربات أغلبها ايطالي ولكن الغريب أنه لم تكن هناك أي قاذفات مقاتلة بريطانية فوقها . وبعد قليل اخبرني الجنرال فون توما والعقيد بايرلاين أن البريطانيين موجودون في نصف دائرة في مواجهة فيلق أفريقيا الذي كان بحوزته ٣٠ دبابة فقط . وكان البريطانيون يقومون بعمليات استكشاف محلية فقط وبدا كما لو أنهم يقومون باعادة تنظيم قواتهم .

وبدت الفرصة ملائمة فأصدرت أوامري لجزء من الفرق الايطالية بالتقدم . وبالرغم من طلبنا المستمر لروما فالعربات التي وعدنا بها بارباسيتي لم تصل بعد ، لذلك فقد ترتب على الايطاليين ان يسيروا على الاقدام وكانت قوات كبيرة من العربات تتحرك بالفعل نحو الغرب ولكن البريطانيين لاحظوا تحركاتنا فهاجموا الطريق الساحلي بحوالي ٢٠٠ طائرة .

وفي حوالي منتصف اليوم عدت إلى مقر قيادتي مسرعاً من السيل المنهمر من القنابل التي القتها ١٨ قاذفة بريطانية علينا . وبعد قليل من وصولي جاءني أمر من الفوهرر كان نصه :

هتلر يأمر بعدم الانسحاب

إلى الفيلد مارشال رومل
في هذا الموقف الذي وجدت نفسك به يترتب عليك الا تفكر في شيء سوى الثبات والقذف بكل مدفع وكل رجل في أتون المعركة كما ان أقصى المجهودات تبذل لمساعدتك . وعدوك بالرغم من تفوقه لا بد وان يكون قد بلغ منتهى جهده.ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي تنتصر فيها الإدارة القوية على الجيوش الكبرى . أما عن قواتك فيجب ألا تمر بها من طريق سوى طريق النصر أو الموت .

ادولف هتلر

وقد طلب مني بهذا الأمر ان اعمل المستحيل ، فعلى الرغم من تقارير الموقف

الصريحة إلا ان قيادة الفوهرر لم تدرك بعد الأمور على حقيقتها في أفريقيـــا . فالأسلحة والبترول والطائرات هي التي تستطيع مساعدتنا وليست الاوامر ، لأننا ضعفنا تماماً ، ولأول مرة خلال الحملة الأفريقية لم أعرف ما الذي أقرره ، وقد سيطر علينا شعور بالتبلد أثناء إصدارنا الأوامر لكل المواقع الصامـــدة بالثبات بتعليمات من أعلى السلطات . وأجبرت نفسي على تنفيذ الأمر لأني كنت افرض الطاعة العمياء على الآخرين لذلك يترتب علي ان أطبق نفس المبـــدأ على نفسي .

ولو أني علمت ما هو أمامي لتصرفت بطريقة مختلفة ومنذ ذلـــك الوقت اضطررنا للتحايل على أوامر الفوهرر أو الدوتشي لإنقاذ الجيش من الدمـــار . ولكن هذه كانت المرة الأولى التي تدخلت فيها السلطات العليا في إدارة العمليات التكتيكية في حرب افريقيا وكانت صدمة عنيفة .

وأوقفنا تحركاتنا إلى الغرب وقمنا بكل ما في وسعنا لدعم قواتنا المقاتلة . وأرسلنا إلى الفوهرر أن أي ثبات في المواقع التي يحتلها جيش البانزر في هـــذا الوقت ستعني ضياع الجيش ومعه شمال أفريقيا بأكملها .

وكان تأثير الأوامر قوي على القوات . فعنـــد صدور أي أمر من الفوهرر كانت القوات على استعداد للتضحية بنفسها إلى آخر رجل .

ولم يبدأ العدو في تعقب الفيلق العاشر الإيطالي عندتراجعه من القطاع الجنوبي إلا بعد الظهر بعد ان قضوا طيلة الصباح في قصف المواقع الخالية .

وقد صدت الهجمات على الجانب الشمالي للفيلق وتكبد هـــذا الفيلق خسائر جسيمة خاصة من سيارات العدو المدرعة التي اخترقت خطوطنـــا وضربت قوافل امدادنا وقد أدى هذا إلى استحالة عملية امداد قوات الفيلق العاشر ولو بأبسط الاحتياجات . وأخيراً اضطررنا لاستخدام السيارات الإيطالية المدرعة لحماية القوافل .

٣ تشرين الثاني ١٩٤٢

عزيزتي لو

ما زالت المعركة دائرة ، وليس هناك من أمل بعد الآن في إنهاء المعركـــة بنجاح حتى ولو حدثت معجزة. وسيسافر برندت اليوم بطريق الجو إلى الفوهرر ليقدم تقريره .

وفي المساء أرسلت الملازم برندت الى الفوهرر ليعلمه أن تنفيـذ أمر الفوهرر سيؤدي الى الدمار النهائي للجيش الالماني والايطالي وهذه المسألة لن تطول اكثر من أيام معدودات . بالاضافة الى أننا خسرنا حتى الآن خسائر ضخمة بسببه . وفي وقت متأخر من نفس الليـلة أعلمني برندت من مرسى مطروح أن مئـات الطائرات قد هاجمت الطريق المزدحم بالقوافل المنطلقة في الاتجاهين . وكان الطريق مقفلا في نقط عديدة بالسيارات المحترقة وقد توقفت حركة المرور بشكل مخيف . وفي كثير من الأحيان كان السائقون والجنود يتركون عرباتهم ليفروا نحو الغرب سيراً على الأقدام .

وفي صباح يوم ٤ تشرين كان فيلق أفريقيا تحت قيادة الجنرال فون توما قد أصبح قرب الفرقة ٩٠ الخفيفة تحت قيادة الجنرال فون سبونيك ويحتل خطاً نصف دائري على جانبي تل المبصرة ويمتد حوالي عشرة أميال جنوب الخـط الحديدي حيث كان يتصل بالفيلق الايطالي المدرع (الذي يتكون من فرقة آريتي وبقايا فرقتي ليتوريو وتريستا) . أما المنطقة في الجنوب فكانت فرقـة ترينتو تحتلها .

وبعد ضرب عنيف من المدفعية لمدة ساعة بدأ البريطانيون هجومهم ولكننا نجحنا في صد هذا الهجوم الذي ساندته حوالي ٢٠٠ دبابـة والذي استمر حتى منتصف اليوم . ولم يعد لدى فيلق البانزر الالماني سوى ٢٠ دبابة سليمة .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« جاء في تقرير الكسندر : كانت خسائرنا عاملاً غير مهم بالنسبة لعمليـة المطاردة ، ففي ٥ تشرين كان الجيش الثامن يستطيع الدخول في المعركة بحوالي ٦٠٠ دبابة في مواجهة ٨٠ دبابة المانية ، وكان عدد الدبابات الألمانيـة التي بقيت صالحة للقتال أقل مما كنا نظن . وقد تعطلت اكثر من خمسمائه دبابة بريطانية في القتال ولكنهم بالرغم من ذلك يستطيعون تحمـل هذه الخسارة ، كما ان الخسائر التي ألحقوها بالعدو كانت أشد أثراً » .

ويتابـع روميل مذكراته :

جاء الفيلد مارشال كسلرينج إلى قيادتي في الصباح وقد تبودلت بيننا بعض الكلمات الشديدة اللهجة لاعتقادي أن الفوهرر بنى قراره على تقارير موقف غير صحيحة أرسلها السلاح الجوي الالماني ، وكان كسلرينج يعتقد أن الفوهرر قـد

اكتسب من تجاربه في الشرق أنه في مثل هذه الظروف يجب الصمود بأي ثمن. وقد قلت له بكل وضوح :

« حتى الآن كنت افترض أن الفوهرر قد وضع قيادة الجيش بين يدي . وأن هذا الأمر الجنوني قد سقط علينا كالصاعقة . فهو لا يستطيع ان يطبق التجارب ذاتها التي اختبرها في روسيا على الحرب في افريقيا . وكان الأفضل لو ترك اتخاذ القرارات هنا لي ».

وفي الواقع ان الفوهرر بنى أوامره على أسس غريبة كما تبين فيما بعد بكل وضوح ، فالعادة قد جرت في مقر قيادة الفوهرر بأن تحتل الأمور العسكرية ثانية بعد الناحية الدعائية ولذلك لم يجرأوا على مصارحة الشعب الالماني والعالم كله أننا فقدنا العلمين ، وكانوا يظنون انه باستطاعتهم تفادي مثل هذا الموقف بأمر يقضي «بالنصر أو الموت » .

وبعد اجتماعي مع كسلرينج ذهبت الى مقر قيادة فيلق افريقيا الواقع في خندق يبعد عدة أميال غرب الجبهة . وقبل ذهابي اتصلت تلفونياً ببايرلاين لأخبره أن الفرقة ٩٠ الخفيفه تحتل بروزاً خطيراً نحو الشرق وان على فيلق أفريقيا أن ينسحب ببطء إذا أصبح الضغط البريطاني أقوى من اللازم .

وعند وصولي علمت من رئيس العمليات أن البريطانيين لم يحضروا مدفعيتهم بعد الى جبهة فيلق افريقيا وأن هجماتهم قد أمكن ايقافها . ثم سمعت بالتليفون من رئيس أركان حربي وستيفال أن البريطانيين اخترقوا جبهة الفيلق الواحد والعشرين جنوب الفيلق العشرين وأن وحدات الفيلق الواحد والعشرين تنسحب غرباً . وكانت المدافع الايطالية المضادة للدبابات عديمة الجدوى في مواجهة الدبابات البريطانية الثقيلة .

تدمير الفيلق ٢٠ الايطالي :

وصل بايرلاين إلى قيادة الفيلق الأفريقي عائداً من الجبهة حيث قدم لي تقريره عن الموقف . وكان الفيلق يحتل منتصف الخط عند تل المبصرة وكانت الفرقة ٢١ بانزر الى الشمال منه والفرقة ١٥ بانزر الى الجنوب. وقال بايرلاين أن مجموعة قتال القيادة قد أبيدت وأنه لم يستطع إقناع الجنرال فون توما بمغادرة الخط

الأمامي وربما يكون قد لقي مصرعه . وقد اضطر بايرلاين في آخر لحظة للهرب عندما أصبحت المدرعات البريطانية على وشك اجتياح التل .

وقد شاهدنا سحباً ضخمة من التراب نحو الجنوب والجنوب الشرقي من مقر القيادة حيث كانت المعركة اليائسة دائرة بين الدبابات الايطالية الضعيفة الرديئة الصنع التابعة للفيلق العشرين ضد حوالي مائة دبابة بريطانية ثقيلة كانت قد التفت حول جناحها الأيمن المعرض .

وفي المساء كان الفيلق العشرون الايطالي قد دمر تماماً بعد ان قاتل بشجاعة كبيرة وقد خسرنا في آريتي أقدم زملائنا الايطاليين الذين كنا نطلب منهم دائماً العمل أكثر مما يستطيعون ان يفعلوه بتسليحهم الضعيف .

وعندما نظرت إلى ميدان المعركة من قيادة الفيلق وجدت أن كل تشكيلات الدبابات البريطانية قد اخترقت فيلق أفريقيا هو الآخر وبدأت في الاندفـــاع غرباً .

وقد دافعت الفرقة ٩٠ الخفيفة عن مواقعها بكل شجاعة ضـــد الهجمات البريطانية ، ولكن خط فيلق أفريقيا اخترق بعد مقاومة عنيفـــة من جانب وحداته . وعليه فقد وصلنا إلى ما حاولنا أن نتفاداه : اخترق العدو المحمل بالكامل جبهتنا واندفع نحو بسرعة مؤخرتنا . والأوامر العليا لم تعد ذات قيمة .

وكان علينا إنقاذ ما يمكن إنقاذه . وبعد ان تشاورت مع العقيـــد بايرلاين الذي تسلم قيادة فيلق أفريقيا مرة ثانية أصدرت الأمر ببدء الانسحاب على الفور وقد حاول الجنرال فون توما وقف هذا الاختراق البريطـــاني بواسطة مجموعة قتال قيادة الفيلق ، لكنه فشل ووقع في الأسر بعد تدمير قوته .

الفصل الرابع

تعليقـــات

١ - ضعف الشئون الادارية والمساعدة الجوية :

كانت خسارتنا فادحة وحاسمة لأن هزيمتنا نتج عنها أن خسرنا جزءاً كبيراً من المشاة والقوات الميكانيكية .

والغريب في الأمر أن السلطات الألمانية والإيطالية العليا لم تبحث عن الخطأ في تقصير الامداد والتموين أوضعفنا الجوي وإنما راحت تبحث في القيادة والقوات لقد قيل أننا تخلينا عن أسلحتنا وأنني كنت من دعاة الهزيمة ومن المتشائمين في تلك الظروف الصعبة وان القسم الأكبر من المسئولية يقع علي . كما أن هؤلاء الذين كانوا يريدون لنا الدمار ومعظمهم من الذين نقموا على نجاحنا قـد اتخذوا من هزيمتنا الشجاعة طريقة لصب جام غضبهم علينا ، بينما كانوا يلزمون الصمت حتى هـذا الحين . وكان جيشي الذي أصبح بين أيـدي العدو ، كان أساتذة الاستراتيجية المنزلية المؤهلين يحلمون بعمليات ضد كازا بلانكا .

شروط النجاح

إن الشرط الأول الضروري لكي يتحمل الجيش العبء في المعركة هو في وجود مخزون كاف من الأسلحة والوقود والذخيرة . فالمعركة تبدأ وتنتهي عند رئيس الشئون الإدارية وذلك قبل ابتداء الاشتباك الفعلي. فالشجاع لا يستطيع أن يفعل شيئاً بدون مدافع ، والمدافع لا تفعل شيئاً بدون ذخيرة ، والمدافع والذخيرة لا تكون ذات قيمة تذكر في الحرب الخفيفة الحركة ما لم توجد عربات

ووقود كاف ليحركها في كل مكان .

والشرط الثـاني لكي يستطيع الجيش الصمود في المعركة هو في ايجاد التعادل أو التقارب مع العدو في القوة الجوية . ولو كسب العدو السيادة الجوية واستغلها فإن القيادة ستعاني من القيود ونواحي التقصير الآتي ذكرها :

أ - يستطيع العدو بواسطة قواته الجويـة أن يعرقل سير إمداداتنا خاصة إذا جرى نقلها بحراً .

ب - يستطيع العدو أن يمارس معركة التعرية (التدمير التدريجي) من الجو .

ج - إن استغلال العدو لتفوقـه الجوي بدرجة كاملة تؤدي الى قيـود تكتيكية خطيرة الأثر وضحتها لقياداتنا .

وفي المستقبل تسبق المعركة الجوية المعركة البرية زمناً . وهذا سيقرر أي المتقاتلين سيعاني في المعركة وتحت القيود ونواحي العجز المذكورة فيضطر خلال المعركة لاتباع الحلول الوسط للتخلص من هذا المأزق .

٢ ـ أسباب انتصار مونتجمري

إن اسس القيـادة البريطانية لم تتغير فالأسلوب الواضح والالتزام بالنظام المعروف كان أبرز صفات التكتيكات التي اتبعوها . ولكن في هذه المرة ساعدت هذه الأسس الجيش الثامن في احرازه النصر للأسباب التالية :

أ - لم يكن هناك قتال فيصحراء مكشوفة لأن قواتنا الميكانيكية اجتذبت الى الجبهة لتدعيم المشاة المشتبكة بالمواجهة .

ب - كان العدو متفوقاً في الأسلحة لدرجة انـه استطاع إنهاء أي عملية لصالحه .

والأساليب التي اتبعها العدو في تدمير قواتي كانت نابعة من تفوقـه الكبير والتي كانت مبنية على ما يلي :

أ - تركيز شديد من المدفعية .

ب - هجمات جوية مستمرة من القاذفات .

ج - هجمات محلية محدودة مع استخدام كميات هائلة من العتاد .

وبالنسبة للأسباب الباقية فقـد اتخذ العدو أساساً لخططه مبدأ الاحصاء الدقيق ، وهو مبدأ يمكن اتباعه عند إحراز التفوق العددي المطلق .

اساليب حرب المدرعات

لم يكن للبريطانيين من هذه الناحية اتبـــاع أساليبهم الجديدة إلا باستعمال دباباتهم الجديدة الأقوى تسليحاً وتدريعاً ، وهي الجرانت والدبابة لي والشيرمان ويقال أن الدبابة الثقيله تشرشل ظهرت أيضاً مع الكميات من الذخيرة الضخمة .

وكانت الدبابات الخفيفة تتقدم الدبابات المسلحة تسليحاً قوياً والتي يبقونها في الخلف . وكان على الدبابات الخفيفة اجتذاب نيران مدافعنا المضادة . وما أن تكشف مدافعنا ودباباتنا عن مواقعها تبدأ الدبابات البريطانية الثقيلة قصف كل الأماكن التي يمكنها تحديدها من مسافات تصل الى ٢٧٠٠ ياردة . وبذلك تمكن العدو من تدمير دباباتنا وأوكار المدافع التابعة لنا ومواقع مدافعنا المضادة وذلك من مسافات لم يكن في مقدور مدافعنا أن تخترق دروعها بسبب تدريـع دباباتهم ولم يكن في استطاعتنا على أي حـــال أن نستنفذ الكميات اللازمة من الذخيرة لتدميرها .

تكتيكات المدفعية

وقد أظهرت المدفعية البريطانية مرة ثانيـة عظمتها المعروفة . ومن المظاهر البارزة في عملياتها خفة حركتها وسرعتها في تلبية القوات المهاجمة. ومن الواضح أن الوحدات البريطانية المدرعة كانت مزودة بضباط المراقبة أماميين للمدفعية لكي يقوموا باعلام حاجة المقدمة الى المدفعية في الخلف في أسرع وقت ممكن .

وبالاضافة الى وجود كميات ضخمة من الذخيرة فإن العدو قد استفاد كثيراً من المدى الأكبر للمدفعية مما مكنه من ضرب مواقع المدفعيـــة الإيطالية من مسافات لم تستطع المدفعية الإيطالية ذات المدى الصغير أن ترد عليها .

تكتيكات المشاة

بعد أن دمرت المدفعية مواقع دفاعنـا بالاشتراك مع الدبابات والطائرات ، هاجمتنا المشاة البريطانية بعـــد أن قامت المدفعية البريطانية بتثبيت نقطنـــا الخارجية في أماكنها التي استطاعت أن تكشفها بواسطة الاستطلاع الجوي ، ثم قام المهندسون البريطانيون تحت ستارات من الدخان بإزالة الألغـــام وفتحوا

ممرات عريضة عبر حقول ألغامنا .

ثم بدأ الهجوم بالدبابات تتبعها المشاة . وأثناء عمل الدبابات كمدفعية متحركة قامت مجموعات الاقتحام البريطانية بشق طريقها الى مواقعنا الدفاعية وهاجموا فجأة خنادقنا . وكانت كل خطوة تتم بانتظام حسب النظام .

ثم تتبع المدفعية المشاة للقضاء على أي مقاومة باقية . ولم يقوموا باستغلال النجاح في العادة بعمق وإنما اكتفوا باحتلال المواقع المحتاجة التي كانت تصل اليها التعزيزات والمدفعية وتقوم باحتلالها للدفاع واستمرت الهجمات الليلية كاختصاص للبريطانيين .

الفصل الخامس

الانسحاب

هروب قوات المحور من كماشة الهجوم الجوي والبري للانجليز

في ليلة الرابع من تشرين الثاني انسحب الجيش الى الفوكة . وقد تمت عملية التحرك على جبهة واسعة عبر الصحراء المكشوفة وذلك لأن الطريق الساحلي كان مضيئاً باستمرار بواسطة المشاعل البريطانية ومعرضاً لهجمات الطائرات البريطانية وكان سباقاً بين المدرعات البريطانية وبين جيشنا . وكلانا يحاول الوصول لنفس الغرض .

ويعلق ليدل هارت فيقول .

« في مساء الرابع من تشرين الثاني كانت قوات المطاردة تسابق مؤخرة جيش رومل المحطم الذي أدى تدخل هتلر الى تأخير انسحابه . ومع هذا ففي عصر اليوم التالي استطاعت معظم القوات الألمانية الإفلات وكسبت فرصة حسنة للنجاة .

وكان السبب في عدم تمكن الانكليز من تطويقهم هو سقوط الأمطار المفاجيء . وقد قال مونتجمري في تقريره : « لم ينقذهم من الإبادة سوى أمطار يوم ٣ ، ٧ تشرين الثاني » . وقد ساعد السيل الذي بدأ في مساء يوم ٦ تشرين المراحل الأخيرة لقوات رومل من الهرب ، بعد أن أصبح الافلات في حكم المستحيل . ولكن بينما كانت قوات رومل مدفوعة بشجاعة اليائس تباطأ مونتجمري في المطاردة وهذا رد فعل طبيعي يلي أي مجهود ضخم في المعركة

كما أن سمعة رومل المعروفة بقلبه المائدة على خصومه في أوقات غير متوقعة جعلت البريطانيين يتبعون الحذر .

رومل يأمر بالانسحاب الى مرسى مطروح

ويقول رومل في مذكراته :

نظراً لاختراق جبهة فيلق أفريقيا (بين الفرقتين ١٥ ، ٢١ بانزر) ولعدم وجود أي احتياطي فقد أمرت آسفاً بالانسحاب الى مرسي مطروح تاركاً التشكيلات الألمانية والايطالية التي ما زالت تتحرك وهي على الأقدام . وكانت الرحلة عجيبة سادتها الفوضى في الظلام الدامس . وظهرت بعض القرى العربية المتناثرة التي مررنا بها في الظلام . وأخيراً توقفنا في واد صغير بانتظار شروق الشمس . وكانت قواتنا المقاتلة صغيرة للغاية ، وفقدنا معظم المشاة الايطالية . وقد دمر جزء من الفيلق ٢١ بعد مقاومة عنيفة مع البريطانيين المتفوقين للغاية ، أما القسم الباقي فاستطاعوا اللحاق به وأسره أثناء الانسحاب ، ولم تصل العربات التي طلبناها لهم مراراً من رئاسة الإمدادات والتموين الايطالية . وكان الفيلق الايطالي يتقدم سيراً على الأقدام جنوبي شرقي الفوكة وهو يفتقر للمياه والذخيرة ، بدون أي أمل في الافلات نحو الغرب .

أما الفيلق العشرين الايطالي المحمل فقد أبيد تماماً في يوم ٤ تشرين ، ولم يتبق منه إلا عدة سرايا ووحدات فرعية صغيرة . وتمزق شمل الدبابات والعربات ولم نستطع الدخول بها في عمليات منظمة . وكانت القوات الوحيدة التي بقيت محافظة على شيء من القدرة على القتال هي بقايا الفرقة ٩٠ الخفيفة وفرقتا فيلق افريقيا التي أصبحت تتكون من مجموعات قتال صغيرة ، وبعد ذلك كانت هناك مشاة (من جيش البانزر الافريقي) وعدة وحدات ألمانية تكونت بسرعة ، وبقايا الفرقة ١٦٤ الخفيفة . أما الدبابات والمدافع المضادة للطائرات والمدفعية الثقيلة والخفيفة فكلها تكبدت خسائر فادحة في العلمين لدرجة أنه لم يبق منها سوى بقايا قليلة .

١٠ تشرين الثاني ١٩٤٢

عزيزتي لو

لم تسنح لي الفرصة للكتابة اليك منذ اختراق العدو لجبهتنا في العلمين ،

ولكنك ستتلقين بضعة أسطر اليوم . الحال سيء بالنسبة لجيش اخترقت جبهته وعليه أن يفتح طريقه قتالاً ويخسر ما تبقى لديه من قوة مقاتلة في هذه الأثناء — ولن نستطيع الاستمرار على هذه الحال مدة طويلة لأننا معرضون لمطاردة عدو متفوق .

اخلاء برقة

في هذه الأثناء علمنا أن دول المحور أرسلت قوات الى تونس محاولة التهديد من الغرب . ومع هذا فلا يزال هناك احتمال أن يقوم البريطانيون والأمريكيون بهجماتهم ضد جيش البانزر في هذا الاتجاه . وفي مثـل هذه الظروف شعرت أن أحسن حل يلجأ اليه جيش البانزر هو احتلال المنطقة الوعرة الواقعة على جانبي سيرته ، والهروب بقواته الى اوروبا بالطائرات والغواصات والسفن الصغيرة ، الى أن يتم إخلاء شمال افريقيا . وفي ليلة ١٠ تشرين أغارت مئات من القاذفات المقاتلة البريطانية على المنطقة المحيطة بكابتزو على ضوء المشاعل وكبدتنا خسارة جسيمة .

وفي صباح اليوم التالي شن البريطانيون هجوماً عنيفاً على طول الساحل ، كما وجدنا حشوداً من السيارات المدرعة في الجنوب . فأصدرنا للفرقة ٩٠ الخفيفـة أوامر بالانسحاب في حوالي منتصف اليوم على الطريق المار بالسلوم .

وتبعاً للموقف في تونس فقـد طلبت من المارشال كافاليرو والفيلد مارشال كسلرينج الحضور الى افريقيا الشمالية لكي أحصل منهم على تصريحات دقيقـة بخصوص احتمال الدفاع عن تونس . وبالرغم من حاجة الجبهة في تونس فقد كنت أرغب في الحصول على بعض التعزيزات لجيشي عند خط مرسي البريقة . وكان الموقف يتطلب قراراً استراتيجياً . وبما أن القرارات التكتيكية تحتاج الى شيء من الجرأة لكن القرار الاستراتيجي يجب عدم اتخاذه إلا بعد فحص دقيق لكل النتائج المحتملة .

لكن لا المارشال كافاليرو ولا كسلرينج لم يجدا أنه من الضروري الحضور الى افريقيا . لذلك أرسلت الملازم برندت الى مقر قيادة الفوهرر في اليـوم التالي ليقدم تقريراً عن الموقف . وقد أخبرني بعد عودته أنـه لم يلق آذاناً صاغيـة إلا في النادر . وقد كلفه الفوهرر بإبلاغي أنه يجب عـلي أن أطرح تونس من

حسابي ، وأن أتصرف على أساس أن رأس الجسر سيتوقف هنـاك . وكان هذا هو الموقف المتوقع المعتاد من قياداتنا العليا . وكانت من الأسباب التي أدت فيما بعد الى هزائمنا المنكرة .

أما بالنسبة للمواضيع الأخرى فقال برندت أن « سيدنا » لم يكن وديـاً ، بالرغم من تأكيداته بمساعدتنا بطريقة فعالة بالنسبة للامدادات والتموين ، وقال أنه علينا أن نعلمهم بكل مطالبنا بأسرع ما يمكن ، وأنه لن يبخل علينا بشيء .

وفي هذه الأثناء استمر الانسحاب من برقة واستطعنا قبـل السلوم مباشرة إعادة التزود بالبترول لمسافة ١٠٠ ، ١٦٠ ميل ولكن هذه كانت آخر كميـة من البترول في برقة . وكان من المستحيل إحضار البترول المخزون في بنغازي بسبب العبء الثقيل الذي فرضته علينا قواتنا المترجلة والمرضى والجرحى . وكنا نواجه أيضاً مشاكل ضخمة عندما اضطررنا في ١٠ تشرين لإخلاء الجزء الشرقي من برقة وأعلمت السلطات العليا بصراحة أنـه يجب تزويدنا بكميات كبيرة من الذخيرة لجيش البانزر في طرابلس ، وما زال أمامنا أسابيع قليلة قبل أن تبدأ الطائرات البريطانية في قصف طرابلس من ساحل برقة .

وكان البريطانيون قد أرسلوا فرقة مدرعة حول سيدي عمر من الجنـوب في محاولة لادراكنا لذلك انسحبنا الى المنطقة المحيطة بطبرق . وفي أثنـاء مطاردة العدو لنا في يوم ١١ تشرين تمكن لسوء الحظ من اجتياح كتيبة من فرقة بيستويا وثلاثة بطاريات من مدفعية الجيش الألماني في موقع الحلفاية . وكانت قواتنـا ما تزال على الطريق من البردية الى طبرق عندما وصلتنا أنبـاء وصول القوات البريطانية فجأة جنوب المطار في جمبوت . وكنت قلقـاً جداً من احتمال سيرها شمالاً وقطعها الطريق نحو الغرب ، ولكنها لحسن الحظ سارت في طريقها الجنوبي واستمر الانسحاب بطريقة معقولة . وكان النشاط الجوي البريطاني أقـل من اليوم السابق .

١٣ تشرين الثاني ١٩٤٢

عزيزتي لو

المعركة في شمال افريقيا (الفرنسي) شارفت على النهاية . وهذا سيزيد من متاعبنا ، ولكن النهاية لن تتأخر طويلاً لأننـا سنُسحق بكل بساطة بسبب تفوق العدو الهائل . والجيش بريء من كل ذلك . وقد خاض غمار المعركة ببراعة

وفي منتصف يوم ١٣ تشرين وصلت طلائع جيش البانزر الى مرسي البريقة رغماً من تعطل المرور في المضايق بصورة مستمرة .

ولسوء الحظ لم نستطع إحضار البترول من بنغازي الى برقة لأن الايطاليين قد نسفوا الخط ، واضطررنا للاستعانة بطائرات النقل التابعة لسلاحنا الجوي .

وبعد أن اجتاح البريطانيون خط الغزالة أصبح موقفنا صعباً جداً حيث ساعدتهم الظروف للقيام بحركة التفاف قد تؤدي الى عزل برقة . واستأنفنا اخلاء برقة بأقصى سرعة . وقد تبين مراراً في المعارك الافريقية المختلفة أن خط الغزالة كان المنطقة الحرجة عند أي انسحاب الى الغرب . وبالرغم من أننا تمكنا بتحركاتنا الماهرة في ١٩٤١ — ١٩٤٢ من الافلات دون تكبد خسائر باهظة فان قوات برجونزولي قد وقعت في المصيدة هناك .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« يشير روميل هنا الى الانسحاب الايطالي عبر برقة في شتاء ١٩٤٠ – ١٩٤١ بعد هزيمتهم النكراء في سيدي براني .

١٤ تشرين الثاني ١٩٤٢

عزيزتي لو

نحن متجهون غرباً مرة ثانية ، وأنا بخير . ولكن أظن أنك تعلمين ما يدور في خلدي . ونحن نشعر بالرضا في كل يوم يمضي لا يطبق فيه العدو علينا . أما الى أين نذهب فلا أستطيع القول ، فهذا كله يتوقف على البترول الذي يجب نقله الينا أولاً . ولكن ما الذي سيحدث لمجرى الحرب لو فقدنا شمال افريقيا ؟ وكيف ستنتهي ؟ كم أود أن أتخلص من هذه الأفكار المخيفة .

وفي اليوم التالي واجهتنا أزمة البترول الخطيرة ، فقد نقلت لنا أسراب السلاح الجوي ٦٠ طناً فقط ، بدلاً من حاجتنا اليومية التي قررنا أن تكون ٢٥٠ طناً والتي كان كسلرينج قد وعدنا بها .

ونتج عن تلك الأزمة وعن الأمطار الغزيرة أننا لم نتمكن من الوصول الى أغراضنا في هذا اليوم ، مع العلم أن السرعة هي كل شيء بالنسبة لنا .

ولحسن الحظ لم يتمكن العدو من استعمال المدقات عبر الصحراء فتعطلت بذلك تحركاته هو أيضاً . وكان المارشال كافاليرو في ليبيا منذ يوم ١٢ تشرين ولكنه لم يجد أي ضرورة للحضور للاجتماع بي رغماً من مطالبتي له بذلك في أكثر من

مناسبة ، ولكنه بعث لي عن طريق ريتر فون بوهل (الملحق الجوي الألماني) أن لديهم أمراً من الدوتشي بالصمود في برقة لمدة أسبوع آخر على الأقل. ونفس الأمر كان يقضي باحتفاظنا بمواقع مرسي البريقة أيضاً مهما كان الثمن لأن مصير قوات المحور في افريقيا كان متوقفاً عليه .

وكان الأفضل للمارشال كافاليرو لو طبق هذا النشاط في تزويد جيش البانزر بامداداته قبل العلمين ، وحتى لو بدأ في عمل هذا الآن فليس له فائدة . فقد قمنا نحن بواجبنا على الدوام وتغلبت شجاعة قواتي على مصاعب عديدة تفوق بكثير ما كانت تواجهه الهيئات الادارية ، وقد آن الاوان لكي تطالب قيادتنا العليا نفسها بما كنا نعتبره المجهود العادي لنا .

وكان المارشال كافاليرو من الضباط الذين يتميزون بالثقافة والعلم الوفير ولكنه كان ضعيف الارادة مثل ضباط المكاتب . ولكن تنظيم الامدادات وقيادة الرجال يستلزم أكثر من الثقافة ، فهذه الأشياء تتطلب طاقة ومقدرة وإرادة قوية لخدمة الأهداف بغض النظر عن المصالح الشخصية. وأغلب الجنود النظريين ينظرون الى الحرب على أنها مسألة ثقافية بحتة ولا يطلبون الطاقة والقوة الدافعة إلا من هؤلاء الذين يسمونهم أحياناً بشيء من الاحتقار «الانفار» أما هؤلاء فيباهون بمؤهلاتهم العلمية وينظرون لأنفسهم على أنهم مصدر لكل خير و « للانفار » على أنهم مصدر كل شر . وكان الوقت قد حان للتخلص من هؤلاء الأشخاص ومن هذه النفوس في كل من ألمانيا وايطاليا .

١٦ تشرين الثاني ١٩٥٢

عزيزتي لو

خطوة أخرى كبيرة للوراء .. ولكي تزداد الامور سوءاً كان المطر ينهمر مدراراً فيجعل التحرك صعباً بالاضافة الى النقص في البترول ! والحال باختصار يبكي . ونرجو أن يكون العدو هو الآخر يعاني من رداء الحالة الجوية .

وكان فيلق افريقيا ما يزال ثابتاً في موقعه . أما عن رئاسة الامدادات والتموين الايطالية فقد ضربها جنون النسف والتدمير . فقد نسفت مخازن الذخيرة ونقط المياه ، وهي كلها مهمة جداً لقواتنا . ولم نستطع ايقافهم عن تدمير منشئات المياه والكهرباء في بنغازي إلا في اللحظة الاخيرة .

وبالرغم من وعورة الطريق قام البريطانيون في الصباح التالي بتعقب آثار

الفرقة ٩٠ الخفيفة مباشرة كما ظهرت قسوات كبيرة على جناحنا بالقرب من مسوس . وهذا يعني الخروج من برقة بأقصى سرعتنا قبل تطويق جيشنا وتدميره في المنطقة المحيطة ببنغازي ، ولكننا كنا نفتقر للبترول كالعادة . أما السفن الحربية الايطالية التي وعدنا بوصولها قبل ذلك بعدة أيام فلم تصل بكل بساطة .

ولحسن الحظ أخطرنا سلاحنا الجوي أن العدو الملتف حولنا في مسوس قد توقف بسبب سيول من الامطار الغزيرة . وكان البترول شحيحاً في ذلك الوقت لدرجة أننا لن نستطيع مواجهة أية هجمات بريطانية في هذا الاتجاه بقواتنا الميكانيكية .

وفي فجر يوم ١٨ تشرين اندفعت السيارات المدرعة والدبابات البريطانية مسرعة من مسوس لمهاجمة قواتنا ولكننا تمكنا من صدها . ووصلتنا أنباء في الصباح تقول ان المدمرات التي كانت تحضر لنا البترول قد أعيدت لموانيء قيامها وبعد قليل وصلتنا انباء عن وجود قافلة بحرية بريطانية مؤلفة من ١٥ سفينة شحن وعدد مماثل من سفن الحراسة في شمال شرق درنة متجهة نحو الغرب ، واعتقدنا ان هذا يعني ان العدو ينوي القيام بعملية إنزال في بنغازي ، لذلك ، وبالرغم من سوء حالة البحر ، أصدرت الاوامر لكل الصنادل المحملة بالدبابات والعتاد بالابحار الى عرض البحر . ودمرنا كل العتاد الحربي المتبقي في بنغازي وغرقت أغلب الصنادل في الساعات القليلة التالية فلم نتمكن من انقاذ إلا كمية بسيطة من مخازننا في هذا الميناء . وفي بنغازي دمرنا منشآت الميناء والارصفة وعمت الفوضى بين السكان المدنيين في هذه المدينة التعسة التي كانت تنتقل ملكيتها للمرة الخامسة في الحرب .

ثم انسحبت مقدمة فيلق افريقيا بصعوبة شديدة الى المنطقة المحيطة بالزيتونة حيث أعيد تجهيزها للدفاع باتجاه الشرق ، وكانت مئات العربات مقطورة . وبالرغم من خطورة الموقف ، فقد سار كل شيء حسب الخطة المرسومة بقدر الامكان. وقامت كتيبة الاستطلاع ٣٣٠ مراراً بصد محاولة البريطانيين للالتفاف حولنا غرب مسوس . وفي وقت مبكر من صباح يوم ١٩ تشرين قامت الفرقة ٩٠ الخفيفة باخلاء بنغازي . وفي اليوم ذاته وصل فيلق افريقيا كله الى مواقعه الجديدة وثبتت الفرقة ٩٠ الخفيفة أقدامها في أجدابية . وبذلك تكون عملية

اخلاء برقة قد تمت .

وكان الانسحاب من الغزالة الى أجدابية محفوفـــاً بالمخاطر لأن البريطانيين يستطيعون دائماً عزلنا لو تقدموا عبر الجبلي . وقد توقفت اقسام من قواتي دون وقود لأيام عديدة ، وقامت الطائرات البريطانية بالهجوم على قافلتنا الـتي وصل طولها مسافة ٦٠ ميل وكبدتنا خسائر باهظة . وأما عن كميات الوقود الــتي وصلتنا ، فالبرغم من ضخامتها من وجهة نظر سلاحنا الجوي (لأنهـــا نقلت بواسطة طائراته كلها تقريباً) فهي لا تكفي لسد حاجة الجيش . ومع هذا فقد نجحنا بالانسحاب ، ولم نخسر خـــلال انسحابنا من طبرق الى مرسي البريقة رجلاً واحداً .

وعند وصولنا الى أجدابية لم يبق لدينا من الوقود شيئاً يذكر. وكانت هناك ٥٠٠ طن ملقاة في طرابلس وعشرة أطنان أخرى في البويرات ، ولكنها كانت بعيدة عنا ٢٥٠ ميلاً . والسبب الاساسي لهذه الأزمة ان الجبهة اصبحت خارج مدى طائرات النقـل القادمة من ايطاليا . وفي هذا اليوم ايضاً غرقت ناقـــلة ايطالية تحمل ٤٠٠٠ طن من البترول على مقربـــة من مسراته ، ولكن ناقلة أصغر منها تحمل ١٢٠٠ طن وصلت الى طرابلس . وأرسلنا على الفور كل عربة يمكن استعمالها الى طرابلس لاحضار هـــذه الكمية . واضطررنا للوقوف في الصحراء ، مع العلم ان هذا يشكل خطراً كبيراً .

وقال المارشال باستيكو أنـه سيبذل كل ما في وسعه لمساعدتنا ، وسيرسل الى العقيلة الخمسمائة طن الــتي تم تفريغها بالفعل في طرابلس بأسرع ما يمكن . وفي هذه الاثناء كان العمل يسير بسرعة لانشاء خط دفاعي في مرسي البريقـــة على قدر ما سمحت به امكانياتنا المحدودة . وكان الخط يمتاز بموقعه الممتاز، فكان ينتهي في الجنوب لمسافة أميال قليلة من الساحل بملاحة يكاد اجتيازه يكون مستحيلاً على الحملات الميكانيكية . واذا هجم العدو من الشرق فعليـه التحرك نحو الجنوب أولاً للالتفاف بالخط ومهاجمة المدافعين مـــن الخلف . وكلما زادت شدة التوغل نحو الجنوب في شمال افريقيا كلما زادت نسبة المخاطرة في العملية . ومع هذه فان الدفاع عن خط مرسي البريقة هو أيضاً يحتاج لقوات ميكانيكية تكون على درجة من القوة تسمح لهـا على الأقل بصد محاولات الالتفاف مـــن جانب العدو . والمعركة في هذه المنطقة بين قوتين متشابهتين مـن حيث الحجم

تفرض على القوة المهاجمة موقفاً تكتيكياً صعباً للغاية أثناء سير المعركة لأن خطوط مواصلاتها المتجهة لمسافة بعيدة نحو الجنوب ستصبح معرضة للهجوم بواسطة أي دفاع يعتمد على قوات ميكانيكية . وأهم نقطة في خطة الدفاع في هذه الظروف هي سد المضيق في مرسي البريقة وتأمين الملاحة ضد أي عبور للعدو ثم الاحتفاظ باحتياطي خفيف الحركة يتوفر له الوقود والذخيرة ، وفي حالة تأهب دائم وراء الجبهة . وبدون هذه القوة أو الوقود فان موقع مرسي البريقة لا يمكن الدفاع عنه اطلاقاً .

وتبين لنا بعد ذلك بقليل أننا سنواجه تجمعاً آخر للقوى أمام موقع مرسي البريقة . فقد كان البريطانيون بحاجة الى تنظيم شئونهم الادارية . وكان مصير المعركة متوقفاً على وصول أية تعزيزات من القوات الميكانيكية وتزويدنا بالامدادات والذخيرة والوقود قبل ان يبدأ العدو هجومه .

وفي هذه الأثناء وصلت فرق « الشباب الفاشستي » و «بيستويا » و «سبيزيا» واخذت مواقعها في خط مرسي البريقة وبدأت في انشائه تحت اشراف المارشال باستيكو ، كما توزعت وراء الجبهة وحدات من فرقة « سنتورو » المدرعة التي وصلت اخيراً . أما قوات المظلات والفرقة ١٦٤ الخفيفة وما تبقى من الفيلق الواحد والعشرين الايطالي فقد أعيد جمعها وتنظيمها بالقرب من مرسي البريقة . وعند وصولي الى المنطقة أوضحت ان التحصينات مهما بلغت قوتها لا يمكن ان تساعدنا لأن العدو يستطيع الالتفاف بالخط بأكمله رغماً عن صعوبة هذه العملية . وعندئذ ستصبح التشكيلات الايطالية غير المحملة فريسة سهلة للوحدات البريطانية المدرعة والمحملة ، ولن تتمكن من مقاومتها مقاومة صحيحة في الأرض الصحراوية المكشوفة . ولكي أوضح تكتيكات هذا الموقف لقيادتنا العليا أرسلت الجنرال دي ستيفانيس (نظراً لعدم استعداد المارشال كافاليرو للحضور للتفاهم معي) لتقديم تقرير الى الدوتشي والمارشال كافاليرو في روما .

وكان دي ستيفانيس ضابطاً ذكياً وملماً بجميع أساليب التكتيك مطلعاً على جميع العيوب التي يعاني منها الجيش الايطالي . وكان عليه ان يبين بوضوح القيود التي تفرض على قائد يواجه المصاعب من حيث الامدادات والتموين ويضطر للتفكير باستمرار في كل قراراته التكتيكية بالنسبة لموقفه الاداري وما الذي سيصيبه في الغد من جراء هذه الناحية . وان الوقت قد تأخر لاصلاح الأوضاع

التي بدأت في العلمين .

والشيء الوحيد الذي يجب عمله هو مواجهة الحقيقة الواقعة والخروج بأفضل ما يمكن بالنسبة للمدى الطويل . وبالنظر لكل هذه الظروف فلم يكن هناك ما يدعو لقبول الدخول في المعركة في مرسي البريقة .

وبعد حوالي ساعة من اصداري للتعليمات اللازمة الى الجنرال دي ستيفانيس وسفره الى روما ذهبت لمقابلة الجنرال نافاريني الذي يترأس الفيلق الواحد والعشرين الايطالي بما فيه فرق بيستويا ، وسبيزيا والشباب الفاشستي . وكان هو ايضاً يعلم ان الدخول في المعركة في الظروف الراهنة لايعني الا القضاء على قواته ، ووعدته بأني لن اعرض المشاة الايطالية للخسارة مرة ثانية .

وعند استعراضنا لأحداث أوائل عام ١٩٤٢ ناقشنا احتمال معاودة القيام بهجوم مفاجيء على البريطانيين أمام أجدابية وتدمير قواتهم المحدودة الموجودة هناك ، وفي الحقيقة لم يكن هناك من امل في تنفيذ مناقشتنا النظرية هذه ، وذلك بسبب عدم وجود البترول الكافي بالاضافة الى عدم وجود الدبابات اللازمة لتنفيذ مثل هذه الخطة .

ولم يعد ممكناً تجهيز الامدادات في طرابلس (كما فعلنا من قبل في نهاية عام ١٩٤١)، بل يترتب ارسالها الى تونس، وبذا لايمكن حشد المعدات والامدادات اللازمة لمثل هذه العملية . واذا ما غضضنا النظر عن هذه الاحوال فقد كان الموقف شبيهاً بموقفنا في شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ عندما طاردنا البريطانيون بقوات جزئية تاركين قواتهم الاساسية في المؤخرة . وعلى الرغم من حسن التنظيم الاداري البريطاني فلم يتمكنوا من امداد قواتهم كلها في أجدابية . وفي الواقع عند تدمير كل موانيء برقة والمنطقة المحيطة بأجدابية ستكون دوماً نقطة حرجة لكل جيش يقوم بالهجوم من الشرق لأن المحافظة على جيش في مثل هذه المسافة تستلزم وسائل نقل أضخم من وسائل النقل البري وحده . وعليه فسيضطر المهاجم لترك قوات كبيرة في الخلف عند المنطقة الشرقية من برقة . وهنا يستطيع الدفاع (الذي يعتمد على منطقة ادارية كافية في الغرب) والانطلاق وتدمير مقدمة العدو قبل أن تصل تشكيلاته الرئيسية . وحتى لو ارسل العدو تعزيزات

من برقة فأغلب الظن انها ستصل بعد فوات الاوان وستجد ان المعركة قد حسمت بالفعل . وهنا ايضاً ستكون هي الاخرى معرضة للهجوم من قبل العدو المتفوق الذي يستطيع تدميرها .

ولو أني كنت اتقدم من ناحية الشرق لما عرضت نفسي ابداً للهجوم المضاد في أجدابية وانما كنت اتوقف لحين وصول باقي التشكيلات كما فعل ويفل في عام ١٩٤١ .

وفي كانون الثاني من عام ١٩٤٢ استطعنا مهاجمة وتدمير الحرس الامامي البريطاني بقوات متفوقة عليه محلياً قبل ان تصله النجدات للأسباب التي ذكرتها مما أدى الى انهيار خطة هجوم ريتشي كلها . ولكن في هذه المرة كان هذا الكلام غير ملائماً للظروف كلها نظرياً . ولم يكن من الممكن تحقيقه لأنه على العكس من عام ١٩٤١ – ١٩٤٢ . ولكن الذي جعلني اشعر بالمرارة بالفعل هو ان التنظيم البريطاني كان يناسب مثل هذه العملية تماماً لو ان الظروف السائدة مكنتني فقط من القيام بها .

وقد نتج عن هزيمتنا في العلمين قيامنا بهذا الانسحاب العظيم . وقد تغلبنا على صدمتنا الاولى التي نجم عنها التفكك والفوضى ؛ ولكن سلوك قواتنا الألمانية والايطالية كان مثالياً ، كما ان خسائرنا لم تكن ذات بال بغض النظر عما فقدناه في العلمين . فمن اصل ٩٠,٠٠٠ ألماني وهي قوتنا قبل معركة العلمين تمكنا من انقاذ حوالي ٧٠,٠٠٠ ، وهذا لا يشمل آلاف الجرحى والمرضى الذين أرسلناهم بطريق الجو الى اوروبا .

ولم تصلنا أية مقررات استراتيجية من السلطات العليا الالمانية والايطالية تتعلق بمستقبل العمليات في افريقيا ، لأن هذه السلطات لم تكن تنظر نظرة واقعية للأمور ، وفي الواقع فهي رفضت مثل هذه النظرة . والذي أدهشنا هو ضخامة العتاد الذي استطاعت السلطات ارسالها بسرعة الى تونس وهي كميات تزيد بكثير عن الكميات التي تلقيناها في الماضي ، فقد شعرت روما بحراجة الموقف اخيراً . ولكن الامريكيين والبريطانيين استطاعوا مضاعفة امداداتهم في هذه الاثناء ، وكانت قواتهم الجوية والبحرية تتدعم باستمرار . وغرقت

سفينة محورية اخرى تحت مياه البحر الابيض المتوسط وتبين لنا انـه ليس من امل في ادخال اي تحسينات على الموقـف الاداري حتى لو قمنا باكبر المجهودات فقد غرقنا في الوحل حتى أعناقنا ولم نعد نقوى على تخليص أنفسنا .

وان هذا الفشل في القيادة والاخطاء الاستراتيجية والاحقاد والبحث الدائم عن كبش فداء ، كل ذلك سارع في ايصالنا الى ذروة المأساة . والذي دفع الثمن كان الجندي العادي الالماني والايطالي .

القسم الخامس

النهاية في افريقيا



الفصل الأول

المشاورات مع أوروبا

قاذفات الطوربيد والغواصات البريطانية تتصيد ناقلات البترول:

في الأسابيع التالية عانينا الأمرين لعدم تفهم سلطاتنا العليا لمتاعبنا ، وكان ذلك أشد مما لاقيناه من عنف القوات البريطانية ضدنا . ولم يكن أمامنا سوى حل واحد هو عدم الاشتباك في أي معركة مهما كانت . فأي دفاع ولو كان ناجحاً ضد هجوم بريطاني من الجنب كان ميئوساً منه مهما كانت رغبة سادتنا فيه .

ولم يتبق لدينا الآن الا ثلث القوة المقاتلة التي كانت لدينا قبل معركة العلمين ، ولم يكن لدينا أيضاً مستودعات للعتاد والمواد ، والذي تبقى لدينا يكاد يكفينا . ولم يعد يصل الى طرابلس الا كميات ضئيلة للغاية . وكانت ناقلات البترول تغرق الواحدة بعد الاخرى من طوربيدات القاذفات البريطانية والغواصات . ولم تنفذ السلطات المختصة اقتراحي لإخفاء وتمويه تلك السفن كي تبدو كسفن شحن عادية . وقد استطاع البريطانيون في هجومهم على ناقلات بترولنا ضرب قسم منها ، ولن تستطيع الباقية العمل بنجاح .

وفي ذلك الوقت لم تقدر القيادات العليا الموقف تقديراً صحيحاً وهذا يعود الى التكهنات الخاطئة لموقفنا وظروفنا حسب البلاغات المتفائلة غير الصحيحة التي كان يبعث بها الإيطاليون والسلاح الجوي الألماني عنا . وكنت آمل أن استطيع بتقدم الزمن ان اوضح لهم التقدير السليم للواقع الحقيقي للموقف . ولكنني كنت مدركاً أن القوم في قيادتنا العليا غير مستعدين لقبول الحقائق في

معظم الأحيان ، فهم يخبئون رؤوسهم في الرمال ولا يسلمون بالواقع إلا بعد وقوع الأحداث بالفعل .

وبينما كان الجنرال دي ستيفانيس ما يزال في إيطاليا وردت رسالة من الفوهرر (وهي تتمشى مع أمر الدوتشي) بوجوب الدفاع عن خط مرسي البريقة بأي ثمن ، ووعدنا بتعزيزات كبيرة من الدبابات والمدفعية المضادة للدبابات والطائرات ، ولكننا كنا نعلم من خلال تجاربنا الطويلة في هذا الصدد قيمة تلك الوعود . وقد تم الحاقنا بقيادة المارشال باستيكو « تغطية لنواحي رسمية بحتة » .

ويعلق ليدل هارت بقوله :

« كان رومل (قبل هذا) تابعاً لباستيكو قبل تقدم جيش البانزر داخل حدود مصر . ولكن أثناء معركة العلمين كان يتبع مباشرة للقيادة العليا الايطالية قيادة الفوهرر » .

وقررت أن أملأ الوقت الذي سيتوافر لنا (أثناء استعداد البريطانين لمتابعة هجومهم) لأفهمهم حقيقة الموقف وادخل في رؤوس القيادة العليا الايطالية وقيادة الفوهرر وعزمت على الخروج بالنتائج الصحيحة من هذا الموقف .

خطة انسحاب رومل

نظراً للظروف السائدة (وبالنسبة للموقف الاداري الذي لا يسمح باستعاضة ما أستهلك من مدرعاتنا وعرباتنا وأسلحتنا ولا بالاستعداد اللازم للدخول في معركة ميكانيكية متحركة) كنا لا نأمل في الصمود في وجه أي هجوم بريطاني قوي في أي مكان في طرابلس ، لأن كل موقع يمكن احتلاله يتمكن العدو من الالتفاف حوله من الجنوب ، فنضطر لتحمل عبء المعركة ووضعها على عاتق قواتنا الميكانيكية . لذلك كان من الضروري التفكير منذ البداية في الجلاء عن طرابلس والقيام بانسحاب أخير إلى قابس والصمود هناك نهائياً حيث يمكن احتلال خط يحده من الجنوب سبخة شط الجريد .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« يبعد هذا الخط ١٢٠ ميلاً غربي الحدود التونسية ، ويقع في منتصف

الطريق بين طرابلس وتونس ، وهو يغطي المسافة الضيقة الممتدة ١٢ ميلاً بين البحر وسلسلة البحيرات والمستنقعات المعروفة باسم شط الجريد (أو الفراغ) .

ويتابع رومل مذكراته :

وكان هناك عاملان مهمان في تنفيذ هذا الانسحاب من مرسي البريقة إلى تونس ، الأول هو كسب أكبر قدر ممكن من الوقت ، والثاني تنفيذ العملية بأقل خسارة ممكنة في الرجال والسلاح . وكانت فرق المشاة الايطالية مشكلتنا الكبرى لأن ابطاء التشكيلات يحدد سرعة انسحاب الجيش بأكمله اذا لم نكن مستعدين للتخلي عنها . وهذا عيب خطير للغاية ، أمام عدو متفوق لذلك كان ضرورياً ان تتقدم الفرق الإيطالية إلى مواقعها الجديدة البعيدة إلى الغرب قبل ان يبدأ الهجوم البريطاني ، وترك القوات الميكانيكية في مرسي البريقة لتأخر من تقدم البريطانيين ولتلغيم الطرق واستغلال كل فرصة مؤاتية لالحاق الخسائر بمقدمة العدو . وقد ظهر ان القائد البريطاني كان حذراً وغير مستعد للمجازفة لهذا بدت القرارات الجريئة غريبة عليه تماماً . لذلك ترتب على قواتنا الميكانيكية ان تقوم بجهد أكبر مستمر لتغرس الحذر لدرجة أكبر في البريطانيين فتخفف من سرعتهم أكثر من ذلك .

وكنت متأكداً تماماً أن مونتغمري لن يجازف أبداً باللحاق بنا ثم الاندفاع لاجتياحنا ، لانه كان بوسعه أن يفعل ذلك دون التعرض لاي خطر . وفي الواقع كان مثل هذا الإجراء سيكلفه في النهاية خسائر أقل من الخسائر التي سيصاب بها باصراره الجامد على التفوق الكاسح في كل عملية تكتيكية ، ولن يستطيع احراز هذا التفوق إلا على حساب عامل السرعة .

وكان الانسحاب إلى تونس يجب ان يتم على مراحل لاجبار العدو على القيام بأكبر عدد ممكن من عمليات الاقتراب التي يستلزمها وقتاً أطول بكثير من التقدم العادي . وهذه كانت مغامرة أخرى تقوم على الحذر الذي يتميز به القائد البريطاني ، وقد تأكد لنا صحته فيما بعد . وحددت التوقف الاول في البويرات والثاني في المنطقة الممتدة بين طرهونة والخمص ، ولم يكن في نيتنا إطالة المعركة ، ولو في هذه الاماكن . وقد رسمنا الخطة على أساس سحب مشاتنا منها قبل تعرضها للهجوم . وفي الوقت نفسه تقوم التشكيلات الميكانيكية بالاشتباك مع البريطانيين من مسافة بعيدة وتعطل تقدمهم ، إلى ان تبلغ موقع قابس في النهاية ،

وهناك تصمد وتثبت ، لان الموقع لا يمكن الالتفاف حوله من الجنوب مثله في ذلك مثل العلمين .

وفي قابس نلقي بعبء المعركة على عاتق المشاة غير المحملة ، لان الموقع لا يناسب الهجوم بالقوات الميكانيكية . ولا يمكن اختراقه الا بحشد هائل للامكانيات المادية . ولذا سيحتاج مونتغمري لأشهر عديدة لينقل احتياجاته عبر ليبيا كلها حتى يستطيع الهجوم على وادي العكاريت بنجاح .

ونستطيع خلال تلك الاشهر اعادة تزويد قواتنا بالعتاد الذي يرسل الى تونس خلال فترة الانسحاب ، وبالتعاون مع جيش البانزر الخامس (الذي نزل في هذه الاثناء في تونس) يمكن ان نمهد الطريق امام ضربة حاسمة نقوم بها .

ولكن الخطورة كانت تكمن في الجبهة الغربية المكشوفة على سعتها في تونس لأنها تقدم للبريطانيين والامريكيين فرصة عظيمة للهجوم .

لذلك كان من الضروري ان نسبقهم بالمبادرة وان نشن هجوماً مفاجئاً بجميع قواتنا الميكانيكية لندمر قسماً من التشكيلات الانجليزية الامريكية ثم ندفع بالباقي الى الغرب داخل الجزائر . وفي الوقت نفسه لن يتمكن مونتغمري من ان يفعل شيئاً ضد خط قابس دون كميات كبيرة من ذخيرة المدفعية .

وبعد ان نهزم القوات الحليفة الانكليزية الامريكية في تونس ونحطم من قوتها الضاربة ، يلزمنا بعد ذلك القيام باعادة تنظيم قواتنا بأسرع ما يمكن لنستطيع القيام بمهاجمة مونتغمري وصده للوراء نحو الشرق وتعطيل استعداداته للهجوم ، وبالطبع ان هذه العملية ستصطدم بصعاب جمة في تنفيذها نظراً لطبيعة الأرض غير المناسبة .

ومع هذا ففي النهاية لن نستطيع الحفاظ على ليبيا وتونس ، فالحرب في افريقيا ستقررها معركة المحيط الاطلنطي . فعندما تتدخل الطاقات الصناعية الامريكية في أي مسرح للعمليات ، ستفقد فرصة النصر في هذا المسرح . وحتى لو تمكنا من اجتياح افريقيا كلها وتركنا له منطقة صغيرة فهذه المنطقة بالذات ستعطي له امكانيات استراتيجية معقولة تسمح للامريكيين بانزال عتادهم هناك وهذا سيؤدي الى اننا سنخسرها في النهاية .

اما المهارة التكتيكية فلن تعمل اكثر من ان تؤخر النهاية الحتمية لهذا المسرح .

وعلينا ان نضع نصب اعيننا ان هدفنا في تونس سيكون كسب اكبر قدر ممكن من الوقت للافلات بأكبر عدد من محاربينا العظام الى اوروبا .

وكنا نعرف من خلال تجاربنا انه ليس هناك من امل في امداد وتجهيز مجموعة جيش في تونس ، وهذا سيحدو بنا الى تصغير حجم الجيش الى عدد أقل من التشكيلات ، ولكنها ستكون أقوى تسليحاً .

واذا تعرضنا لهجوم رئيسي للحلفاء لحسم الحرب في هذه المنطقة ، فسنضطر لتضييق جبهتنا مع سحب اعداد متزايدة من القوات بواسطة طائرات النقل والصنادل والسفن الحربية .

واول توقف لنا سيكون في المنطقة الوعرة الممتدة من أنفيدافيل حول تونس والثاني في شبه جزيرة رأس بون .

وعندما تنتهي القوات الحليفة من استيلائها على تونس فلن يجدوا شيئاً او على اكثر تقدير سيأخذون بعض الاسرى ، وبذا سنحرمهم من جني ثمار نصرهم كما فعلوا في دنكيرك .

كذلك سيجري تكوين قوة ضابة من القوات المنسحبة الى ايطاليا . وهذه القوات من حيث التدريب والخبرة العملية ستكون احسن ما لدينا لمواجهة البريطانيين والامريكيين .

رومل يشرح الموقف ويحدد مطالبه

وناقشت هذه الخطة مع قيادتنا العليا خلال الاسابيع التالية وكنت آمل ان يقرروا اتباعها ، ولكنهم في نهاية الامر لم يفعلوا شيئاً لتنفيذها . وفي يوم ٢٢ تشرين الثاني قابلت المارشال باستيكو حيث شرحت له الخطة السابقة ، وبينت ان اللحظة قد حانت لكي نعرف ان فكرة الصمود في خط مرسي البريقة حتى النهاية تعني دمار جيشنا بالتأكيد .

فأما ان نتخلى عن مواقعنا قبل الموعد المحدد بأربعة ايام وبذلك ننقذ الجيش او نخسر المواقع والجيش معاً بعد ذلك بأربعة ايام ، وقد حاولت بهذه الحجج ان ابلغ الحقائق للقيادات العليا . وقام نافاريني بكل ما بوسعه لاقناع المارشال باستيكو ، الذي صمد في وجهنا بالرغم من اقتناعه على ما اظن بأن ما عرضناه عليه هو الاجراء الصحيح . ولكن لم يكن لديه ما يقوله ، لأننا نحن ايضاً لم

نخدع انفسنا بالعواقب الوخيمة التي ستترتب على اخلائنـــا لطرابلس ولكن لم يكن لدينا ما نفعله غير هذا. واخيراً وعدنا بعرض وجهة نظرنا بأحسن مايمكنه للسلطات العليا .

٢١ تشرين الثاني ١٩٤٢

عزيزتي لو

كانت الايام القليلة الاخيرة هادئة من حيث القتال الفعلي . وكان المطر غزيراً ولكنه كان متقطعاً ، مما جعل الاحوال مريحة خاصة واني كنت أبيت في عربتي في الصحراء .

كتبت لك في السابق بضع خطابات غير ذات قيمة وانا آسف للغاية بسببها. وبالرغم من اني لا آمل في تحسن الموقف الا ان المعجزات تحدث احياناً .

واخيراً في ٢٤ تشرين جاء الفيــلد مارشال كسلرينج والمارشال كافاليرو لمقابلتي ، كما كنت آمل منذ وقت طويل . وقد تم اجتماعنـا في أركودي فيلليني على الحدود بين برقة وطرابلس بحضور كل من كسلرينج وكافاليرو وباستيكو وأنا.

وافتتحت الاجتماع بعرض لسير العمليات منـذ العلمين وبينت بوضوح ان وضع الامداد السيء كان السبب الرئيسي في المأساة كلها. كي أخفف بعض الشيء من مظهر التفاؤل المبالغ فيه الذي بدا فيه كل من كافاليرو وكسلرينج .

ثم قلت ان الرجال قاتلوا بشجاعة بالرغم من فقدنا لجميع سلاحنا الثقيـــل تقريباً اثناء وجودنا في خط العلمين واثناء انسحابنا ، وكانت كل عربة تجر عربة اخرى لانقاذ ما يمكن انقاذه من العتاد . وكل ما تبقى من الجيش (بعد ذلك) كان يقارب الفرقة الواحدة . وأضفت ان تسليح فرق المشاة الايطالية الثـلاث يكاد يكون لا قيمة له ، ويجب عدم زجها في قتال جدي مع البريطانيين . لذلك كان من المستحيل الصمود في خط مرسي البريقة . وصرحت مرة اخرى بخطتي لإخلاء طرابلس .

وهنا قوبلت بمعارضة شديدة من جانب كسلرينج وكافاليرو . وكان الاول ينظر الى الامور من وجهة نظر السلاح الجوي الالماني . ويضع في حسابه النتائج التي ستترتب على الانسحاب والتي تتعلق بالموقف الجوي الاستراتيجي في تونس . اما الثاني فقد كان يعيش في عالم الخيال .

وقلت للاثنين ان الوقت سيصبح متأخراً للتفكير في الانسحاب بعد اسبوعين

او ثلاثاً عندما يتقدم البريطانيون الى خطنا بـ ٨٠٠ مركبة مدرعة و ٤٠٠ مدفع و ٥٥٠ مدفعاً مضاداً للدبابات ، فعلينا ان نتخذ قرارنا منذ الآن فإذا ارادوا ان نصمد في خط مرسي البريقة عليهم ان يرسلوا لنا العتاد التالي مع رجاله خلال الاسبوع القادم .

٥٠ مدفعاً مضاداً للدبابات عيار ٧٥ مم و ٥٠ دبابة بانزر ماركة ٤ ذات مدفع طويل و ٧٨ مدفع ميدان من أعيرة ١٠٠ مم ، ١٥٠ مم كما عليهم ان يرسلوا وسائل نقل وذخيرة وفيرة للمدافع والدبابات السابقة تبلغ ٤٠٠٠ طن من الوقود و ٤٠٠٠ طن من الذخيرة على الاقل . كما اننا سنحتاج لدعم كبير من سلاحنا الجوي . ومن خلال تجاربنا ، كنا مدركين انه لا امل في تلبية هذه المطالب ، وعليه فلم يبق امامنا الا حل واحد هو الانسحاب نحو الغرب . وفي النهاية لم يستطع أي واحد منهما ان يقدم أي حجج منطقية امام هذا التحليل المنطقي . وعندما سألتهما رأيهما في الحل التكتيكي الذي يجب اتباعه في حالة قيام البريطانيين بعملية التفاف لم يتفوها بكلمة واحدة .

فهما لم يأتوا بقصد دراسة الاحداث والتوصل من خلالها الى تقدير منطقي سليم ، بل كانا يؤمنان بأن الخطأ يكمن في اشخاصنا وكانا يظنان انهما سيتمكنان من رفع روحنا المعنوية بالالفاظ الضخمة الرنانة . وكانا يعتبراني متشائماً من الطراز الاول ، واغلب الظن انهما كانا مصدر القصة التي شاعت عني ، وسر لها ضباط المكاتب الذين كانوا ينتظرون مثل هذا الكلام الذي يتضمن :

« انني ازهو كالديك في ساعة النصر واصبح فريسة لليأس في ساعة الهزيمة »

وعلى أي حال فقد كان من الواضح ان المارشالين كانا غير مستعدين لتبني وجهة نظري .

ويعلق ليدل هارت بقوله :

« يجب على القارىء ان يتذكر ان مذكرات رومل هذه قد كتبت بعد انتهاء كارثة الحملة الافريقية بقليل ، وانه لم تسنح له الفرصة لمراجعتها . وتعليقاته اللاذعة بصدد كسلرينج بوجه خاص ، لا يجب ان تؤخذ على أنها رأيه الاخير الذي دونه عام ١٩٤٤ قبل موته بوقت قليل وكانت لديه الفرصة الكافية عندئذ لمراجعة افكاره عن الحملة في افريقيا بطريقة اكثر هدوءاً . وهو يظهر في هذا الفصل تقديره الكبير لصفات كسلرينج .

ويتابع روميل مذكراته :

تدخل القيادة الايطالية في اعمال روميل التكتيكية

كان الموقف الاداري لا يزال خطيراً للغاية . فبدلاً من ان يصلنا ٤٠٠ طن يومياً ، استطعنا نقل ٥٠ طناً فقط الى الجبهة عن طريق البر وهذا يعود الى قلة عدد العربات من ناحية ، ومن ناحية ثانية للمسافة الكبيرة بين طرابلس والجبهة وقد نجم عن ذلك عجز في جميع النواحي .

وفي ٢٦ تشرين الثاني تلقينا انباء رد الفعل لمؤتمرنا مع كسلرينج وكافاليرو . وطالبنا كسلرينج بتخصيص قوات للدفاع عن مدينة طرابلس، وفي نفس الوقت عزم الدوتشي على الصمود في خط مرسي البريقة ، وفوق هـــذا طالبنا بشن هجوم على البريطانيين في اقرب فرصة ممكنة ثم وعدنا بمساندة قوية من السلاح الجوي بعد تدعيمه بقوة . ولكن قيمة هذه المساندة كانت معروفة لنا جيداً من تجاربنا السابقة .

وكان المارشال باستيكو هو الذي سيقرر ضرورة الانسحاب اذا حدث الهجوم البريطاني علينا.يضاف الى هذا ان القيادةالعليا الايطالية حثت المارشال بألا يصدر هذا الامر إلا في حـــالة الخطر الداهم . ولكن باستيكو بشيء من اللياقة والذوق اتصل بي على الفور للقيام ببعض الاستعدادات المبدئية .

وكنت ثائراً للغاية من هذه الاوامر لأن قيادة جيش البانزر استطاعت، عدة مرات انتشال المصير منالوحل الذي كان سيتردى فيه اذا ما تركت أعنة الأمور في أيدي القيادة العليا الايطالية . والآن وقد بدت لي استحالة فهم روما للواقع قررت السفر الى الفوهرر . وعزمت على ان اطلب منـــه شخصياً اتخاذ قرار استراتيجي بالموافقة على اعتبار التخلي عن شمال افريقيا السياسة الحكيمة للمدى الطويل . وكنت انوي ان أبين له وجهـــات النظر الاستراتيجية والتكتيكية لجيش البانزر كما حددتها من قبل وان اجعله يوافق عليها .

وتحركنا في صباح يوم ٢٨ تشرين فوصلنا راستنبرج بعـــد الظهر . وبدأت المحادثات الاولية بيني وبين كيتل وجودل وجماندت وكان الاولان متحفظين للغاية .

وما ان دخلت على الفوهرر ، حتى شعرت ان الجو متوتر للغاية فوضحت له كل الصعاب التي يواجهها الجيش في المعركة والانسحاب . وقال لي ان هـــذا معروف وان تنفيذ العملية كان سليماً وممتازاً .

وبعد ذلك وصلت لغرضي دون مقدمات ، فقلت انــه نظراً لأن التجارب اثبتت عدم جدوى الانتظار لتحسن الموقف البحري فـــإن التخلي عن مسرح العمليات في افريقيا يجب ان يكون اساس السياسة في المدى الطويـــل . ويجب الا نخدع انفسنا بالموقف ، بـــل علينا ان نوجه كل الخطط لتنفيذ هذه السياسة . ولو بقي الجيش في شمال افريقيا فسوف يدمر .

وكنت اتوقع جدالاً منطقياً لمـــا قلته وتهيأت للرد على كل شيء بالتفصيل ، ولكنني لم اصل لهذا الحد لأن مجرد ذكري للناحية الاستراتيجية كان بمثابـــة شرارة في برميل من البارود ، وفقد الفوهرر وعيه موجهاً لنا سيلاً من الاتهامات غير الصحيحة وكان معظم ضباط هيئة أركان حرب الفوهرر الجهـــلة الذين لم يسمعوا طلقة واحدة في حياتهم يبدون موافقتهم على كل كلمه يقولها الفوهرر ! ولـكي اعطي صورة للصعاب التي نواجهها قلت ان ٥٠٠٠ مقاتل فقط من ١٥٠٠٠ يمثلون قوات فيلق افريقيا والفرقة ٩٠ الخفيفة وحدها كان لديها أسلحة والباقون ليس لديهم أي سلاح .

وهذا ايضاً أدى لموجة عنيفة من الغضب اتهمنا فيها بالاضافـــة الى اشياء اخرى منها القـــاء اسلحتنا والهرب . واحتججت بشدة على تلك الاتهامات وقلت بصراحة انه من المستحيل تقدير حدة المعركة من اوروبا ، فقـــد دمرت اسلحتنا تدميراً كاملاً بواسطة القاذفات والدبابات والمدفعية البريطانية ، وانني لم اخلص القوات الميكانيكية الالمانية الا بمعجزة خاصة ان النقص الخطير في البترول لا يسمح لنا بالانسحاب الا لمسافة عشرة كيلومترات يومياً . وقلت ان كل جيوشنا الاخرى ستلاقي نفس المصير لو ان القوات الامريكية نجحت في وضع اقدامها على القارة الافريقية .

ولكن لم تكن هناك اية محاولة للنقاش . وقال الفوهرر ان قراره بالصمود في الجبهة الشرقية في شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ أنقذ مكاسبنا في روسيا وانه عزم هنا ايضاً على تنفيذ أوامره بحذافيرها . وبدأت أدرك أن أدولف هتـــلر لم يكن

مستعداً لتقدير الموقف على حقيقته بكل بساطة . وبدأت أحس بأنه يتصرف بدافع من العاطفة على العكس مما كان ذكاؤه يقوله له. وقال أنه من المهم سياسياً ان نستمر في الاحتفاظ برأس جسر في افريقيا لذلك لن يكون هناك أي انسحاب من خط مرسي البريقة وسيعمل ما في وسعه لارسال الامدادات الينا . وكان على مارشال الرايخ (غورنغ) أن يرافقني الى ايطاليا . وسيمنحه سلطات استثنائية للتفاوض مع الايطاليين وكل السلطات المسئولة هناك ، ولكننا كنا قد يئسنا من هذه المحاولات الفاشلة .

وبعد مغادرتنا لمقر قيادة الفوهرر سافرت أنا وغورنغ في القطار حتى غومبينين حيث انتقلنا منها الى قطار غورنغ الخاص لاستكمال الرحلة الى روما. وكنت غاضباً ساخطاً لعدم التفهم الذي أظهرته أعلى قيادتنا، واستعدادها لالقاء اللوم على القوات في الجبهة لأخطاء وقعت بها القيادة نفسها، وازداد غضبي عندما اضطررت لمشاهدة تهريج مارشال الرايخ في قطاره الخاص والذي لم يؤثر الموقف فيه إطلاقاً .

وقد زين نفسه وابتسم جزلاً بالثناء السخيف الذي أغرقه بـه المهرجون من بطانته ولم يتحدث عن شيء سوى الجواهر واللوحات . وربما كان سلوكه مسلياً في أوقات أخرى ولكن في ذلك الوقت كان مثيراً للغضب . وكان يملأ غورنغ الطموح الذي لا حد له ولم يكن يعبأ بالوسائل التي يستخدمها لتحقيق اغراضه .

وهكذا فإنه كان يعتقد أنه من السهل كسب أكاليل الغار في الجبهة الافريقية وكان يخطط ليتولى السلاح الجوي الالماني السيطرة على هذا الميدان . وكانت بعض وحدات حرسه البريتوري الخاص (والمقصود بـه الفرقة المدرعة المسماة « هيرمان غورنغ ») في طريقها بالفعل الى تونس ولكن تقديره لامكانيات مسرح العمليات الافريقي انتهت بخطأ ادى الى الكارثة . وانني اظن ان القيادة الانكليزية الاميركية التي كانت تواجهنا في ميدان شمالي افريقيا لم تكن اسوأ من قيادتنا العليا بالاضافة الى قواتهم الممتازة وحسن تسليحهم وعتادهم .

كانت ميزتنا الوحيدة عليهم في تفكيرنا الحديث عن الحرب وهذه كانت عديمة الفائدة بمجرد عدم توفر الظروف المادية اللازمة لتنفيذها . وعليه فقد كان من الجنون ان نقلل من شأن أعدائنا الغربيين .

وكان غورنغ ألد أعدائي خلال هذه المدة وأظن أنه كان يريد ابعادي عن

هذا المسرح لكي يحقق مخططه في شمال افريقيا ، فعندما كنت أرسل تقاريري لمقر قيادة الفوهرر ، كان يرفض قبول أي تقدير للموقف من جانبي على أنه مجرد تشاؤم .

وكان هو مصدر الفكرة القائلة بأني عرضة لأزمات نفسية ولا أقـــوى على القيادة إلا عندما تكون الأحوال بخير أما اذا ساءت الأمور فاني أنهار وأصاب بما سماه « المرض الافريقي » .

واستغلت هذه النقطة كبداية واستمر أنصاره في ترديد هذا القول وطالبوا بقائد مؤمن بالنصر لكي يحقق النصر بالفعل حيث انني رجل مريض ولا بد من بحث مسألة اعفائي من القيادة ، أما فـــيما يتعلق بموضوع « الأزمات النفسية » فأعتقد بأننا لن نشعر بالسرور ونحن في مواقعنـــا بالجبهة وعلى وشك التعرض لكارثة ، بينما كان مارشال الرايخ من ناحية أخرى طيلة هذه المدة في صالونه في عربة السكة الحديدية ،ولذا فإن زاوية بحث الموضوع بدت مختلفة بعض الشيء.

غورنغ وحبه للظهور

وحتى لا أضيع الفرصة بأكملها أصدرت تعلـــيماتي لمساعدي الملازم برندت (وكان يتمتع بذلاقة في اللسان) بأن تلقى خطة قابس (الانسحاب الى تونس والدفاع عن خط قابس) القبول لدى غورنغ . أما من ناحيتي الشخصية فقـــد وجدت أن آراءه مثيرة لدرجة أنني كنت سأضطر في النهايـــة لتسفيهها ، وهذا كان سيقضي على أي أمل في اقناعه .

وقد نجح برندت باستخدامه لكل امكانياته بطريقة مبالغ فيها أن يثـــير حماس غورنغ للخطة ، وقد ضغط برندت على ناحية الأثر الدعائي الذي سيحدثه هجوم في الجزائر بواسطة القوات الميكانيكية للجيشين على الرأي العام العالمي . ووافق غورنغ بحماس وقرر دعم الفكرة .

ولكن النجاح لم يعمر طويلاً لأننا حين وصلنا الى روما هاجم كسلرينج الخطة لأنها ستزيد من التهديد الجوي فوق مناطقنـــا في تونس . وبينت ان الأمر لم يعد بأيدينا لأننا سنضطر للتراجع ان آجلاً او عاجلاً . ويجب علينا ان نستغل حشد القوى في وقت يناسبنا . ولكن مارشال الرايخ اعتبر أن خطورة المثلث الجوي الممتد بين مالطة والجزائر وطرابلس تفوق مزايا الخطة ، لذلك فالانسحاب الى

قابس كان خارجاً عن الموضوع ويجب ألا نفكر فيه أكثر من ذلك . وكنت على وشك القول ان موضوع المثلث لا قيمة له لأنه لا تهمنا من أين تـأتي الطائرات البريطانية التي كانت تضربنا باستمرار ، ولكنني أدركت أن المنـاقشة عقيمة فبقيت على صمتي .

وأعلن غورنغ أثناء المؤتمر مع الدوتشي أنني تخليت عن الايطاليين في العلمين وقبل أن أستطيع الرد على هذا الكلام المذهل قال موسوليني :

« هـذه معلومات جديدة بالنسبة لي وكان انسحابك نصراً رائعاً يا مارشال روومل »

وفي هذه المرة كان الايطاليون اكثر تعقلاً من قيادتنا العليا،وبدأوا يساندون توصيتي بالانسحاب الى خط قابس ، ومع هذا فـلم نصل الى القرار الحاسم . وكنت في هذه الاثناء قد أصدرت الأوامر الىجيشي بأنه لو هاجم البريطانيون خط مرسي البريقة عليهم الدفاع عنه حتى آخر رجل وذلـك حسب أوامر الفوهرر وفهم الايطاليون بوضوح أن هذا يعني تدمير الجيش . ونجحت بالفعل في الحصول على الاذن من الدوتشي بالشروع في بنـاء خط البويرات واتخـاذ الخطوات اللازمة لتحريك المشاة الايطالية غـير المحملة الى وراء هذه المواقع في الوقت المناسب ، على أن تنسحب القـوات الميكانيكية هي الأخرى في حالة أي هجوم بريطاني ، وهذا كان أفضل من لا شيء .

وفي صباح ٢ كانون الاول انعقد اجتماع في القيادة العليـا الايطالية لبحث موقف الامدادات والتموين . ووجهت الانظار الى أن أغلب امكانيات النقـل موضوعة لخدمـة جيش البانزر الخامس (في تونس) وان جيشي لا يتلقى حتى أهم المستلزمات الضرورية اليومية بالرغم من تحمله العبء الأكبر للقتال . وظهر أن السبب في اهتمام السلاح الجوي الألمـاني والسلطات الأخرى في روما بإمداد الجيش الخامس ليهيئوه للهجوم في اتجاه الغرب .

وفي بداية الاجتماع قرر غورنغ ، أنه علينا الصمود نهائياً في البويرات ولكن من الافضل ان أبدأ في مهاجمة العدو من مرسي البريقة . ثم تحولت المناقشة الى عدد من المسائل الفنية المتعلقة بنقل الامدادات الى طرابلس. وقد اقترح غورنغ زرع حاجز من الألغام على الطريقـة البريطانية وهذا سيؤدي الى جعل الطرق البحرية بين تونس وايطاليا مؤمنة ضد غواصات الجانبين . وكان من الممكن

الحصول على الكمية اللازمة من الألغام البحرية من ألمانيـــا . ولكن البحرية الايطالية عارضت بالطبع وقدمت عدة اعتراضات فنية وغير فنية .

وكان هذا الكلام مثيراً للمرارة. فلو أن سلطاتنا العليا اهتمت بهذا الموضوع في وقت مبكر ونفذت هذه الأفكار قبل ذلك بعدة شهور لأحرزنا النصر في افريقيا . والظاهر أن أغلب الأفراد لا يبدأون في عمل شيء ما لم يلامس الماء ذقونهم .

وتأثرت جداً عندما علمت أن كسلرينج قد حول الى تونس عدداً من أحدث المدافع عيار ٨٨ مم التي وعدنا بها الفوهرر والتي كنا في اشد الحاجة اليها ، وفي الحقيقة ولسوء الحظ كان كسلرينج يتصرف من ناحية الامدادات تجاهنا بطريقة غير متعاونة ولم يكن يفكر إلا بنفسه . وأخيراً أصدر كسلرينج أوامره بإعادة هذه السفن الى طرابلس .

ومما أثار اهتمامي موقف غورنغ السياسي بالنسبة للايطاليين خاصة بما يتعلق بالظروف الصعبة في افريقيا. فبالرغم من أنه صدرت لنا أوامر تمنعنا من توجيه أي كلمة للايطاليين عن نقائص جيشهم ودولتهم ، أو مطالبتهم بأي تحسينات فإن غورنغ بدأ يتكلم مع كافاليرو في مواضيع حساسة جداً كالتسليح الرديء للايطاليين واستراتيجيتهم البحرية ومـا الى ذلك مـــن المواضيع الشائكة . والنتيجة الوحيدة التي توصل اليها هي اثارة غضبهم دون ان يحقق أي شيء .

وكنت قد وجهت النظر في فصل سابق الى الاساس السياسي الخاطيء الذي قام عليه الحلف الايطالي الالمـــاني والذي كان مصدراً لكل المتاعب والأخطاء التي انتهت بخسارتنا للحرب في افريقيا. فكل حرب يشترك فيها حلفاء وتؤدي للمشاكل والاحتكاك بين هؤلاء الحلفاء وتحاول كل دولة تحقيق غاياتها على حساب الدولة الاخرى لا بد أن تخسر الحرب .

والاجراء الصحيح في مثـــل هذه الظروف هو الصراحة في كل خلاف في وجهات النظر وليس تغطيته بستار من الكتمان. وكان الكثيرون من الايطاليين يظنون ان معاهدة المحور غير ناجحة ومن هنا كانوا يعتقدون اننا عنـد النصر

النهائي لن ندخل مصالحهم في اعتبارنا .

وكان الشعور السائد أن موسوليني سيتعرض لأزمة سياسية في ايطاليا لو خسرنا طرابلس . وربما أضعف موقفه هذا سلوك غورنغ العنيف ، بصورة فجائية ، وكان معظم الايطاليين قد يئسوا من الحرب وبدأوا يفكرون في أحسن طريقة للخروج منها .

وأثناء عودتي لافريقيا بطريق الجو أدركت أنه يجب الاعتماد على مواردنا المحلية فقط واننا سنحتاج لكل مهاراتنا لانقاذ الجيش من الدمار نتيجة للأوامر المجنونة .

الفصل الثاني

الانسحاب الى تونس

رومل يحاول استعادة قدرته على الحركة :

لقد صدمت هيئة أركان حربي في افريقيا عندما بلغتها عدم اهتمام قيادتنا العليا بموقفنا . أما البريطانيون في تلك الأثناء فلم يتوقفوا بل أحضروا مدفعيتهم وأنشأوا مناطق التشويش وفي هذه الفترة كانوا نشطين للغاية في مجال الاستطلاع ونظراً لأننا أصبحنا خارج مدى الامداد الجوي من صقلية فقد ساء موقفنا في الوقود أكثر من أول الأمر . وفي الواقع كنا نعتبر ثابتين في أماكننا من الناحية العملية ، ونظراً لهذا النقص في البترول فقد اضطر سلاحنا الجوي للبقاء وعدم الخروج الا في حالة الضرورة القصوى .

وبالرغم من وصول ٥٠٠٠ طن من البترول لجيش البانزر خلال شهر ت ٢ ، فالبريطانيون قد اغرقوا ما لا يقل عن ٨١٠٠ طن في الطريق . اما القسم الاكبر من الخمسة آلاف طن فقد نقله السلاح الجوي الالماني .

ونتيجة لهذه الظروف أصبح من المشكوك فيه أن نستطيع سحب تشكيلاتنا إلى البويرات . وكنا نتوقع حدث الهجوم البريطاني الكبير في منتصف ك ١ فجأة ، ولذا يجب ان نكون قد انسحبنا بالفعل في هذا الوقت . وعندما ناقشت الموقف مع الماريشال باستيكو في ٣ ك ١ قررنا ان نستمر في بذل الجهد لنقل الموقف الحقيقي إلى سلطاتنا العليا . أما فيما عدا ذلك فقد كنا معتمدين تماماً على

وصول ناقلات البترول التي وعدنا بها .

ولكن موقف البترول لم يتحسن خلال الايام القليلة التالية . وكانت فكرتنا في بادىء الامر عدم الانسحاب حتى يتوفر لنا البترول الكافي لسحب قواتنا كلها . ولكننا اضطررنا بعد ذلك ، للتخلي عنها حينما وجدنا في ك ١ أن الهجوم البريطاني أصبح وشيكا لذلك بدأنا في سحب الايطاليين في ليلة ٦ ك ١ ، وبالرغم من حاجاتنا للسرية التامة فإن الايطاليين أحدثوا ضجة هائلة حتى ان بعض عرباتهم تحركت في هذه الليلة المقمرة وأنوارها مضاءة بالرغم على أنني كنت واثقاً من أن البريطانيين لو شعروا بنوايانا فسيهاجموننا على الفور .

وهكذا فقد سحبنا الايطاليون ليلاً الى الغرب . واستهلك تحركهم كل احتياطينا الضئيل من البترول تقريباً، وتوقفت عمليات نقل الذخيرة إلى الجبهة وتجمدت القوات المدرعة تقريباً وبتنا غير قادرين على مواجهة الهجمات البريطانية ، وأرسلنا استنجاداتنا المتوالية الى أوروبا .

وبما أن العدو كان يركز استطلاعه الجوي وجزءاً من استطلاعه الأرضي في الجنوب، فقد كان واضحاً أنه يستعد لحركة التفاف واسعة النطاق حول خطواتنا عبر الصحراء، وعليه فقد أصبح من الضروري بصفة عاجلة أن نسترجع قدرتنا على الحركة .

٨ ك ١ ١٩٤٢

عزيزي مانفريد :

لقد حان الوقت لكي ابعث بتهنئتي بمناسبة عيد ملادك الرابع عشر. ويجب ألا تصل مشاعري الطيبة لك متأخرة .

القتال صعب جداً ولا اعتقد أنني سأتمكن من الحصول على اذن للسفر إليكم. وأنت تعرف عنف قتالنا ضد البريطانيين في الوقت الحالي ومدى تفوقهم وامكانياتنا المحدودة . ولو استمر الحال على ما هو عليه فسنتحطم أمام تفوق أعدائنا الساحق ، ومن سخرية الأقدار أن اضطر وجنودي للتعرض لمثل هذا المصير المرير بعد صراع بطولي مجيد . وسنفعل كل ما بوسعنا لتفادي الهزيمة .

والآن بالنسبة لك يا مانفريد أيها العزيز.. ستصبح في الرابعة عشر وستترك المدرسة وراءك بعد وقت قصير . ويجب ان تدرك خطورة الموقف وان تتعلم أكثر مما تعلمته في المدرسة ، وانت تتعلم لوحدك. ومن المحتمل ان تضطر للاعتماد

على نفسك في وقت قريب . فالزمن قد يتطور ليصبح صعباً جداً بالنسبة لنا جميعاً . ولتطع أمك التي ترعى مصلحتك بقلبها .

وانا غير راض بأن الشبيبة الهتلرية تقتطع من وقتك كل هذا وتؤدي الى قلة جهدك في المدرسة : وهو شيء كثير عليك على ما اعتقد .

١١ ك ١ ١٩٤٢

عزيزتي لو :

لا جديد يذكر . وقد نشطت الاحوال في الجبهة بعض الشيء . وموقفنا الاداري سيىء كالعادة مما يسبب لي صداعاً مستمراً . وهل أطمع في أن ترسلي لي بواسطة البريد قاموساً (إنجليزي – ألماني) الذي سيكون مفيداً للغاية . وأنا متشوق جداً لقراءة رسائلك الأولى . وقد أعفوا (نهرينج) من قيادته وعينوا أحد الجنرالات بدلاً منه . فهل ينجح ؟

وسيحل عيد الميلاد بعد أيام قليلة . وأتمنى لكما من كل قلبي عيد ميلاد سعيد .

مونتغمري يقوم بهجوم عام

وفي ليلة ١١ ك ١ بدأ البريطانيون هجومهم بضرب غلالة شديدة من مدفعيتهم ضد مواقع عدة لنا ثم اندفعوا شمالا على الطريق الساحلي . وبعد قليل تمكنت قواتي من الاشتباك مع مجموعة استطلاع بريطانية كانت تستكشف الطريق بالقرب من مردومة . وبذلك وضحت لنا اخيراً نوايا مونتغمري . وهاجم البريطانيون مراراً نقطتنا القوية في الشمال وبعدها لم يعد هناك أي شك في أن هجوم العدو العام قد بدأ .

وكنا قد أقمنا انسحاب القوات الالمانية والايطالية المترجلة ، لانه كان من الضروري تفادي اشتباك قواتنا مع العدو في صراع متلاحم في مرسي البريقة ، لذلك أمرت بالانسحاب في المساء ، وبدأت قافلة طويلة من القوات المقاتلة والعربات في التحرك نحو الغرب . ولم يكن هناك من أمل في مقاومة محاولة الالتفاف البريطانية بواسطة قواتنا المحملة وذلك لقلة البترول لدينا لذلك فبقاؤنا في مواقعنا اكثر من ذلك كان يعد انتحاراً .

ويعلق ليدل هارت بقوله :

« كان مونتغمري ينوي شن هجومه في يوم ١٦ ك ١ ولكنه أسرع به عندما وجد في أوائل الشهر أن رومل يحاول الانسحاب. وكانت خطته تقضي بقيام الفرقة ٥١ هايلاندرز بهجوم بالمواجهة بينما تتقدم الفرقة ٧ المدرعة الى يسارها وفي نفس الوقت تقوم الفرقة النيوزيلندية بحركة التفاف واسعة لاقطع خط العودة على رومل عند وادي الفارغ بالقرب من مردومة (التي تبعد ستين ميلا غربي العقيلة) . وكان الهجوم تحت قيادة الفيلق الثلاثين الذي حل محل الفيلق العاشر. وتجمعت الفرقة النيوزيلندية حول الحيسات في ٩ ك ١ وبدأت التفافها من هذا الموقع الخلفي في ١٢ ك ١ ، وأمر مونتغمري الفرقة ٥١ هايلاندرز بالقيام بهجمات واسعة النطاق ابتداء من ليلة ١١ كانون أول لشغل انظار العدو على أن يبدأ الهجوم بالمواجهة في يوم ٤ كانون الثاني . ولكن تلك الهجمات المبدئية اعتبرها رومل بداية الهجوم الرئيسي ولذا أسرع بانسحابه المزمع كما أدت إلى فشل خطة مونتعمري » .

ويتابع رومل مذكراته :

وكان بترولنا يكفي لسير مجموعتنا الميكانيكية إلى منطقة المقطع وهناك نتوقف مؤقتاً لانتظار تجدد الهجوم ، شرط ألا يقوم البريطانيون إلى منطقة مردومة بحركة من الجنب .

وكانت خطة القائد البريطاني تتضمن خطأ واحداً . وهو أنه لم يتعلم من التجارب أننا لن نقبل في الغالب الدخول في معركة عند مرسي البريقة .

ولهذا كان ينبغي عليه ألا يبدأ في ضرب نقطنا القوية ومهاجمة خطوطنا حتى تنتهي قوة الالتفاف وتصل الى مكان تستطيع منه التقدم إلى الطريق الساحلي بتوقيت يتلاءم مع توقيت الهجوم بالمواجهة .

وفي هذه الأثناء تكونت في تونس قيادة الجيش الخامس البانزر في ١٠ كانون الأول تحت قيادة الجنرال فون آرنيم . ولسوء الحظ لم يكن هناك أي تعاون يذكر بين القيادة الجديدة وقيادتنا . وكنا نشعر بضرورة وجود قيادة موحدة في المسرح الافريقي خلال هذه الفترة العصيبة ، لكي نتمكن من تجميع قوى الجيشين اللذين كان مصير كل منهما يترتب عليه مصير الآخر .

عبور وادي سيرته للمرة الاخيرة

ومرة أخرى تحركت قواتي إلى الغرب عــبر مجاهل وادي سيرته القفراء وأغلب الظن ان هذه هي المرة الأخيرة . وقد جرى الانسحاب حسب الخطة خلال الليل ولم يلحظ البريطانيون شيئاً ، لأنهم في اليوم التالي ضربوا مواقعنــا السابقة بغلالة عنيفة ، وقامت القاذفات المقاتلة البريطانية بضرب عنق الزجاجة في المقطع طيلة هذا اليوم .

وفي الصباح شنت قوات معادية متفوقة هجوماً على مجموعة قتــال آريتي الموجودة جنوب غرب العقيلة (كان جناحها الايمن يرتكز على السبخة الكبيرة وجناحها الايسر متصل بالفرقة ٩٠ الخفيفة) . وتلا ذلك قتال مرير ضـد ٨٠ دبابة بريطانية دام حوالي عشر ساعات .

وقاتل الايطاليون ببراعة فائقة يستحقون عليها كل ثناء وتقدير . واخــيراً في المساء أمكن طرد البريطانيين للوراء بهجوم مضـاد بواسطة آلاي سنتورو المدرع وتركوا وراءهم ٣٢ دبابة وسيارتين مدرعتين احترقت كلها في المعركـة . وبذا استطعنا افساد محاولة البريطانيين في عزل الفرقة ٩٠ الخفيفة .

وطيلة ذلك اليوم أرسلت قوات الاستطلاع لتفادي وقوع هجوم مفاجيء على الطريق الساحلي بواسطة طابور معاد ملتف في منطقة مردومة .

وفي هذا اليوم ايضاً أغرق لنا البريطانيون ناقلة بترول وسفينتين سريعتين مجموع حمولاتها ٣٥٠٠ طن من البترول . وكانت هذه ضربة مميتة لنا خاصـة بالنظر للتهديد البريطاني من الجنوب مما جعل السرعة في العمليات ضرورية .

وأخطرنا الاستطلاع الجوي الذي وجهناه ناحية جناحنا المهدد بتقدم قوات بريطانية كبيرة في اتجاه مردومة . وهذا يعني أنه يجب علينــا استخدام آخر قطرة من البترول لكي نخرج من هــذا المأزق . وكان من المثير أنني اضطررت للوقوف موقف المتفرج على الفرص الجميلة التي أعطاها لي العدو للقيـام بهجمات مضادة فعالة . فعلى سبيل المثال استخدم القائد البريطاني حوالي الفي عربة فقط في حركة التفاف نحو الجنوب وكان يمكنني بكل بساطة (لو توفر لنا البترول ان اترك قوة صغيرة عند مضيق المقطع ثم أهاجم بأغلب قواتنا الميكانيكية على العدو القائم بعملية الالتفاف وتدميره . ولكن الموقف كان على مـا هو عليه ،

ويهددنا بأخطار مميتة .

وعليه فقد استأنفنا الانسحاب في هذه الليلة . وفي الصباح التالي قامت الفرقة ٢١ بانزر باحتلال مضيق المقطع للعمل كحرس مؤخرة . وبعد ساعة حركت رئاسة الجيش للخلف لنقطة تبعد حوالي ثلاثين ميلاً شرقي النوفيلية وتلقيت عند العصر أنباء من السلاح الجوي الالماني تفيد بأن البريطانيين وصلوا لنقطة تبعد ٢٠ ميلاً جنوبي شرقي مردومة . وكانت الاخبار سيئة للغاية لانه لا يوجد في الجبهة سوى كمية محدودة جداً من البترول وكان علينا نقل كمية من هذا البترول من الطريق إلى الجبهة . وفي هذا الاثناء كانت الكتيبة الاستطلاع المكلفة بستر قطاعنا الجنوبي مضطرة للانسحاب ببطء نحو مردومة لتفرق قوات العدو . وفي حوالي منتصف اليوم طارت فوقنا مجموعة من القاذفات البريطانية حيث ضربت مقر قيادتي ، وفي الغالب اجتذبت الانتباه ، طائرة الجنرال سيدمان من طراز ستورش ، واحترقت عربة المخابرات وأصيب عدد كبير من العربات .

وأثناء العصر تحركت الفرقة بانزر ومعها مجموعة قتال من الفرقة ٢١ بانزر الى المنطقة أمام مردومة للابقاء على الطريق الساحلي مفتوحاً للقوة الرئيسية للفرقة ٢١ بانزر التي كانت ما تزال مشتبكة في قتال عنيف في المقطع . ولكي أتفادى اشتباك القوات الموجودة في المقطع مع العدو لدرجة يصعب معها التخلص من المعركة بعد ذلك ، أصدرت أوامري في نهاية الأمر بالانسحاب الى آركودي فيلليني .

وفي المساء اخترق البريطانيون الستارة المكونة من الكتيبة ٣ استطلاع بالقرب من مردومة وتحركت قوة كبيرة نحو الغرب الى النوفيلية لكي تسبقنا .

وقررت عندئذ توزيع معظم القوات الموجودة حولي في المنطقة المحيطة بالنوفيلية . وتحرك فيلق افريقيا الى مواقعه الجديدة في الليل وبقيت الفرقة ٩٠ الخفيفة كحرس مؤخرة في وادي الفارغ ، وعند حلول الفجر كانت الفرقة ٢١ بانزر تتقدم الى النوفيلية بينما كانت الفرقة ١٥ بانزر لا تزال صامدة في مردومة لتأخر وصول الوقود .

وفي الساعات الأولى من يوم ١٦ كانون الاول نجحت المشاة البريطانية في الاستيلاء على تبة حاكمة في مواجهة خط مؤخرة الفرقة ٩٠ الخفيفة . وعندما

وصلت الفرقة ١٥ بانزر الى الطريق الساحلي ، كانت القـــوة الرئيسية للعدو في أعقابها مباشرة ، بينما عبرت مقدمة البريطانيين الطريق بالفعل . ولكن الفرقة استطاعت تفريق المقدمة البريطانية حيث شقت طريقها قتـــالاً نحو النوفيلية بخسائر قليلة جداً . وبما ان القوات الأساسية البريطانية كانت تتعقبها عن مقربة فقد أصبح من المستحيل على الفرقة احتلال الخطوط للعمل كحرس مؤخرة (على الجانب الجنوبي للفرقة ٩٠ الخفيفة) حسب الخطة الموضوعة ، مما جعـل موقف الفرقة ٩٠ الخفيفة خطيراً واضطررنا لسحبها هي الأخرى الى النوفيلية .

١٦ كانون الاول ١٩٤٢

عزيزتي لو

نحن الآن في مرعى مـلىء بالأزهار ولكننا ننسحب بكل أسف ولا ينتظر تحسين الموقف . أمامنا ثمانية أيام قبل حلول عيد الميلاد . واتساءل أين سنكون في هذا الوقت ؟

اذاعة القاهرة تعلن ان روميل اصبح في زجاجة

وقامت القوات البريطانية في الجنوب بمحاولة اخرى لعزلنا .

وأعلنت اذاعة القاهرة انـا اصبحنا في زجاجة ولم يعد على القائد البريطاني سوى ان يقفل عليها غطاءها . وعندما سمعنا هـذا قلت لضباطي ان الزجاجة ستصبح فارغة بعد مدة قصيرة لو اننا استطعنا ملء خزاناتنا فقط .

ولم يعد بترولنا يكفي الا للوصول بنا الى النوفيلية وحيث اننا لم نعد نتوقع أي امدادات كبيرة وجدت نفسي مضطراً لمواجهة احتمال الصمود في منطقـــة النوفيلية ليوم آخر رغمـــاً من تعرضنا للتطويق والعزل . ولكي امنع العدو من القيام بانطلاق سريـع على الطريق الساحلي وقطع قـــواتي من الخلف ، أصدرت الأوامر لتشكيلاتنا بالانتشار بعمق على طول الطريق نحو الغرب وهكذا كانت ستارة فيلق افريقيا الموجودة حول النوفيلية ممتدة نحو الغرب على طول الطريق (وهي تتألف من الكتيبة ٣٣ ، ٥٨٠ استطلاع ، آلاي مشاة البانزر «افريقيا» الفرقة ٩٠ الخفيفة بالترتيب المذكور) . أما منطقة سيرته فتحتلها فرقة الشبيبة « الفاشستية » ومجموعة قتال اريتي .

وفي الليل تحركت قواتنا الى المناطق المحددة لهـــا ، وفي الصباح كانت في

مواقعها ، ولكن دون وقود . وفي صباح ١٧ كانون الاول هاجمنـا البريطانيون عند نقطة تبعد من ٦ الى ١٠ أميال جنوبي غربي النوفيلية ونشبت معركة عنيفة مع وحدات فيلق افريقيا والكتيبة ٣٣ استطلاع التي كانت ثابتة في اماكنها . واقتربت المعركة بالتدريج من الطريق الساحلي. واخيراً بعد وصول عدة أطنان من البترول قمنا بهجوم مضاد بواسطة عناصر من فيلق افريقيا ومعها الكتيبة ٣ استطلاع ودمرت ٢٠ دبابة بريطانية في هذا القتال العنيف ، وهكذا استطعنا الاحتفاظ بالطريـق مفتوحاً وما ان وصل مرتبنا من الوقـود حتى تحركت الوحدات المهددة بالتطويق بسرعة على الطريق نحو الغرب .

وفي هذا الصباح غادرت مقر قيادتي لأقنع المارشال باستيكو بالانضمام الي في الاعتراض على الاوامر بالصمود في مواقع البويرات . وكنت انظر الى موقع البويرات على انه مجرد توقف مؤقت اجبر فيها البريطانيون على التوقف وقفـة طويلة ثم انسحب بعد ذلك الى الخط الممتد بين طرهونة وهومز عندما يستأنفون هجومهم . وكان واضحاً لنا ان القيادة العليا الايطالية لن تسمح لنا بالانسحاب الا في اللحظة الاخيرة ، وهذا يعني عندما يصبـح الجيش معرضاً لخطر كبير ، بحيث تشعر روما به ، ولكن ربما يأتي هذا الأذن متأخراً. وكان من الممكن ان توضع للانسحاب الى قابس خطة اكثر نظاماً ودقـة فيمكننا الاستفادة منها لو ان القوم تصرفوا واضعين دوماً الهدف نصب اعينهم بدلاً من ان يسمحوا لأنفسهم بالوقوف في مواقف لا يخلصهم منها الا قرارات غير مدروسة في آخر لحظة تحت صدمة هجوم العدو .

وفي طريقي ناقشت الموضوع مع الجنرال نافاريتي الذي لم يكن متفائلاً وكان يعتقد انه من المشكوك فيه ان نتمكن من اجتياز كل هذه المسافـة مع افتقارنا للبترول . واوضحت له ان الهدف الاساسي لنـا هو عدم الدخول في معركة حاسمة مع العدو ، مـع المحاولة بكل ما بوسعنا لتفادي إنجاح البريطانيين في تثبيت قواتنا بالمواجهة. وكانت سرعة انسحابنا ستحددها كمية البترول الصغيرة التي يمكن جلبها .

وكان لا يزال لدينا أمل في ألا يدفـع البريطانيون بجهودهم الرئيسي في هجومهم الملتف حول جنبنا الجنوبي . ولو أنهـم فعلوا ذلك لأصبح هروبنا في اللحظة المناسبة امراً مشكوكاً في تحقيقه .

واجتمعت بالمارشال باستيكو في البويرات ، وبعـــد ان لفت اهتمامه الى اهمية التفكير الفوري في اخلاء طرابلس قررنا في النهاية بعث تقرير مشترك الى القيادة العليا الايطالية ، نطالبها فيه مرة ثانية باتخاذ القرارات اللازمة . وكان علي اعداد تقرير الموقف . واثناء المناقشة شرح المارشال باستيكو النتائج الـتي سيترتب عليها الجلاء عن طرابلس .

ولكن نظراً لسوء الموقف الاداري فانهذه النتائج كانت محتمة وعلى الرجل العسكري ان يتعلم قبول الحقائق .

وكان باستيكو نفسه مدركاً تماماً اننـــا لا نستطيع الصمود في البويرات وطلبت منه ان يعتبر خط طرهونة – هومز توقفنا الثاني . وبعد انتهاء الاجتماع مباشرة امليت تقريري للموقف وطلبت منه السماح لنا باخلاء المشاة المترجلة على مراحل من خط البويرات ، كما طلبت ان يوجه التفكير الاستراتيجي نحو تنفيذ خطة قابس على نطاق واسع . وقد دعم المارشال باستيكو تقريري للموقف في كل نقطه الأساسية .

ولم يتحسن موقف الامداد بالنسبة لجيش البانزر فقد اغرق البريطانيون تسع سفن من اصل عشرة كانت متوجهة الى طرابلس ولم تكن الأخيرة التي تحمل وقوداً . ومما ضاعف من متاعبنا اننـــا كنا في حالة من القلق المستمر بخصوص تونس . فلم نتلق معلومات واضحة يمكننا بواسطتها ان نعلم شيئاً ممـا يجري في هذه الجبهة . وكان على الجيشين ان يفترض كل منهما ان الآخر صامد في مواقعه ويتم التصرف على هذا الأساس .

وكان العامل الأساسي في قلقي ان يخرج البريطانيون والامريكيون بقرارهم الاستراتيجي السليم ويهاجمون عنق الزجاجة عند قابس عـــبر تونس الجنوبية ، فيعزلون الجيشين عن بعضهما .

وفي الحقيقة ان هذا بالذات كان من ضمن الأسباب التي دفعتـــني للرغبة في الاسراع بالتراجع الى الغرب ولو كان الأمر بيـــدي وتوفر لي البترول اللازم لانسحبت الى تونس قبل ذلك .

١٨ كانون الاول ١٩٤٢

عزيزتي لو

القتال شديد مرة اخرى وأملنا في النجاح ضئيل لأنننـــا بحاجة لكل شيء

ومصير الفرد يتضاءل في الاهمية بالنسبة لمصير الجيش المرير والنتائج والآثار التي ستترتب عليه .

وكان باستيكو هو الآخر في حالة سيئة ، ويبدو ان الموقف في الغرب ليس أحسن منا حالاً خاصة في المرافيء ، ونأمل ان نستطيع الاستمرار لمـــدة أيام قليلة اخرى . ولكن البترول قليل وبدون بترول لا يمكننا ان نفعل شيئاً .

وفي ١٨ كانون الاول قمت بالتفتيش على خـــط البويرات الذي كان انشاؤه مستمراً تحت اشراف ويستفال ، وبقدر ما سمحت به امكانياتنا المحدودة . وقد قمنا ببث ٨٠٫٠٠٠ لغم ، ولكن معظمها كان مضاداً للأفراد. وفي نواح متعددة من الجبهة قمنا بحفر خنادق مضادة للدبابات بواسطة وحدات العمـــل الالمانية والايطالية .

وفي ذلك الوقت اعلن البريطانيون انهم اقفلوا حلقة الحصار حول النوفيلية وانهم على وشك القضاء على هذا الجيب الناشيء ، وقيل ان كثيراً من وحداتنـا موجودة ضمن الحلقة وانها تقوم بمحاولات فاشلة للهرب . وفي الواقع انه لم يوجد بداخلها سوى فصيلة واحدة وحتى هذه نجحت في الهرب .

وفي عصر يوم ١٩ كانون الاول وصل أمر من الدوتشي رداً على تقرير الموقف الذي كنت قد بعثت به بالتضامن مع المارشال باستيكو الى مقر القيادة العليـــا الايطالية ، واذا ما نظرنا اليه نظراً للظروف السائدة في ذلـــك الوقت لوجدنا كلماته رنانة طنانة . وكان مضمونه على وجه التقريب كما يلي :

« قاوموا للنهاية — اكرر — قاوموا حتى النهاية وبكل قوات الجيش الألماني الايطالي في موقع البويرات » .

وكنت اتساءل كيف كان موسوليني يتصور الطريقة التي تسير بها مثل هذه المعارك ؟

وقد فعلت كل ما بوسعي لكي اقنـع دوائر قيادتنا العليا بـــأن الحرب في الصحراء تحتاج للفن ، وركزت بالذات على ادراك ان الارض عديمة القيمة هناك وأهم مبدأ هو الاستمرار في التحرك الى ان تتوفر فرصة تكتيكية مواتية لخوض معركة ثم الدخول في قتال . وتحت الظروف التي كنا نواجهها فاني اعتقد ان الموقع المناسب كان خط قابس . ومع ذلك فقـــد صدرت الاوامر مرة ثانية للقوات « بالمقاومة حتى النهاية » وارسلت على الفور المارشال كافاليرو طالباً منه

ان يوضح لي ما الذي نفعله لو ان العدو طوقنا من الجنوب ولم يقم بمهاجمة حامية خط البويرات .

وأجاب المارشال كافاليرو بأنه عندئذ يجب ادارة المعركة بحيث لا نضحي بالقوات الايطالية مرة اخرى لذلك امرت الجنرال مانشينيللي بالذهاب بنفسه الى المارشال باستيكو ويعلمه بأنه لا يمكنني ان « اقاوم حتى النهاية » في موقع البويرات وفي نفس الوقت انقذ الايطاليين . وكان عليه الاختيار بين الاثنين ولكن باستيكو تهرب من الاجابة بطريقته المعهودة .

وكان موقفه صعباً جداً. فقد كان مدركاً للصعاب التي كنا نواجهها وكما قلت من قبل يدرك ايضاً استحالة الصمود لمدة طويلة في أي مكان في هذه المنطقة من قابس . ولكنه كحاكم لليبيا لا يستطيع مساندة فكرة الجلاء عن طرابلس . وبالاضافة الى انه يعرف ان كافاليرو وعصابته كانوا ينتظرون منه أي هفوة لكي يتخذوا منه كبشاً للفداء لتغطية اخطائهم .

وفي الواقع كنت خائفاً للغاية من استمرار القائد البريطاني فيمحاولاته ليسبقنا في الجنوب . ولو فعل هذا فان موقع البويرات سينهار بدون طلقة واحدة .

ويعلق ليدل هارت بقوله :

« لم يستطع مونتغمري الاستمرار في تقدمه على نطاق واسع وذلك لأسباب ادارية . فقد فضل التريث حتى يتم حشد كميات كافية من الامدادات لكي يستأنف تقدمه الى طرابلس دون توقف كما انـه كان مشغولا بالمحافظة على توازن القوى في المناطق الخلفية ، وفي التخطيط للمرحلة القادمة من التقدم وكان يرغب في احضار فيلق لاحتلال موقع العقيلة عندما يتحرك الفيلق الثلاثون للمرة الثانية الى الغرب. وكان الفيلق العاشر سيتحرك الى هناك ويشمل الفرقة الاولى المدرعة والفرقتين ٥٠ و ٤ الهندية المشاة . ولكن تحركه تأخر للصعوبات في الامداد والتموين الناجمة من تدمير ميناء بنغازي من العواصف العنيفة التي هبت في يوم ٤ ، ٥ كانون الثاني » .

ويتابع روميل مذكراته :

وبالطبع حاول السلاح الجوي الالماني كعادته ان ينال منا . فقد أعلن كسلرينج اننا أسأنا استخدام البترول المخصص للجبهة في المناطق الخلفية ، ولهذا كنا غير قادرين على القيام بأي هجمات معاكسة بقواتنا الميكانيكية ولم يكن

هناك شيء من الحقيقة في هذا الاتهام ، والغرض منه في الاساس الرد على الكميات الصغيرة من البترول التي وصلتنا بالفعل . وفي الواقع ان ٩٥ ٪ من البترول الذي تلقيناه استخدم عند الانسحاب ، بينما نجد ان امداد التشكيلات المقاتلة والأفراد الذين صرفوا البترول بدون أي سلطة هم افراد وحدات السلاح الجوي الالماني . ولأيام عديدة ، توقفت مئـات من عربات الامداد والتموين جامدة على الطريق ومستودعاتها فارغة وكان لدى قواتي القليل من الوقود لصد العدو ، وعليه فقد غضبنا للغاية لهذا الاتهام وارسلنا لكسارينج على الفور اشارة نقول له فيها رأينا.

ويبدو ان البريطانيين يقومون بعمليات امداد واسعة النطاق تمهيداً لعمليات التفاف اكبر . وكانت قوافل لا تنتهي من العربات تتقدم نحو الغرب على الطريق الساحلي من طبرق وبنغازي وكانت عمليات التفريـغ تتم بأقصى سرعة في المرفأين وكانت مجموعة الصحراء تقوم بعمليات واسعة النطاق ضد خطوط مواصلاتنـــا وكانت تعمل حسب خطة دقيقة . وقد نجحت مراراً في تـدمير عربات امدادنا خلف خطوطنا وفي زرع الألغـــام وقطع خطوط مواصلاتنا السلكية وما الى ذلك من العمليات . وكانت مجموعاتها تفلت منـا كالزئبق لأنها لم تكن تظهر الا لفترة محدودة ثم تختفي في الصحراء دون ان تترك وراءها أي أثر .

وقد استمرت القوات الميكانيكية في الصمود في مواقعها في منطقة سيرتـــه بينما قمنا بجهودات ضخمة لاقامة موقع البويرات . وبثثنا كل الألغام التي كانت لدينا ، وفي حال قرر الدوتشي احتلال جبهة ثابتة في البويرات كنا نرغب في ان نكون مستعدين . وكان من الافضل بالطبـع ان نستخدم كل مواردنا في بناء خط طرهونة ــ هومز حيث كان من الممكن استخدام القوات الايطالية غـــير المحملة بطريقة افضل .

وفي وقت قصير اصبحت جبهة البويرات على درجة من القـــوة تسمح لها بالصمود في وجه اي محاولة بريطانية لاختراقها هذا اذا اختـــار العدو مواجهتنا بالمواجهة طبعاً . مثلها في ذلك مثل كل المواقع تقريباً في افريقيا كلها ، فيمكن للعدو الالتفاف حولها من الجنوب ثم قطع الطريـق الساحلي من ورائها دون ان يتصل على الاطلاق بالخط المحصن . ولو انه استخدم عدة فرق في مثـــل هذه الحركة فان المعركة ستقررها القوات المحملة وحدها . ومن هذه الناحية كنا اقل من قوة العدو بدرجة كبيرة . هذا بجانب ما لدينـــا من وقود لا يسمح لنا

بالدخول في معركة ميكانيكية .

وفي الأيام القليلة التالية أوضحت مراراً ان البريطانيين ربما لن يهاجموا خط البويرات بالمواجهة بل ربما سيلتفون من الجنوب . وطلبت التعليمات للتصرف في مثل هذه الحالة . وفي كل مرة تلقيت رداً يتضمن اوامر الدوتشي . وكل الافراد في روما كانوا خائفين للغايـــة من اتخاذ أي قرار شخصي ، وحاولوا على الدوام القاء المسؤولية على شخص آخر . وقررت عدم التخلي عن هذا الموضوع قبل ان اتلقى رداً معقولاً على سؤالي لانني لا ارغب في ان اصبح كبش الفداء لأي شخص من جنود المكاتب في روما .

٢٤ كانون الاول ١٩٤٢

عزيزتي لو

اليوم أفكاري معكما أكثر من أي وقت آخر. ولك يا مانفريد أحر مشاعري لعامك الخامس عشر . وأظن أنك تلقيت خطابي بمناسبة عيد ميلادك . وأتمنى لكما عيد ميلاد سعيد وسيعيننا الله كما فعل في الماضي .

سنتحرك في وقت مبكر من هذا الصباح وفي الليل سأحتفل بالعيد مــع الرجال . وروحهم المعنوية عالية ، فشكراً لله على هذا لأن الموقف يتطلب عزيمة قوية لكي لا يبدر منا أي شيء يشير الى صعوبة الموقف الذي نواجهه .

لقد كان كسلرينج هنا بالأمس . وتلقينا وعوداً اضافية ولكنها ستكون كوعوده في الماضي ، ولن يمكن المحافظة عليهـا لأن العدو يتدخل بقلمه في كل حساباتنا الإدارية .

وفي ٢٤ ك ١ تحركنا في صباح مشرق جميل للتفتيش على الأرض الواقعـــة جنوب جبهتنا . وتحركنا في أول الأمر على الطريق الساحلي ثم تحولنا ومعنا سيارتان مدرعتان إيطاليتان كحرس عبر وادي زمزم الكثير التعـــاريج نحو الفاشيا. وفي وقت قصير عثرنا على آثار لعجلات بعض العربات البريطانية وأغلب الظن أن رجال سترلينج قد أحدثوها (كانت في الواقع آثار عربات مجموعـــة الصحراء بعيدة المدى) وكانوا هنا لعرقـلة سير قواتنا الادارية . وكانت الآثار حديثة نسبياً فراقبنا حولنا بكل دقة لكي نعثر على أي أثر لهم .

وبالقرب من الفاشيا شاهدنا فجأة عربة وحيدة ، فطاردناها ولكننا وجدنا أنها إيطالية . وفي نفس المنطقة كانت توجد قوات من مجموعة قتال الرئاسة. وقد

فاجأوا بعض الفدائيين البريطانيين في اليوم السابق واستولوا على خرائط موضح عليها مكان المخازن البريطانية ونقطهم المحصنة . وكانوا هم أيضاً يفتشون المنطقة للبحث عن البريطانيين .

وأثناء عودتنا وصل عشاؤنا الخاص بعيد الميلاد في شكل قطيع من الغزلان. ونجحنا أنا وأمبروستر (مترجم في هيئة أركان حرب جيش البـــانزر) أثناء تحركنا في اصطياد غزال لكل واحد منا .

وعندما عدت للرئاسة علمت أن البريطانيين قد شنوا هجوماً في هذه الفترة جنوبي سيرته بأكثر من ٤٥٠٠ مركبة وهم يتحركون الى الغرب . أما في سيرته نفسها فقد كان أفراد الفرقة ١٥ بانزر قد اجتمعوا للاحتفال بعيد الميلاد عندما وقع الهجوم واضطروا للاستعداد فوراً والتحرك بعدها مباشرة .

وفي اليوم التالي أوقف البريطــانيون تقدمهم وبدا كما لو كانوا ينتظرون التعزيرات والامدادات. وقمنا بسحب الفرقة ٩٠ الخفيفة والكتيبة ٥٨٠ استطلاع (وكانوا يحتلون مواقع كحرس خلفي) خطوة فخطوة الى ما وراء موقـــع البويرات .

وانتهزت هذه الفرصة للتفتيش على مواقع البويرات من ناحية العدو لكي أعرف مدى فاعلية وسائل تموينها . وفي العلمين كان البريطـــانيون قد ركزوا سيلاً منهمراً من نيران مدفعيتهم على مواقع مدفعيتنا من عيـــار ٨٨ مم وذلك للقضاء علىأخطر أسلحتنا بالنسبة لهم. وعليه ففي هذه المرة كنا نستخدم عدداً كبيراً من المدافع الهيكلية للتقليل من أثر نيران المدفعية البريطانية.

وفي ٢٩ ك ١ كانت كل قواتي قد انسحبت الى ما وراء موقع البويرات .

٢٨ ك ١ ١٩٤٢

عزيزتي لو

مصيرنا يفرض نفسه علينا ببطء ، والإمدادات قليله جداً وستكون معجزة لو تمكنا من الصمود أكثر من ذلك . والذي سيحدث في المستقبل لا يعلمه الا الله وسنستمر في القتال طالما أمكننا هـذا . وقد توقعت كل هذا منذ كنا سوية في المرة الأخيرة وناقشت أهم المشاكل معك .

وأفكاري نحوك أكثر من أي وقت آخر في هذه الايام الصعبة ، وأنا مضطر

الآن لأقول لنفسي باستمرار أن الامور ستتحسن في يوم مــــا ، ارفعي رأسك وسأفعل نفس الشيء .

٣٠ ك١ ١٩٤٢

بدأت المعركة ، وليس عندي من شك في نتيجتها ، لأن القوى غير متكافئة على الإطلاق ، وقد توقفت الامدادات تماماً على وجه التقريب ، وعلينـــــا أن نرضى بما ليس منه بد ونرجو أن يساعدنا الله . وقـــد ذهبت للجبهة بالأمس وسأذهب اليوم أيضاً .

٣١ ك١ ١٩٤٢

سيحضر كسلرينج اليوم وربما يتطور الموقف « قليلاً » لصالحنا ، وليس هذا بالكثير ولكنه أحسن من لا شيء ، ولا يمكن أن نتوقع أي تبدل كبير بالطبع.

وفي منتصف اليوم سأقابل باستيكو الذي يزداد شعوره بالمسؤولية وبنفسه كقائد عام على مر الايام ، وهذا شيء يجب أن أتبعه ، وعلى أي حال فهذا يعني أنه يشاركنا في المسئولية .

أنا قلق جداً للقتال العنيف النـــاشب في الشرق (ستالينغراد) ونرجو أن أن نخرج منه منتصرين ، والجيش هنا في أحسن حالاته ، وأحسن شيء هو ألا يعرف الرجال كل شيء .

فرصة البويرات :

لقد دهشنا لتوقف العدو في البويرات ، فقد أعطـــانا فرصة أخرى قمنا باستغلالها على الفور محاولين إقناع القوم بسحب القوات الايطـالية الى طرهونة وذلك للافلات من التطويق من جهة الجنوب وإخراج الايطاليين غير المحملين . كما حدث من قبل في مرسي البريقة ولا تزال أمامنا فسحة من الوقت .

ويعلق ليدل هارت :

« لم يتبـع انسحاب روممل الى خط البويرات سوى قوات خفيفـــة . وكان مونتغمري ينوي مهاجمة هذا الخط بالفيلق الثلاثين في يوم ١٥ ك٢ » .

ويتابـع روممل مذكراته :

وعليه ففي ٣١ ك١ عقدتِ اجتماعاً مع المارشال باستيكو ، ويبدو أن القيادة

العليا الايطالية قررت بعد جدل طويل عدم المخاطرة بدمار الجيش في البويرات. ولكنها كانت ما تزال تأمل في أكثر من هدف وبذا قررت أن أصمد في موقع البويرات إلى آخر فرصة ممكنـة ، واذا بلغت الامور حد الخطر سننسحب الى الغرب . وقالوا أنه من الضروري أن تستمر المقاومة في طرابلس لمدة شهر آخر أو اثنين .

ورددت على الفور بأن مدة بقائنا في طرابلس سيقررها مونتغمري ولـن تقررها القيادة العليا الايطالية ، وأنه يجب انسحاب القوات غير المحمـلة على الفور .

وعندما يشن البريطانيون هجومهم سيكون قد فات الاوان .

ووجهت النظر على وجه الخصوص إلى أن العدو قد حاول الالتفاف بنا في كل مرة من خارج مرمى نيراننا . وسألني المارشال باستيكو إذا كنت مستعداً لاصدار الامر بانسحاب القوات غير المحملة بنفسي ، وبالطبع كان هذا مخرجاً ولكنه كان سيؤدي الى وقوعي في مأزق أكبر مع القيادة العليا الايطالية وينجم عنه موقف يضر بالجيش كله . كما انهم سينتهزون أول فرصة لكي يرسلوا الينا بأمر آخر للدوتشي . وهكذا فان الموضوع كان يتعلق بمبدأ ، وعليه فقـد أجبت بأنـه يجب الحصول على اذن رسمي من المارشال باستيكو لسحب فرق المشاة ولكنني سأقرر بنفسي متى يتم تنفيذ هذا الامر .

ومن المظاهر الخطيرة في أي جيش البحث عن كبش للفداء لاخفاء أي خطأ في القيادة العليا مهما كان امره . وهذا يقضي تماماً على استعداد القـادة الصغار لتحمل المسئولية لأنهـم سيحاولون تغطية كل تصرف لهم بالطرق الرسمية الروتينية المعقدة تنتهي في العادة باجراءات سخيفة عديمة القيمة بدلاً من القرارات السريعة المؤدية للنصر . وينتج عن هذا ان الرجل الذي لا يفعـل شيئاً (سوى ان يوكل كل شيء الى قيادته العليا) يرتفع تدريجياً بينما يبعد الرجال ذوي القيمة الحقيقية والذين لا يقبلون كل شيء على علاته ، ويكون لهم رأيهم الخاص .

والمارشال باستيكو كان في اساسه رجلاً مهذباً ومفاهيمه العسكرية معقولة وروحه المعنوية مرتفعة بالفعل . وكان رأيه في الموقف متفقاً مـع رأيي ولكنه لسوء حظه كلف من قبل القيادة العليا الايطالية يعرض وجهات نـظر الدوتشي الينا . وحيث انها كانت خاطئة في العادة فقـد وجد نفسه دوماً على ارض غير

ثابتة خلال المناقشات . وقد ساند آرائي دوماً وساهم بمحاولاته في تهدئـة الجو فجعل الانسحاب عبر طرابلس ناجحاً بالرغم من عناد قادتنا الأغبياء .

وعليه ففي عيد رأس السنة جلسنا سوية في عربة العمليات شاعرين بالأسى وحاولنا عدم التفكير في الموقف العسكري وبذلك نجحنا في اشاعـة شيء من المرح في الجو .

١ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

لم تمر السنة الماضية دون ان تخفف شيئاً من صعابنا ، وعليه فاني أبـــدأ عام ١٩٤٣ بشيء من الامل .

اخلص مشاعري وتمنياتي بالعام الجديد لك ولمانفريد . وقـــد جلست أنا وبايرلاين وبوثين جلسة مريحة في عربة قيادتنا الصغيرة حتى منتصف الليل حيث تحولت أفكارنا كثيراً نحو الوطن ...

وبعد عدة أيام وصل أمر من المارشال باستيكو بوجوب البدء في نقل القوات الايطالية نحو خط طرهونة ــ هومز . وهذا الامر كان مقيداً ، لأنه كلفنـــا بايقاف البريطانيين امام دفاعات طرابلس لمدة ستة اسابيع على الأقـــل . وقد بينت من قبل عدم جدوى تحديد مثل هذه الاهداف . وبالطبع حاولت ان اكسب اكثر ما يمكنني من الوقت ولكنني لم احاول مطلقاً ان اربـــط نفسي بتواريخ محددة . ولذلك ارسلت تقريراً بهذا المعنى الى القيادة العليا الايطالية عن طريق باستيكو .

واثناء فترة الهدوء (في بدايـــة كانون الثاني ١٩٤٣) اخذت في التحرك باستمرار مع بايرلاين محاولا معرفه الارض التي ستدور عليها المعركة المرتقبـــة وان اطبع ميدان المعركة في ذهـــني . ثم استغل هذه الفرصة لزيارة المدينة الرومانية القديمة ليبتيس ماجنا وكانت آثارها ما تزال موجودة .

وقام استاذ ايطالي بالعمل كدليل لنا وشرح دقائق المكان في لغة ألمـــانية ممتازة . ولكن افكارنا كانت مع مونتغمري اكثر مما كانت مع الآثار القديمة .

٥ كانون الثاني ١٩٥٣

عزيزتي لو

لا جديد . ولم يغامر العدو بعد بالهجوم . وانا احاول معرفة متى سيقع هذا

الهجوم . وقد كتبت لهيلين وجرترود بالأمس ، ولا يزال الجـــو بارداً وعاصفاً والفترة الوحيدة التي يكون فيهـــا الجو دافئاً عند الظهر عندما تبدأ الشمس في الانقشاع . وهذا شيء لم اتعوده في افريقيا . وقد وصلني خطاب من فون لويكة الذي وقع في الاسر منذ عام . وقد كان في جنوب افريقيا وهرب واخذ يتجول شمالاً مع رجل آخر لمدة اربعة اشهر وبعد ذلك قام احد رجال الزولو بتسليمه مرة اخرى للبريطانيين .

والبريد الذي يصلنا قليل للغاية ومعظم الذي وصلنا يعود تاريخه الى تشرين الثاني . وأطن أن هناك كمية كبيرة في قاع البحر . وأمـــا حالتي فأحسن بعض الشيء فهناك امل في الصعود في مكان ما .

٧ كانون الثاني ١٩٤٣

كان كسلرينج وكافاليرو هنا ومعهما جاوزي . ولكنهم لا يبذلون الآن حتى الوعود . يجب علينـــا في هذه الفترة التصرف بامكانياتنا وسيتصل جاوزي بـــك لكي تحصلي على شارات المارشال وعصا المارشالية . والحال ما يزال على هدوئه وأصدقاؤنا حذرون للغاية .

٨ كانون الثاني ١٩٤٣

لا جديد . وأعداؤنا يتحركون ببطء ظاهر وهذا يعني أن عيشتنا أصبحت أكثر نظاماً . وقد قمت بالأمس برحلة طويلة عبر الصحراء واليوم سأقوم برحلة أخرى للاستكشاف . وكيف حالك ؟ والبريد مثلة في ذلك مثـــل الامدادات أي سيء للغاية . وهل تلقى مانفريد رسالتي في عيد ميلاده ؟ واذا كان فلماذا لم يذكرها .

وفي ذلك الوقت حرك البريطانيون معظم قواتهـــم لحشدها للهجوم نحو الجنوب فزاد من نشاط القاذفات البريطانية مرةأخرى وهاجمت منشآت امدادنا ليلاً نهاراً . وقد وصل للجبهة في الفترة ما بين الأول والثامن من كانون الثـــاني ثلاثون طناً من الذخيرة بينما استخدمنا في نفس الفترة خمسين طناً .

وفي الفترة نفسها استخدمنا ١٩٠٠ طن مقابـــل ٨٠٠ وصلتنا في نفس هذه الفترة . وفي حوالي ١٠ كانون الثاني زادت حدة التهديد بهجوم أمريكي انجليزي من تونس ضد عنق الزجاجة عنـــد قابس (في منتصف الطريق بـــين طرابس وتونس) . فمثل هذه العملية كانت ستعزل الجيشين عن بعضهما . وعليه فقـــد

سألني المارشال كافاليرو هل أستطيع ارسال فرقة الى هناك ؟

وحيث أن هذا المضيق كان يعتبر بمثابـة شريان الحياة بالنسبة لنا فقـد اقترحت ارسال الفرقة ٢١ بانزر الى هناك على ان تعتمد اداريـاً على تونس . وتحركت الفرقة نحو الغرب في صباح ١٣ كانون الثاني .

١٣ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

الآن اتحرك مرة أخرى وتستطيعين أن تتصوري شدة قـلقي . وأفكاري معك دائماً في هذه الليالي التي يفارقني فيها النوم .

١٤ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

اليوم عيد ميلاد بابرلاين ونحن نحتفل به الآن . وفيلق افريقيـا على وجه الخصوص يحترمه للغاية ويدين له بالكثير ، ولا تغيير يذكر في الموقف بعد. وقد هبت عاصفة رملية بالأمس مما أخفى تحركاتنا . ويبـدو أن الأمور في الشرق تزداد تحسناً مما يريح بالنا كثيراً . ولكن مصيرنا هنا يتوقف في النهايـة على الامدادات وحدها ، وليس ضرورياً أن أصف لك حالتها.وسلاح العدو الجوي أصبح نشطاً للغاية .

لقد علمنا بواسطة محطات الاصغاء اللاسلكية ان العدوسينتهي من استعداداته للهجوم في يوم ١٥ كانون الثاني . وكنا قد علمنا بوجود ما بـين ٤٠٠ الى ٥٠٠ طائرة بريطانية في المطارات الأمامية،وهذا ليس بالكثير اذا ماقارناه بأعدادها في العلمين ، ولكن هذا كان مساوياً لضعف القوة الألمانيـة — الايطالية (وهي لا تشمل على قاذفات ثقيلة) .

وتبع هذا أن دفع البريطانيون بمدفعيتهم للأمام ليلة١٤ كانون الثاني وجاءت أولى الهجمات عند فجر يوم ١٥ كانون الثاني في المنطقة الجنوبية وشنتها الفرقـة السابعة المدرعة وعناصر من الفرقة الثانية النيوزيلندية . وفي بدايـة الأمر كان الهجوم على جنوب فورتينو بحوالي ١٤٠ دبابـة و ١٠٠ سيارة مدرعة ثم تحول الهجوم مباشرة الى الفرقة ١٥ بانزر ولكن هناك تمكنا من ايقافهم . وبعـد احضار المدفعية استأنفوا الهجوم في عصر نفس اليـوم ، حيث دارت معركة عنيفة بين المدرعات وأمكننا فيها احراز النصر . وخلف البريطانيون وراءهم في

ميدان المعركة ٣٣ دبابة مدمرة وخسرنا نحن دبابتين .

وكان البريطانيون يتحركون على طول الجبهـــة بكاملها ، وكان من الواضح أنهم سيقومون بهجوم بكل قوتهم مركزين أغلب هذه القــوة في الجنوب . ولم يكن لدينا الوقود والذخيرة التي تضمن لنا التصدي لهم بنجاح في مثـــل هذه المعركة ، لذلك أصدرت أوامري بالانسحاب الى الغرب ، وتحركت كل القوات الألمانية والايطالية أثناء الليل .

١٥ كانون الثاني ١٨٤٣

عزيزتي لو

بدأ تحركنا – أما سرعته فتتوقــف على مدى الضغط الذي سنتعرض له . لكني لا أحس أني بخير لأسباب عديدة. وقد سافر برندت مرة أخرى. وينتظر أن يعود في الغد .

أما من الناحية الصحية فأنا على ما يرام. ولكن الضغط على الأعصاب شديد في هذه الفترة ، وأنا مضطر للسيطرة على نفسي بكل عزم وقوة .

النهاية في طرابلس

وفي اليوم التالي ١٦ كانون الثاني تعقبنا البريطانيون عـن كثب حيث قامت بعد قليل قوة بريطانية كبيرة تقدر بحوالي مائة عربة قتال بهجوم عـلى الثلاثين عربة التي تتكون منها الفرقة ١٥ بانزر. وبما ان الفرقة كانت مكشوفة الجناحين من الشمال والجنوب فكان موقفهـــا خطيراً . واشتبك البريطانيون في المعركة بقتال عنيف عبر نيران المدفعية وقد خسروا عشرين دبابـــة . ثم قامت الفرقة ٩٠ الخفيفة برد الفرقة ٥١ هايلاندرز بعد اختراقها لستارة الحرس الخلفي بالفعل

وبدأنا نشعر بأثر العجز في البترول لأن الاستهلاك زاد بدرجة كبيرة لزيادة تحركاتنا من ناحية ولقوة العدو المتزايدة من ناحيـــة أخرى ، ولذلك لم نستطع الاستمرار في القتال في أرض مكشوفة أكثر من ذلك فاضطررنا لتجنب الاشتباك في أي معركة عن قرب لا يمكننا الخلاص منها بسهولة .

١٧ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

مضى اليوم الثاني للمعركة ، وكانت صعبـــة في جناحها الجنوبي وستكون

معجزة لو تمكنا من الصمود لمدة طويلة في مواجهة هذا الهجوم العنيف . وقد كنت متوقعاً كل هذا كما تعلمين ولو أن بعض الناس كانوا متفائلين للغاية بالنسبة لموقفنا حتى وقت قريب . وفي القتال الذي سنخوض غماره سنقوم بواجبنا الذي يتوقعه منا وطننا .

وفي ١٧ كانون الثاني بدأ القتال ضد حرس مؤخرتنا بالقرب من بني الوليد وقد قام القسم الأكبر من الفرقة ٧ المدرعة بمحاولة لتطويق وعزل وحداتنا . وعليه فقد قامت الفرقة ٩٠ الخفيفة هي الأخرى بالانسحاب قتالاً .

ولم يكن باستطاعتنا الصمود لوقت طويل في تلك الجبهة ذات الجنب الجنوبي المكشوف دون ان نخاطر بخسارة قسم كبير من القوات . لذلك أصدرت أوامري بالبدء في الانسحاب الى خط طرهونة – هومز . ولكي أتأكد من سلامة المشاة الايطالية أمرت بأن تبدأ عمليات نقلهم الى خط دفاعي في طرابلس حال وصول القوات الميكانيكية الى خط طرهونة – هومز . وأخطرت رئيس أركان القيادة الايطالية في ليبيا أنه نظراً للتفوق الهائل للعدو لا ينبغي حتى التفكير في الصمود عند خط طرهونة – هومز . وعلينا ان نتوقع وصول البريطانيين أمام طرابلس اعتباراً من ٢٠ كانون الثاني .

وبينما كان الايطاليون ينقلون نحو الغرب قام البريطانيون بتعقبنا بقوات كبيرة واقتربوا من خطوطنا . واخطرتني القيادة الايطالية ان خط طرهونة – هومز يصعب الالتفاف من حوله .

ومن ناحية ثانية كانت الامكانيات الدفاعية هناك جيدة للغاية لأن أي هجوم بريطاني من الجنوب والجنوب الشرقي عليه ان يمر في أرض رملية وعرة . وفي الواقع لو كان لدينا احتياطي أكبر من الامدادات لاستطعنا صد العدو وايقافه هناك لفترة طويلة جداً .

١٩ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

لا يزال القتال حتى الآن مستمراً ولم يتوقف. نحن الآن في أرض وعرة حيث نأمل في الصمود لفترة ما . ولكن ليس هناك ما يعوض الفارق بين القوة في الجيشين . وقد رجع برندت لأن كسلرينج استطاع التغلب بنفوذه لدى الفوهرر وقد كانت رحلته مفيدة جداً وفي وقتها المناسب . ولكن لا أعلم اذا كانت

احتياجاتنا ستجاب ، فالأحداث سبقتنا كثيراً وما يزال أمامنا ما هو أخطر . وقد أبلغني برندت مشاعر الفوهرر كما وانني لا أزال أتمتع بثقته الكاملة . وفي الواقع أننا نفعل كل ما بوسعنا كبشر تحت ظروف قاسية . ولكن احتمال نجاحنا بالطبع مشكوك فيه .

وقد أصبحت الأحوال خطيرة (في الجبهة الشرقية) ، وستكون هناك تعبئة شاملة للقوى العاملة لكل ألماني دون الالتفات لحالته الاجتماعية وممتلكاته ومكان اقامته وسنه . ولذلك يجب ان تنتهي في الوقت المناسب لتحصلي على الشيء المناسب . أما مانفريد فهو ايضاً سيضطر لأن يقف وراء آلة في مصنع أو مدفع مضاد للطائرات، فالأمر متعلق بحياة أو موت الشعب الألماني كما تعلمين وأنا أكتب هذه السطور لأصف بصراحة ما يجب ان تنتظريه . ومن الأفضل أن تعتادي على الفكرة منذ الآن . والأمور بالطبع ليست بأحسن حالاً بالنسبة لأعدائنا خاصة الروس . فمنذ وقت طويل وهم يبذلون قصارى جهدهم في العمل بكل فئات شعبهم.ولا يمكنني أن أفسر انتصاراتهم الأخيرة إلا على هذا النحو.

وفي ١٩ كانون الثاني اندفعت حوالي ٢٠٠ دبابة بريطانية على الطريق الى طرهونة محاولة اجتياح قواتي بهجوم صاعق . ولكنا تمكنا من ايقافهم بنيران مدفعيتنا بعد اصابتها بخسائر جسيمة . وفي صباح اليوم نفسه نقلت مقر قيادتي الى مزرعة على تبة تقع شمالي غربي طرهونة ومنها كنا نشاهد سحباً من الغبار تثيرها العربات البريطانية على الطريق بين طرهونة وباريان (جنوبي طرهونة). وعند وصولي لمقر قيادة الفرقة ١٥ بانزر اكتشفت ان البريطانيين على وشك الهجوم على باريان بفرقة مدرعة كامله . وهذه العملية بالذات كانت خطيرة للغاية ولذلك ألقيت بكل مدفعيتي لمواجهتها. وقد نجم عن ذلك ضرورة اعادة تجميع القوى . ونشرت على الطريق ما بين طرهونة وكاسل بينتو الفرقة ١٦٤ ولواء من المظلات وفرقة الاستطلاع على شكل ستارة نحو الغرب لصد الهجوم البريطاني وفي وقت قصير جاء العدو بمدفعيته فانهالت القنابل على مواقعنا بالقرب من طرهونة . وكان القائد البريطاني يدير عملياته بقوة اكبر من السابق .

ولم يحدث (في المناطق الجوية) أي قتال في ذلك الوقت وقد استطعنا سحب القوات التي كانت لا تزال في منطقة هومز حسب الخطة المرسومة .

وفي المساء ظهرت النوايا البريطانية اخيراً وهي تجميد قواتنا في محلاتها

بهجمات عنيفة عند هومز وطرهونة ، وفي الوقت ذاتـــه القيام بحركة التفاف كبيرة عبر باريان . وكانت الآلاف المؤلفة من العربات البريطانية مجتمعة عنـــد الجنوب . وخلال هذا اليوم بذل الطيران الألمـــاني قصارى جهده لوقف تقدم القوافل البريطانية الجنوبية ولكن بنجاح قليل ، وفي المساء كان القول قد وصل لنقطة تبعد حوالي ٣٠ ميلاً عن باريان وعبر بالفعل طريق طرهونة – باريان مما اضطرني لأن أقرر التخلي عن طرهونة فوراً وأحشد قوة ضاربة تكفي لمواجهة العدو المتقـــدم بسرعة نحو جنبنا المكشوف . وكان من الضروري الاسراع بانسحاب الايطاليين الذين كانوا ما يزالون في منطقة هومز .

وفي ليلة ١٩ كانون الثاني تمت كل التحركات حسب الخطة ، وفي صباح اليوم التالي كان موقفنا على هذا النحو :

أ – قامت الفرقة ٩٠ الخفيفة خلال الليل باستلام مواقع المشاة الايطالية في هومز واحتلت المواقع للعمل كحرس للمؤخرة .

ب – كانت الفرقة ١٦٤ تحتل عنق الزجاجة في غرب طرهونة ومن ورائها لواء مظلات منتشر بعمق لصد أي هجوم بريطاني على الطريق .

ج – كانت الفرقـــة ١٥ بانزر ومجموعة استطلاع لوك متمركزتين في المنطقة المحيطة بالعزيزية لمواجهة أي تقدم من باريان نحو الشمال .

د – كانت فرقة « الشبيبة الفاشستية » ومجموعة قتـــال سنتورو في جنوب صرمان لمواجهة أي هجمات بريطانية أبعد من هذه الدرجة من ناحية الغرب .

وفي الساعات الأولى من الصباح أعلنت انفجارات هائـــلة من جهة طرابلس عن تدمير منشآت المرفأ ، كما تم تدمير أهم المخازن وبذلك لم يعد هناك أي أمل في احتفاظنا به .

٢٠ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

خرجنا من عمليات الأمس بنجاح ولكن الموقف الاداري يزيـــد من صعوبة موقفنا كل يوم . والعدو يحاول بكل قواه نقل القتال الى الغرب بأسرع مايمكن وربما كان باولوس في موقف قاتم ايضاً . فعدوه أكثر وحشية . وكل ما نستطيع عمله هو أن نرجو ألا يتخلى الله عنا تماماً .

« كان باولوس يقود القوات في ستالينغراد الـــتي كانت قد تعرضت للعزل

وحوصرت بواسطة الروس » .

وفي الصباح الباكر من يوم ٢٠ كانون الثاني وصلت اشارة من المارشال كافاليرو (بناء على تعليمات من الدوتشي) يقول فيهـــا موسوليني أن قراري بانسحاب قواتنا من خطوط طرهونة – هومز ونقلها الى منطقة بـــين العزيزية وصرمان لمواجهة الهجوم المنتظر ، كان مخالفـاً لأوامره بالصمود عنـد خط طرهونة – هومز لثلاثة أسابيع على الأقـل . كما أن الموقف لا يعتبر خطيراً لدرجة تـبرر تصرفي المتسرع هذا . لذلك يترتب علي الوقوف بأي طريقة حتى يمكن اتمام بناء خط ماريث . أما فيما يتعلق بالباقي فقـد أحالني كافاليرو على تعليمات الدوتشي وطالبني بالتنفيذ .

وقد صعقنا عندما وصلتنا هذه الرسالة !

لأن أي موقع يخترق أو يطوق يصبح عديم الفائدة ما لم توجد قوات ميكانيكية يمكنها صد هجوم العدو الملتـف . وأحسن الخطط الاستراتيجية تصبح عديمـة الجدوى ما لم يمكن تنفيذها تكتيكياً .

وأرسلت على الفور للقيادة الايطالية العليا برسالة بهذا المعنى ولكن أتيحت لي الفرصة عصر هذا اليوم لكي أتحدث مع المارشال كافاليرو شخصياً في وجود الفيـلد مارشال كسلرينج والمارشال باستيكو . وأبديت رأيي في الرسالة الـتي تلقيناها هذا الصباح ، وأوضحت أن القيود الزمنية المذكورة جاءت في الأصل من موسوليني وكافاليرو ، أما أنا فلن أقبلها مطلقاً .

وفي نهاية المناقشة العاصفة طالبت بقرار نهائي من القيادة العليـا الايطالية بما يتعلق بمقاتلة البريطانيين في خط طرهونة – هومز وبذا ندفع الجيش لدمار أكيد أو أن نتحرك الى تونس .

وفي النهاية قلت للمارشال كافاليرو « يمكننا الصمود في طرابلس عدة أيام قليلة أخرى ، أو يمكننا التخلي عـن طرابلس قبل الموعد بـأيام فننقذ الجيش للمعركة في تونس وعليه أرجو أن تتخذ قرارك » . وفي أثناء الاجتماع وصلتنا أنباء سيئة تتضمن أن زوارق الطوربيد البريطانية غربي طرابلس قـد أغرقت عشرة صنادل بترول من أصل أربعة عشر .

وفي اليوم التالي شن العدو هجوماً عنيفـاً في كل مناطق الجبهة . وقامت قوات بريطانية قوية بشق طريقها عبر الوديان ما بين باريان وطرهونة . (وكان

الايطاليون قد وصفوها بأنها غير صالحة لمرور الحملات) وأصبحنا مهددين بعزل حرس مؤخرة الفرقة ١٦٤ غربي طرهونة ، فأرسلت مجموعة قتال تحت قيادة الجنرال فرانتز لمواجهة هذا التحرك .

وفي هذه الاثناء قامت قوات بريطانية اخرى بمحاولة للاستيلاء على المضيق الذي كانت تحتله قوات الفرقة ١٦٤ غربي طرهونة ولكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك . علاوة على ان قوة العدو في هذا القطاع كانت في زيادة مستمرة . ونظراً للخطر الداهم الذي تعرض له جناحنا الأيمن اضطررت ان آمر بانسحاب المشاة غير المحملة من الخط الدفاعي عند طرابلس ونقلها الى منطقة زاروه . وتفادى المارشال كافاليرو نيابة عن الدوتشي اصدار التعليمات الصريحة حول الدفاع عن طرابلس . وصدرت إلي تعليمات بوجوب المحافظة على الجيش ولكن مع كسب اكبر وقت ممكن .

وبالمناسبة فإن أحداث هذا اليوم أيدت صحة تقديري (في يوم ١٩ كانون الثاني) وأوجدت مبرراً لسحبي للقوات الميكانيكية الى منطقة العزيزية — صرمان. ولو اننا بقينا في خط طرهونة — هومز (كما أمر الدوتشي من مكتبه في روما) لحوصر الجيش بكل مشاته وأمكن تدميره .

٢٢ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

لم اتمكن من الكتابة اليك بالأمس . فقد كان العمل كثيراً طيلة اليوم وقد عنفتنا روما بشدة لأننا لم نستطع الوقوف في وجه ضغط الأعداء أكثر من هذا ونحن نعمل كل ما يمكننا عمله . وقد أكدت التطورات بالأمس تصرفاتي. ونظراً لصعوبة الموقف الاداري فالسؤال الآن هل سيمكننا الاستمرار في الصراع ؟ ونحن ننوي القتال ، وسنقاتل حتى النهاية . وأنا أعاني الكثير من حلفائنا السخفاء في الوقت الحالي بالاضافة الى متاعبنا الاخرى ، وهذا شيء لا يسر . وأنا لا اظن انهم سيستمرون معنا لمدة طويلة . فالشعوب والامم لا تتغير .

واستمر التحرك حتى يوم ٢٢ كانون الثاني . وفي هذا الوقت كان العدو قد أحضر حوالي ستة آلاف مركبة الى طرهونة ،وكنا نتوقع هجومه يوم ٢٣ كانون الثاني ، وعليه فقد وجدت نفسي مرغماً لاصدار الامر باخلاء طرابلس بعد تدمير كل منشآتها .

وفي الليل تمت كل التحركات المحدودة تحت ضغط عنيف وهجمات لاتتوقف من العدو ومن القاذفات المقاتلة . ويعتبر نجاحنا في تخليص كل عتادنا ومخازننا من طرابلس نصراً كبيراً لرئيس شئوننا الادارية ، لأنــه لم ينقل سوى ٧ ٪ عن طريق البحر أما الباقي فقد تم نقـله براً . اما الاغذية التي تركناها فقد سلمناها لرئيس مجلس المدينة لتوزيعها على السكان المدنيين .

سقوط طرابلس

٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

ارجو ان انجح في التحركات الدائرة الآن . المناظر جميلة جداً هنا . ويود المرء تذوق حسنها في رحلة في وقت السلم . فهل يتحقق لي هذا ؟

ومنذ منتصف يوم ٢٣ كانون الثاني دفع البريطانيون بقـوات كبيرة للقضاء على خطوط دفاع طرابلس ولكنا استطعنا صدها . والمطلوب مني الآن تحريك ما لدينا من مشاة ايطالية (وعددها ثلاثون الفاً) الى الوراء على الفور للمساهمة في انشاء خط ماريث ولتأمين هذا الانسحاب ضد اي هجوم مبـاغت . ومرة اخرى جمعت القوات المتبقية لعمل ستارة على طول الطريق لمسافـة كبيرة نحو الغرب .

ويعلق ليدل هارت بقوله :

« دخل الجيش الثامن طرابلس بعد هجومه على العلمين بثلاثة اشهر تماماً بعد ان تقدم لمسافة ١٤٠٠ ميل » .

ويتابع روميل مذكراته :

بعد سقوط طرابلس توقف البريطانيون لفــترة وجيزة لاعادة تنظيم قواته واحضار الامدادات . وهذا ناسبنا للغاية ، فأعطانا على الاقــل الوقت اللازم لنقل المؤن المخزونة في منطقة زوارة .

٢٥ كانون الثاني ١٩٥٣

عزيزتي لو

سارت الأمور بالأمس حسب الخطة . ولا يمكنني وصف المشاق التي تعرضت

لها في هذا الانسحاب . وانا في أرق مستمر ليلاً ونهاراً أفكر في الامور التي قد تتعقد بالفعل في افريقيا وبطريقة جدية . وانا في حالة نفسية سيئة لدرجة انني لا اقوم بعملي الا بصعوبة . وربما أمكن لرجل آخر ان يرى شيئاً من الضوء في هذا الموقف لنخرج منه بنتيجة . فكسلرينج مثلاً متفائل للغاية . وربما كان يرى سبباً اكثر من هذا في عدم صمود الجيش .

فهو لم تكن لديه فكرة عن القيمة الحقيقية لقواتي وخاصة الايطاليين او عن ميزان القوى الذي يميل ضدنا بكثير ، لأن قوات العدو اصبحت ميكانيكية بالاضافة الى قواته الضخمة من الدبابات والسيارات المدرعة وموقفه الاداري السليم . وانا انتظر سير الاحداث وكلي قلق . وسأصمد في مكاني لاطول مدة ممكنة . وكسلرينج الآن هو قائدي المباشر .

القيادة العليا الايطالية تعفي رومل من مهمته

وفي ٢٦ كانون الثاني نقلنا مقر قيادة الجيش الى المنطقة الواقعة غربي بن جردان (عبر الحدود التونسية) . وفي طريقنا شاهدنا خط سكة الحديد الذي كان في طور الانشاء بين تونس وسيرته ولو اننا استطعنا الصمود في سيرته لثلاثة اشهر فقط لمددنا هذا الخط بين تونس وسيرته .

وكان من اشد الامور خطراً عدم قيام الايطاليين قبل الحرب بمد الخط الحديدي على طول ساحل شمال افريقيا لأن أي نقل بري عبر طريق مواصلات يمتد لبضعة مئات من الاميال لا يمكن تحمله نظراً لكميات الوقود الضخمة التي تستهلك الا اذا كانت معظم الامدادات تنقل بالقطارات او البحر ، لأن النقل البري باهظ التكاليف .

وفي منتصف يوم ٢٦ كانون الثاني تلقيت اشارة من القيادة العليا الايطالية تعلمني بانه نظراً لسوء حالتي الصحية فانني سأعفى من القيادة عندما نصل الى خط ماريث ، وتركوا تحديد التاريخ لي شخصياً . وقرروا جعل القيادة الايطالية للجيش تحت اشراف الجنرال ميسي ، قائد الفيلق الايطالي في روسيا . وبعد تجاربي اثناء الانسحاب فقدت كل رغبة في ان اصبح كبشاً للفداء لحفنة من

الجهلاء ، فطلبت من القيادة الايطالية ارسال الجنرال ميسي الى افريقيا بأسرع ما يمكن حتى يمكنه استلام القيادة والتعرف اليها .

٢٨ كانون الثاني ١٩٤٣

عزيزتي لو

بعد أيام قليلة سأتخلى عن قيادة الجيش لأحد الايطاليين والسبب الوحيد هو « حالتي الصحية في الوقت الحاضر لا تسمح لي بالاستمرار » . وبالطبع فالواقع يحمل أسباباً تختلف تماماً عن هذا ومن اهمها الكبرياء ، فقد فعلت كل ما بوسعي للمحافظة على مسرح العمليات رغماً من الصعاب الكبيرة في كل المجالات وانا آسف جداً على الرجال ، فقد كانوا اعزاء للغاية .

ومن الناحية الصحية فحالتي الصحية غير مرضية ، فأنا اتعرض لنوبات صداع عنيف واعصابي متوترة بالاضافة الى اضطراب الدورة الدموية وكل هذا لا يعطيني اي فرصة للراحة . ويقوم الاستاذ هورستر باعطائي حبوباً منومة ويساعدني قدر الامكان وربما حصلت على فترة من الراحة تمتد لعدة اسابيع . ونظراً للحالة في الشرق يود المرء ان يبقى في الجبهة باستمرار .

وفي يوم ٢٦ ك ٢ ذهبت للتفتيش على جبهة ماريث وتكوين الرأي عن قيمتها . والجبهة كانت تقع على مسافة ٨٠ ميلا داخل حدود تونس وتمتد بين البحر وتلال مطمطة وتتكون من خط للتحصينات الفرنسية القديمة لا تتلائم بحال من الاحوال مع ما تتطلبه الحرب الحديثة . بالاضافة الى أنه قد تم نزع سلاحها بعد الهدنة مع فرنسا . وعليه فهي لن توفر لنا أكثر من ملجأ ضد نيران المدفعية ، أما الدفاع ذاته فيجب القيام به من مواقع ميدانية . ويمكن اعتبار الجزء الجنوبي من الخط مانعاً طبيعياً مضاداً للدبابات تماماً .

والجزء الأوسط كان يحميه هو الآخر وادي عميق يتميز بميول حادة ، ولكن هذا المانع يمكن عبوره بسهولة بواسطة الدبابات . وكان الموقع رديئاً ، لانه يقع خلف أرض مرتفعة مباشرة مما لا يسمح بمراقبة بعيدة المدى للمدفعية . وفي نفس الوقت توفر للقوات المهاجمة فرصاً رائعة لادارة النيران . ولذلك فقد اضطررنا لاحتلال التباب بواسطة قواتنا مما أدى لتقسيم خطير لقواتنا .

ومن الناحية الاستراتيجية فان اختبار هذا الخط بواسطة القيادة العليا

الايطالية كان يحمل في طياته شكلاً خطيراً لأنه من الممكن الالتفاف حوله ، ولو أنه على شيء من الصعوبة . وفي عـــام ١٩٣٨ كان الجنرالان الفرنسيان كاترو وجاوتش قد قاما بمحاولة للالتفاف من حوله بسريـة محملة على شاحنة للتأكد من إمكان القيام بمثل هذه العملية ، وقد قررا بالفعل أن هـــذه العملية مستحيلة . ولكن البريطانيين تحت قيادة مونتغمري كانوا محملـين بطريقة أفضل بكثير من القوات الفرنسية الصحراوية التي كانت هناك من قبل . ولو أنهم قاموا بمثل هذه العملية فان احتلال خط ماريث وكل عمليات الانشاء التي تمت فيه تصبح غـير ذات القيمة ، فأرسلت تحذيراً في حينه عن احتمال مثل هذه الحركة من العدو .

ونظراً لهذا العيب فقد طالبت باحتلال خط العكاريت بـــين شط الجريد والبحر . وهذا الخط (الذي يمتد ٤٠ ميلاً خلف ماريث) لا يمكن الالتفاف من حوله ولكن يمكننا استخدام المشاة غير المحملة هناك بنجاح . وضغطت على ان قواتنا الميكانيكية ليست على درجة كافية من القوة لاحتلال الجبهة عند الحمـــة وعند قفصة ، ولكن في نفس الوقت نقوم بتدعيم الدفاع عن خط ماريث . الا أن رؤساءنا لم يوافقوا على ذلك . وبالفعل قام البريطانيون فيما بعد بحركة التفاف بديعة انتهت بفقدان قيمة خط ماريث تماماً ، بالرغم من أن باير لاين نجح أيضاً في الانسحاب بقواته الميكانيكية الى العكاريت في حـالة سليمة نسبياً . وكان من الأفضل لو أننا ركزنا جهودتنا على تحصيناتنا في قابس أولاً وأخيراً .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« لا يعني روميل مدينة قابس وانما عنق الزجاجة الواقع على مسافة ١٥ ميلا نحو الغرب منها ويخترقه وادي العكاريت . وهو يتكلم عنه أحياناً كخط قابس وأحياناً باسم خط العكاريت » .

ويتابع روميل مذكراته :

وفي ٣١ ك٢ سلم الماريشال باستيكو قيادته وعاد الى إيطاليا . وقد حـدث احتكاك بيننا في اكثر من مناسبة ولكن هذا كان ناجماً عن توجيهات القيـــادة العليا الايطالية . وعموماً فقد تعاونا بنجاح وقد عاونني في الكثير من الأحيان . ويعود نجاح الجيش في الانسحاب الى خط ماريث لفضله هو أساساً وذلك بالرغم من أفكار قيادتنا العليا الغريبة ، ويعود اليـه الفضل أيضاً في عدم وقوع الجيش

فريسة للأوامر البلهاء (بالقتال حتى النهاية وفي أي مكان) .

وجاء إقصاء المارشال كافاليرو (الذي كان في نفس الوقت تقريبـــاً) كخبر سار . وكان من الأفضل إحلال أحد القادة الأكثر كفاءة محل هذا الرجل منذ زمن طويل .

وفي أول شباط بدأ البريطانيون بالفعل تحريك قوات كبيرة عبر ميناء طرابلس مستخدمين ناقلات خفيفة عديدة ، كما أن طائراتنا اعلمتنا بوجود عدد كبير من السفن الكبيرة . وبالطبع لم تكن الطائرات في حالة تسمح لها بالتدخل في عمل ضد العدو . وبدأ سير الاقتراب البريطاني من الشرق وأصبح علينا أن نتوقـع تحرك الجيش الثامن ضدنا بكل قواته الرئيسية .

وفي هذا الوقت وصل ميسي الى أفريقيا . ومثل أغلب الضباط القادمين من روسيا كان ينظر للموقف بتفاؤل شديد . وقررت ألا أسلم الجيش اليه إلا حين أشعر في المستقبل بأن موقفه سليم لفترة زمنية .

٢ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

لا جديد يذكر . فالهدوء الذي يسبق العاصفة يسود الجو ويبدو من الاشاعات أن التغيير في القيادة كان مخططاً له منذ وقت طويل . وبالطبع كان للايطاليـين اليد الطولى فيه .

وخلال شهر ك ٢ تمكن عدد من جنود مدفعيتنا المضـــادة للطائرات من مفاجأة قول بريطاني تابـع لمجموعة الصحراء بعيدة المدى في فأسروا المقدم دافيد سترلنج . ولضعف الحراسة عليه تمكن من الافلات والوصول الى بعض الأعراب وقد وعدهم بمكافأة لو نجحوا في توصيله للخطوط البريطانية . ولكن يبدو أن مكافأته كانت ضئيلة لأن الاعراب بقدرتهم على المساومـــة عرضوا تسليمه الينا مقابل ١١ رطل من الشاي وقبلنا العرض على الفور . وبـــذا فقد البريطانيون أمهر وأقدر قائد لمجموعة الصحراء التي سببت لنا دماراً أكثر من أي وحـدة أخرى مساوية لها في الحجم .

وفي ١٥ شباط ١٩٤٣ انسحبت أخيراً مؤخرة الفرقة ١٥ بانزر الى الخـــط الأمامي لموقع ماريث وانتهى بذلك الانسحاب العظيم من العلمين الى تونس .

وكانت روح قواتنا المعنوية عالية وهذا شيء يشبه المعجزة بعد هذه السلسلة

من الهزائم ويرجع أساساً لشعورهـا بأنها لم تهزم الا بسبب التفوق المادي الضخم للعدو .

٧ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

جاء الدكتور هورستر لعيادتى بالأمس ونصحني بالبـدء في العلاج بأسرع وقت . وأن شعوري وإحساسي يمنعاني من مغـادرة ميدان المعركة ما دمت أستطيع الوقوف على قدمي .

عزيزتي لو

قررت أن لا أسلم قيادة الجيش الا بأوامر ، بغض النظر عن حالتي الصحية. ونظراً للموقف الحالي فـانني أنوي الاستمرار حتى النهاية بالرغم من نصيحـة الطبيب ، وبالطبع فأنت تدركين موقفي . ويجب عـلى خليفتي الذي أرسلته روما أن ينتظر دوره .

١٢ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

مرت سنتان تماماً على وصولي الى ارض افريقيـا . سنتان من القتال العنيف العنيد وأغلب هذا الوقت كان ضد عدو أقوى منا بكثير . وفي هذا اليوم يتجه احساسي الى القوات الباسلة التي أتشرف بقيادتها لقيامها بواجبها بإخلاص لوطنها ووثوقها في قيادتي .

وقد حاولت القيام بواجبي في مجالي ومجال قضيتنا بوجه عام ... ويجب علينا أن نبذل كل ما بوسعنا لمواجهة الأخطار المحيطة بنا من كل صوب ولسوء الحظ فقد كان الامر يتوقف على الامدادات . وارجو أن تصـدق القيادة العليا على قراري بالبقاء مع قواتي حتى النهاية. وستفهمين موقفي ، لأنه لا يمكن للجندي أن يتصرف خلافاً لذلك .

تعليق على الانسحاب من العلمين الى ماريث :

الفرص التكتيكية للقائد المنسحب :

ان عمليات الانسحاب في الحرب الميكانيكية توفر للقـائد فرصاً تكتيكية

عظيمة ولو كانت قواته أقل عدداً ، وذلك ضمن شروط معينة وهي :

١ ــ بقاء قوات هذا القائد سليمة لتحتفظ بقدرتها على القتال.

٢ ــ تزود كل مناطق التجمع خلال الانسحاب بكميات كبيرة من الوقود والذخيرة والعتاد المخصص للاحتياط .

وكلما طال تقدم العدو وطالت خطوط مواصلاته اضطر لترك قوات في المناطق الخلفية لكي يتمكن من اعاشة قواته في المناطق الأمامية . وأثناء أي تقدم تطول خطوط المواصلات وأثناء الانسحاب تقصر . والجيش المنسحب يحتفظ عادة بقواته محشودة ، وهنا يمكن أن تحرز القوات المنسحبة في أي فترة من فترات الانسحاب التفوق المحلي على العدو ، ولو توفر لها في هذه اللحظة كمية مناسبة من الوقود والذخيرة وبذلك تتوفر لها فرصة رائعة . فهي تستطيع التحول لضرب القوة المعادية المتقدمة وتدميرها ، على أن يكون العدو متهوراً ويقبل الدخول في مثل هذه المعركة ، ومثل هذه المعركة يجب تنفيذها بسرعة خاطفة وذلك حتى لا يتمكن العدو من احضار تعزيزات ونجدات من الخلف .

ولو وضعنا هذه الأمور في اعتبارنا لوجدنا أننا قررنا الإفلات من معركة العلمين قبل أن تصل إلى ذروة عنفها .

قيود القيادة بسبب المشاة المترجلة :

وقد عانينا أثناء المعركة من بعض القيود في القيادة ، والتي تسببت عن وجود فرق كبيرة ألمانية وإيطالية غير محملة وهذه القيود كما كنا نعرف كانت ستزداد سوءاً أثناء الانسحاب، عندما تضطر القوات الميكانيكية أن تبقى مراراً صامدة في وجه البريطانيين المدة الكافية حتى ينتهي الإيطاليون من انسحابهم .

ولكن الاحداث تولت بنفسها إدارة الامور . فنتيجة لأوامر الفوهرر والدوتشي اضطررنا للاستمرار في المعركة يومي ٣ ، ٤ تشرين اللذان قررا مصيرنا في المستقبل لأنهما كلفانا حوالي ٢٠٠ دبابة (بما في ذلك خسائر الايطاليين) وهو كل ما تبقى لنا من القوة المدرعة تقريباً ، والقسم الأكبر من التشكيلات الايطالية . وقد حرمتنا هذه الظروف من أية فرصة للدخول في معارك ميكانيكية أثناء انسحابنا ، لأن الجيش كان محطماً لدرجة أنه لم يعد أمامه الا الاستمرار في الانسحاب .

وأقصى ما كنا نستطيع عمله هو أن نفرض على العدو القيام بعدة عمليات سير اقتراب وتوزيع قواته وبذا نعطله أكبر وقت ممكن .

وقد نجحنا في هذا ، ولم يتمكن مونتغمري من تدميرنا مطلقاً لا في مرسى البريقة ولا في النوفيلية ولا في البويرات ولا في طرابلس . ولكن لم نستطع التفكير في أي هجوم مضاد تقوم به قواتنا الميكانيكية .

البطء النسبي لسرعة رد الفعل عند البريطانيين:

وهذا كان سيئاً للغاية لأن العدو أعطانا فرصاً عديدة تكتيكية ذهبية لمثل هذه العمليات . وكان مونتغمري يعاني من مركب نقص مسيطر عليه وهو إحضار قواته الاحتياطية أولا بحيث لا يجاذف بشيء مطلقاً .

وكانت سرعة رد الفعل لدى القيادة البريطانية بطيئة نسبياً . وفي المراحل الأولى للانسحاب كانت قواتهم التي تحاول القيام بعمليات التفاف أضعف من اللازم . وكان يمكننا مهاجمتها وتدميرها لو توفر لنا البترول اللازم . وكان يجب على مونتغمري حشد كل قواته الضاربة ثم دفعها للالتفاف لأن هذه كانت لديها الفرص الأكبر في إجبارنا على الدخول في المعركة .

أما في البويرات وطرابلس فالقائد البريطاني أظهر مهارة كبيرة وتغلب على حذره الشديد وحاول حسم الأمر بكل قوة وشدة واحتجنا لجهود ضخم لإنقاذ الموقف .

وأظن أنني أستطيع أن أفخر بتقديري للامدادات اللازمة لجيشي والوصول على أساس هذه التقديرات للنتائج الاستراتيجية السليمة . واذا ما أدخلنا كل هذه العوامل في اعتبارنا فاننا نستطيع الوصول إلى أفضل النتائج تحت الظروف السائدة .

أما في المجال التكنيكي فالانسحاب لم يجر حسب الخطط البريطانية التي كانت تهدف إلى القضاء على جيشي وإنما كان يجري تبعاً لخططي .

وقد تمكن الجيش من التغلب على العقبات حتى في مجال القيادتين الالمانية والايطالية العليا والتي حاولت من برجها الأوروبي العاجي أن تفرض علينا موقفاً بطولياً كاذباً فتطلب منا الصمود لآخر رجل . وكان الموقف سيفرض علينا الصمود حتى « آخر قطرة ماء» وأن هذه القوات لتستحق الثناء والإعجاب

لاستطاعتها أن تنجح في أسوأ المواقف بالرغم من الانسحاب المستمر والضغط الهائل ، وأظهرت مقدرة رائعة على القتال لا تقل عن مقـــدرتها يوم استيلائها على طبرق .

الانسحاب قد يوفر وقتا ثمينا وعتادا اثمن :

وقد كلفنا عدم تفكير سلطـاتنا العليا منذ البداية في اخلاء طرابلس (الذي كنا مضطرين اليه) وقتاً ثميناً وعتاداً أثمن .

وبذا أصبح العمل في تحصين خط البويرات في النهاية عديم الفائدة مثله في ذلك مثل العمل في تحصينات خط طرهونه – هومز .

ولو أن المشاة الايطالية ذهبت رأساً الى خط قابس وباشرت في بنائه على الفور ، ولو أن كل هذه الالغام التي ذهبت هبـاء في ليبيا زرعت في قابس ، فإن كل هذا العمل والعتاد كان سيصبح في النهاية ذات قيمة كبيرة .

الفصل الثالث

أستراتيجية روميل

بعد تقدمنا الى خط ماريث نستطيع أن نعمل مرة أخرى على أسس استراتيجية جديدة . فباستغلالنا «للخطوط الداخلية» ، كنا نستطيع حشد أغلب قواتنا الميكانيكية للهجوم على البريطانيين والأمريكيين غرب تونس لإجبارهم على الانسحاب . وكنا غير منتظرين أي هجمات جانبية من مونتغمري أثناء هذه العملية ، لان مثل هذا الهجوم اذا حدث بالفعل بدون مساندة مدفعية قوية وقاذفات فانه سيتعرض بكل تأكيد أمام خط ماريث لخسائر فادحة .

وكنا ننوي القضاء أولاً على التهديد بفضل الجيشين المحوريين (اذا تم هجوم أنجلو - أمريكي من قفصه نحو البحر) وذلك بتحطيم مناطق تجمع العدو . وبعد الانتهاء من هذا كانت قواتنا الضاربة ستعود الى ماريث للهجوم على مونتغمري .

وكنا ننوي قبل هجومنا بوقت قصير التخلي عن مناطق مدينتين (وتبعد ٢٠ ميلاً شرق ماريث) وبن جردان للبريطانيين بغرض منعهم من مقاومتنا في مواقع معدة .

وكتمهيد لهذه العمليات قامت الفرقة ٢١ بانزر بالهجوم على ممر فايد (على بعد ٨٠ ميلا شمالي مضيق قابس) في أول شباط لاحتلاله كنقطة لابتداء هجومنا

على سيدي بو زيد وسبيطلا (وتبعد الاولى ١٥ ميلا والثانية ٣٥ ميلا غرب وشمال غرب ممر فايد بالترتيب) . وقد اجتاحت الفرقة الممر في هجوم بالجنب وأسرت الف جندي .

وكان الخط الاستراتيجي لرأس الجسر المحوري في تونس هو هجوم أمريكي من قفصه (على بعد ٧٠ ميلا شمالي غربي مضيق قابس) لانه سيؤدي الى عزل الجيشين المحوريين عن بعضهما . ونتيجة لذلـــك فكان يجب أولا القضاء على مناطق التجمع الامريكية في جنوبي غربي تونس ، لذلك أصــدرت الاوامر للفرقة ٢١ بانزر ومعها عناصر من الفرقة ١٧ بانزر بمهاجمة الامريكيين في سيدي بو زيد وسبيطلا لتحطيم حشودهم والقضاء عليها بقدر الامكان . وفي الوقت ذاته تقوم بمجموعة قتال تابعة لجيشي بالقضاء على الحامية الامريكية في قفصة . ولم نحدد مؤقتاً أي اهداف استراتيجية أخرى بعد هذا .

وفي ١٤ شبــاط تحركت الفرقة ٢١ بانزر من رأس الجسر الذي احتلته في ممر فايد في هجوم ملتف حوّل الفرقة الثانية الامريكية المدرعة التي كـانت تحتل منطقة سيدي بو زيــد . وبعد تثبيت تشكيلات العدو بالمواجهــة قامت مجموعة مدرعة بالتقدم حول جنب الأمريكيين في القطاع الشمالي ، بينما قامت مجموعة اخرى بالاندفاع الى سيدي بو زيد لمهاجمتها من الخلف وبذا وضعنا العدو في موقف صعب للغاية من الناحية التكتيكية .

رومل يدمر المدرعات الامريكية في لقائه الاول معها:

وقد تلا ذلك معركة عنيفة بين المدرعات تمكن فيها رجالي المحنكين الذين خاضوا غمار مئات المعارك الصحراوية من تدمير الامريكيين القليلي الخبرة . وفي وقت قصير كان عـــدد كبير من الدبابات الامريكية من طراز جرانت ولي وشيرمــان تحترق في ميدان المعركة . وهرب مـــا تبقى منها نحو الغرب .

وبعد هذا النجاح حثت الجيش الخامس (الذي كان يقوم بالعمليــة) على الانطلاق اثناء الليل ليجـــبر العدو على الاستمرار في هروبه ثم يستولي على

سبيطلا . لانه يجب استغلال الانتصارات التكتيكية بكل جرأة ، فالعدو المنهزم في يوم فراره من ميدان المعركة يمكن أسره بدون مجهود يذكر ، واذا لم يتم هذا ، فقد يظهر هذا العدو نفسه مرة أخرى في اليوم التالي وقد استرد كل قدرته على القتال .

ولكن الفرقة ٢١ بانزر لم تتعقب العدو المنسحب حتى ليلة ١٦ شباط ، لكن في صباح السابع عشر منه احتلت الفرقة مواقعها في مواجهة سبيطلا . ولكن هذا التعطيل مكن الأمريكيين من تنظيم خط دفاعي مقام على عجل ودافعوا عنه بمهارة وعناد . ولو أن زيجلر الذي كان يقود عملية الفرقة ٢١ بانزر تابع نجاحه في سيدي بو زيد على مسئوليته لما اضطر للقتال العنيف الذي دفع اليه للاستيلاء على سبيطلا . ولكن أمكن التغلب على مقاومة العدو عند حلول المساء . وفي هذه الايام القليلة خسرت الفرقة ٢ الأمريكية المدرعة ١٥٠ دبابة وأسرنا ١٦٠٠ مقاتل وكانت خسائر الفرقة ٢١ بانزر طفيفة للغاية .

ولم يكن الامريكيون على خبرة بالقتال ، وأدخلنا في قلوبهم منذ البداية مركب نقص ضخم . وبعد نجاح الفرقة ٢١ بانزر في سبيطلا ، قام الامريكيون بسحب حاميتهم من قفصة ليل ١٤ شباط (قبل أن تتمكن مجموعة القتال التي أرسلتها من شن هجومها) . وبذا استطاعت فئات من فيلق أفريقيا وسنتورا احتلال قفصة بعد الظهر من يوم ١٥ شباط بدون قتال .

وعند سيرنا في الطريق المؤدي إلى قفصة في صباح ١٦ شباط مررنا بطوابير طويلة من الاعراب يسوقون دوابهم المحملة بالغنائم . وكانوا يحملون ما يمكن حمله من المنازل والمباني . وكان الخشب بالذات ذا قيمة كبيرة ، وكانوا فرحين بهذه النتائج فأهدوا رجالي الدجاج والبيض . وقد قام الأمريكيون بنسف ذخيرتهم في القلعة دون أي إنذار للسكان المدنيين المقيمين بجوارها مما أدى لانهيار ٣٠ منزلا فوق سكانها . وقد أخرجنا جثث ٣٠ عربياً من تحت الانقاض وكان عدد المفقودين بعد ذلك ٨٠ عربياً . وكان القوم يشعرون بالمرارة تجاه الامريكيين نتيجة لهذا وكانوا يحتفلون بخلاصهم منهم في ضجة وفرح .

وفي هذه الاثناء كانت فرقة قتال رناسي تتحرك الى الجنوب الغربي

مزودة بتعليمات للوصول الى مطلاوي ونسف نفق السكة الحديدية هناك . وفي مطلاوي استولت على كمية ضخمـــة من البترول وعدد من عربات السكة الحديدية وكان هناك مائتا ألف طنـــاً من الفوسفات في المخازن وهي كمية يمكن استخدامها في أغراض بنـّـــاءة في اوروبا لو استطعنا نقلها إلى هناك .

وقد استولى ليبنشتاين (الذي أرسلته مع فرقة قتال فيلق أفريقيا إلى فريانة « ٤٠ ميلا شمالي غربي قفصة ») على هذا المركز الهام في ١٧ شباط بعد أن تغلب على المقاومة الامريكية العنيفة هناك . ولسوء الحظ تمكنت الحامية من اضرام النار في مخازنها . كما سمعنا من وحدات الاستطلاع أن المخازن المتحالفة كانت تحترق فعلاً حتى في تليبته (٨٠ ميلا شمال غرب قفصة) . وقد استولت هذه القوة أو دمرت ١٢ حاملة من حاملات الجنود الامريكية المدرعة ومدافع عيار ٧٥ مم (مركبة فوقها أو مقطورة) . ثم انطلقت بجرأة نحو ثليبته حيث اضطر العدو لإضرام النار في حوالي ٣٠ طائرة كانت موجودة في المطار .

وظهر أن الامريكيين ينسحبون الى تيبيه ، وان قيادتهم مضطربة وقد بدا عليها الحاجة لحسم الامور وهذا ما يميز الرجال الذين يقومون بأعباء القيادة لاول مرة في مواقف صعبة . والآن وقد سارت العملية بنجاح لمدة أربعة أيام قررت الاندفاع بكل قواتنا الى ثليبته للاستيلاء على هذه القاعدة الجوية الهامة التي كانت أيضاً مركزاً للامداد والنقل ، ثم توجيه ضربة قوية لمؤخرة الحلفاء . وقد كان الموقف في أفريقيا محفوفاً على الدوام بالمخاطر بالنسبة لي نظراً لضعف قواتي الدائم .

ولكنني لم أغامر إطلاقاً حتى في عملياتي الجريئة كنت أبقي لدي دائماً ما يكفي للتصرف في أي موقف قد ينشأ ولم أغامر مطلقاً بخسارة كل شيء .

ولكن في الموقف الحالي كان لا بد من القيام بمغامرة أكبر بعض الشيء .

عزيزتي لو :

صحتي ممتازة في هذا الوقت . ولكنني أتوقع تغييراً في القيادة في وقت

قريب . ولكن لا يوجد ما يمكنني عمله وأرجو أن يعيد لي هذا العلاج حالتي القديمة ويعيد لي كل نشاطي بحيث أستطيع الانطلاق بأقصى قواي .

ولا شك أن العملية التي كنا نزمع القيام بها كانت محفوفة بالمخاطر لو أن القيادة الانجليزية الأمريكية قامت بالتحركات الاستراتيجية الصحيحة وأطلقت كل قواتها ضد أجنابنا المعرضة للاستيلاء على قواعدنا الادارية مما يترك قواتنا الضاربة دون مورد . ولكن القادة الذين خاضوا غمار معاركهم على الورق حتى هذا الوقت كانوا ميالين للرد بطريقة مباشرة على عمليات أعدائهم بدلاً من القيام بتحركات غير مباشرة. ويفتقر المبتدئون عموماً للقدرة على اتخاذ قرارات مبنية على المستلزمات العسكرية وحدها دون النظر الى تأثيرها الثقيل على عقولهم .

وكنت متأكداً أن أي هجوم الى ما وراء تيبيه بواسطة القوات المدرعة والمحملة التابعة للجيشين بعد توحيدهما سيضطر البريطانيون والأمريكيون لسحب معظم قواتهم الى الجزائر . وبهذا نعطل استعداداتهم الهجومية بدرجة كبيرة .

والعوامل الضرورية لنجاح مثل هذا الهجوم كانت في ضرورة القيام به على الفور وأن تكون القوة الضاربة على درجة من القوة تكفي للتغلب على أي قدرة للمقاومة من جانب العدو واختراقها الى الطريق المفتوح.

وكان يجب على الهجوم شمالاً أن يبقى بعيداً عن جبهة العدو الرئيسية وبذلك نتأكد من عدم قدرته على ارسال قواته الاحتياطية الى الممرات لإيقاف تقدمنا . وكنت واثقاً أننا باستيلائنا على عدد من الممرات والنقط الاستراتيجية على الطرق نتمكن من وقف الهجمات على أجنابنا المعرضة . ولكن الموضوع الوحيد الذي يتعرض للشك هو هل قوة العدو الأساسية ستخسر السباق ضد قوتي الضاربة أم لا ؟

ولم يكن الجنرال فون آرنيم مستعداً للتسليم باحتمال النجاح للعملية المقترحة، وفي الغالب أن هذا يرجع لرغبته في الاحتفاظ بالفرقة ١٠ بانزر في قطاعه للقيام بعملية خاصة بجبهته . وقد نجم عن هذا اعتراضه بقوة على الخطة بالرغم من أنه لم يكن وفي وضع يسمح له بالتعرف على الموقف على حقيقته ، لأنه لم يكن قد خبر بعد قدرة أعدائنا الغربيين ، وعليه فلا يستطيع إدراك نقطة الضعف في قياداتهم .

وعليه عزمت على الفور إرسال اقتراحاتي الى القيادة العليا الايطالية والقائد العام للجبهة الجنوبية . واستطاع بايرلاين اقناع الجنرال شايدمان (قائد السلاح الجوي في تونس) بالاحتمالات الكبيرة لنجاح العملية . ووضعت ثقتي في تفاؤل كسلرينج المعتاد كقائد عام للجبهة الجنوبية، هو والايطاليين، وتوقعت موافقتهم لأن الموضوع كان متعلقاً بالهجوم مرة أخرى . ومن ناحية أخرى فقد كان الدوتشي يحتاج لنصر عاجل ليقوي من مركزه السياسي في بلاده .

القيادة العليا الايطالية تغير خطة رومل

وفي المساء أخطرني كسلرينج بأنه موافق على خطتي وأنه سيتصل بالقيادة العليا الايطالية . ولذلك رحنا ننتظر القرار بأعصاب متوترة . ولم يحدث أي شيء حتى منتصف الليل وتبين أن الايطاليين غير مستعجلين . ولذلك أرسلنا إشارة أخرى نبين فيها أن القرار يجب الانتهاء منه بسرعة، لأن أي وضع آخر سيؤدي لضياع وقت كبير ويعرقل احتمالات نجاح الخطة .

وأخيراً وصلت إشارة تتضمن تصديق القيادة العليا الايطالية على العملية ولكن بعد تعديلها جذرياً بحيث توجه الضربة نحو ليكيف عن طريق ثالا بدلاً من تيبيه . وكان هذا مثالاً غريباً لا يمكن تصديقه لأنه يدل على قصر النظر، وطبعاً انتهى بفشل الخطة لأن أي هجوم في هذا الاتجاه كان قريباً للغاية من الجبهة وكان سيؤدي الى اصطدامنا مع احتياطي العدو القوي .

وفي مناسبات عديدة كانت سلطاتنا العليا متفائلة لدرجة أنها لم تكن تعرف الحدود التي يمكن أن تلتزمها في مطالبها منا، والآن عندما يتطلب الموقف قليلاً من الجرأة افتقرت هذه السلطات للشجاعة الأدبية في اتخاذها لقرار حاسم، ولكن لم يكن هناك وقت للمناقشة وإلا فإننا لن نستطيع على الاطلاق القيام بأي عمليات تؤدي الى تدمير مناطق التجمع الأمريكية .

وعليه فقد حركنا فرقة قتال فيلق افريقيا على الفور الى جنوف ممر قصرين (على بعد ٢٠ ميلاً غربي سبيطلا وعلى نفس البعد شرقي فريانة) وتلقت الفرقة ٢١ بانزر أوامر بالاندفاع في وادي مجاور نحو سيبية (٢٥ ميلاً شمالي سبيطلا) وحركنا وحدات من الفرقة ١٠ بانزر في أعقابها نحو سبيطلا ومنها كان يمكن

دفعها للاشتراك مع الفرقة ٢١ بانزر في سيبيه أو مساندة مجموعة فيلق افريقيا في قصرين تبعاً لتطورات الموقف .

وفي هذه الأثناء قام الحلفاء بتحريك كل القوات التي استطاعوا جمعها في شمال تونس الى الجبهة المهددة في الجنوب الغربي. وكانت القوات المخصصة ضعيفة نسبياً في ذلك الوقت لحماية جنبهم الجنوبي .

وبينما كانت مجموعة فيلق افريقيا تنتشر في المنطقة المحيطة بقصرين دفعنا بالكتيبة ٣ استطلاع للأمام في محاولة لاقتحام الممر ولكن العدو قاتل بوحشية وفشلت المحاولة (وكانت الفرقة ٣٤ أمريكية تحتل هذا القطاع) .

كما فشل هجوم بواسطة فرقة مشاة البانزر المسمى بـ « منتون » بعد حصوله على نجاح مبدئي هو الآخر .

وكان الخطأ ينحصر في أنهم اتبعوا أسلوباً غير سليم للتنفيذ ، فبعد أن قاتل الضباط لفترة طويلة في الصحراء وجدوا أنفسهم فجأة في أرض مشابهة لجبال الألب في أوربا . وكانت التباب على جانبي الممر ترتفع الى ٥٠٠٠ قدم وكانت تحتلها قوات أمريكية يصاحبها ملاحظون من المدفعية ، ولسوء الحظ قصر منتون هجومه على الوادي فقط علاوة على عدم تقديره لقيمة القوات الأمريكية وكان الواجب عليه ان يتبع تكتيكات الوديان والأراضي الجبلية وأن يستولي على التباب الواقعة على جانبي الممر بغرض القضاء على ضباط المراقبة الأماميين للمدفعية ثم يندفع نحو مؤخرة العدو .

وفي يوم ١٩ شباط ذهبت لمقر قيادة فرقة فيلق افريقيا لأراقب الصورة الدقيقة عن الموقف . وفي طريقنا مررنا بعربات أمريكية وكان سائقوها قتلى على عجلات قيادتهم وواضح أنهم سقطوا فرائس للهجمات الجوية . وكانت قواتنا لا تزال تقوم بجمع مجموعات صغيرة وكثيرة من الأسرى الأمريكيين وترسلهم الى مؤخرتنا . وأرسلت الجنرال بلوفيوس بمجموعة قتال للقيام بهجوم من الجنب على ممر قصرين ، ثم تحركت الى الفرقة ٢١ بانزر التي تأخرت هي الأخرى لسوء الحظ ، ولكنها كانت تتقدم الآن بطريقة أفضل كثيراً .

وكنت متردداً في ارسال الفرقة ١٠ بانزر الى أي من المحورين الرئيسين للهجوم. ولكن الفرقة ٢١ بانزر توقفت بعد ذلك بقليل أمام سيبيه لأنها تعطلت لمدة طويلة بسبب رداءة الطرق التي كانت مليئة بحفر مغمورة بالمياه (نتيجة

للأمطار الشديدة المستمرة) ثم ارتطمت بحقل ألغام كثيف كان العدو يدافع عنه بقوة (اللواء الأول حرس) . وقد أمكن التغلب على أول نطاق للألغام بعد قتال وحشي ولكن الفرقة توقفت هناك تماماً . وقد وقعت في نفس الخطأ لأنها هاجمت بالمواجهة بدلاً من انطلاقها عبر التباب .

وبالرغم من الصعاب التي سببها لنا رداءة الجو ، فقد ساعدنا للغاية من ناحية ثانية لأنه منع العدو من استخدام قواته الجوية بكامل جبروتها ، والتي كانت ستصيبنا بخسائر جسيمة للغاية في الوديان العميقة الشبيهة بالخوانق .

وقد حدث في محوري هجومنا ما كنت أخشاه . فالعدو سنحت له الفرصة لكي تحتل قواته الاحتياطية مواقع على التباب التي كان من الصعب مهاجمتها وبذلك كسب الوقت اللازم لاحضار تعزيزات أكبر . ولو أننا هاجمنا تيبيه لقطعنا مسافة كبيرة قبل أن نقابل أي مقاومة جدية ، أما هنا فقد ارتطمنا في وقت مبكر بعدو لم يضطر للقيام بسباق محموم يبعثر فيه تنظيمه حتى يصل الى الجبهة التي يحتلها ، ولكن توفرت للعدو المدة اللازمة لاحتلال مواقعه في هدوء.

ولاعتقادي بأن الحلفاء كانوا أضعف في قصرين عنهم في سيبيه فقد قررت تركيز ثقل هجومنا في منطقة قصرين وإرسال الفرقة ١٠ بانزر الى هناك .

وذهبت الى رئاسة فيلق افريقيا في قصرين حيث قابلت الجنرال فون برويتش قائد الفرقة ١٠ بانزر الذي أحضر معه نصف قوته فقط لأن فون آرنيم احتفظ بالباقي لتنفيذ مهمته في الشمال . وكانت كتيبة راكبي الدراجات التابعة للفرقة قد تحركت بالفعل وصادفتها في الطريق وكانت كل هجمات منترن قد أوقفت بفعل نيران المدفعية الأمريكية الدقيقة بالاضافة الىنيران مدافع الهاون من التبات . والآن بدأت كتيبة راكبي الدراجات التابعة للفرقة ١٠ بانزر في الاشتراك في المعركة .

ولسوء الحظ لم نسمع ولم نر شيئاً عنها أو منها طيلة فترة الصباح تقريباً . وعندما سألت فون برويتش عن أسباب التأخير أخبرني بأنه قد خصص وحدة أخرى للقيام بعملية الاقتحام لأنه كان يحتفظ بكتيبة الدراجات للقيام بعملية المطاردة . وبما ان وحدة الاقتحام كانت لا تزال في طريقها الى الجبهة ، فكنا نضيع وقتاً ثميناً مرة ثانية . وغضبت للغاية وأمرت القادة بالذهاب الى الجبهة حتى يستطيعوا تقدير الموقف بطريقة أدق . ودفعت راكبي الدراجات للأمام

على الفور لان الامريكيين كانوا يزدادون قوة في كل ساعة علاوة على أن موقفنا كان يزداد صعوبة نتيجة لهذا .

رومل يستخدم المدافع الصاروخية لاول مرة في افريقيا

وفي منتصف اليوم استأنفنا الهجوم في قتـال متلاحم عنيف . واستخدمنا المدافع الصاروخية لأول مرة في افريقيا واثبتت تأثيرها الفعال للغاية .

وأخيراً استطعنا ان نستولي على الممر . وقد قاتل الأمريكيون ببراعة فائقة وكانت خسائر منتون كبيرة . وفي المساء اكتشفنا وجود تشكيل مدرع للعدو في الجانب الآخر للممر . وكان يقف في وادي جانبي في تشكيل القتال ويبـدو أنه كان يستعد لنجدة المدافعين عن قصرين . ودفعت بمجموعة مدرعة عبر الممر على الفور . واستخدمت المجموعة المدرعة الجسر (الذي أعـدنا انشاءه بسرعة عبر نهر حطب) مما أدى الى أخذ العدو على غرة وقد جاء الهجوم مفاجئاً لهم . وقد دافع العدو وظهره للجبال ثم قـام رجال الآلاي ٨ بانزر المحنكين بتدميره في وقت قصير .

وقد دارت المعركة على مسافة الاشتباك الأعمى وتخلىالعدو بعد مدة قصيرة عن دباباته وعرباته وحاول الهرب سيراً على الأقدام عبر التباب .

وقد استولينا على حوالي ٢٠ دبابة و ٣٠ حاملة جنود مدرعة وأغلبها كان يجر خلفه مدافع مضادة للدبابات عيار ٧٥ مم . وكان الأمريكيون مسلحون تسليحاً مدهشاً وممتازاً وتعلمنا منهم الكثير في النواحي التنظيمية . ومن المظاهر الملموسة توحيدهم لأنواع عرباتهم وقطع غيارهم . ويبدو أن الخبرة البريطانيـة استغلت في صناعة العتاد الأمريكي بدرجة كبرى .

ولتوقعي هجوماً معاكساً من العدو في اليوم التالي قررت الاحتفاظ بقوات فيلق افريقيا والفرقـة ١٠ بانزر (أو القسم الذي وصل) حول قصرين في الوقت الحالي لكي نتمكن من اتخاذ الاجراءات المضادة اللازمة لأي هجوم مضاد للأعداء .

وفي خلال ليلة ٢٠ شباط تحركت قواتنا (بالرغم من هذا) من قصرين شمالاً على الطريق المؤدي الى ثالا ثم غرباً نحو تبيبه لأن العدو قد انسحب .

وفي الصباح التـالي تحركت الى ممر قصرين للتفتيش على الدبابات الأمريكية

المدمرة . وكان قول طويل من الحاملات المدرعة المأسورة يتحرك عائداً عبر الممر ما يزال يحمل الأسرى الأمريكيين . وكانت هناك ثلاث حاملات مدرعة مدمرة وملقاة على الطريق . وقال لي بلوفيوس ان اندفاع البرساليري قد ساعدنا مساعدة ممتازة أثناء الهجوم . ولسوء الحظ أن قائدهم لقي مصرعه .

وظهر أن خطة العدو تنحصر في الدخول في معارك تعطيلية في مواقع جديدة والالتجاء للدفاع ، وعلى هذا الأساس قررت ان ألحق به على الفور . وفي حوالي منتصف اليوم قررت أن تتحرك الفرقة ١٠ بانزر (بعد الاستيلاء على ثالا) نحو قلعة دجيردا حيث كان عليها قطع مفارق الطرق وخطوط السكك الحديدية وعدم السماح للعدو باستخدامها. وكان فيلق افريقيا سيقوم بدفع العدو للخلف عن الحمراء والاستيلاء على قمة الممر على الطريق الى تيبيه . وكانت الفرقة ٢١ بانزر ستظل في مواقعها كما هي .

وكان توزيع قواتي على عدة أماكن يعتبر خطيراً ، ولكنني كنت آمل ان يؤدي هذا الى تشتيت قوات العدو بدرجة أكبر مما حدث لنا نحن . وفي هذه الأثناء كان على الجيش الخامس ان يحاول في مناطقه تجميدالعدو بهجمات بالمواجهة فيمنعه من ارسال أي نجدات الى المناطق الجنوبية من الجبهة .

وكانت الفرقة ١٠ بانزر تتقدم بسرعة عظيمة نحو ثالا (وتبعد ٣٥ ميلاً شمالي قصرين) . وفي طريقها اجتاحت سرية بريطانية مضادة للدبابات وكانت تكون رأس الحربة لتشكيل مقترب . وفي منتصف اليوم ذهبت الى الفرقة ١٠ بانزر مع بايرلاين وهورستر ولم تكن الفرقة تتقدم بسرعة كافية واضطررت لحثهم باستمرار حتى يحتفظوا بسرعتهم ، ولم يبدوا عليهم أنهم يدركون أنهم في سباق مع احتياطي الحلفاء .

ولكي أكون صورة شخصية عن الموقف ذهبت الى افراد الاستطلاع الأماميين لأرى كيف تجري الامور .

ووجدتهم يرقدون في وسط مجموعة من نباتات الصبار بالقرب من قرية عربية . وكانت نيران المدفعية الشديدة تتساقط على الفرقة والفوضى شاملة حيث كان كل شيء حي من طائر أو حيوان يجري هارباً في كل اتجاه . وجمع باير لاين بعض البيض الذي وضعه الدجاج ثم اضطررنا نحن أيضاً للاختباء وزحف بايرلاين بين نباتات الصبار ، وهو يحمل غنيمته الثمينة . ولكننا لم نتعرض لأي اصابات

ولحسن الحظ ان البيض نجا هو الآخر .

ثم تحركنا الى تبة تبعد عن مكاننا حوالي ٥٠٠ ياردة ومنها شاهدنا طريقة سير هذا الهجوم . وكانت توجد أمامنا سبع عشرة دبابة محطمة ماركة ٦ ولم يكن من الغريب وصولها بهذه السرعة من الشمال ولكننا دهشنا لأنها مسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم . وبعد وقت قصير اشتبكت مدفعيتنا مع مدفعية العدو وتعرضنا لنيران الدبابات المهاجمة واضطررنا للهرب منها مرة اخرى . وفي طريقنا رأينا جثثاً عديدة للجنود البريطانيين ملقاة قرب بعض المدافع المضادة للدبابات المحطمة . وكان الاعراب قد نهبوا الجثث ونزعوا ملابسها . ولم نر هؤلاء الافراد لحسن حظهم لأننا كنا سنتخذ معهم إجراءات عنيفة .

وبعدها بقليل ذهبت للأمام مرة أخرى إلى قوات المشاة الموجودة شرقي الطريق وطلبت اليهم زيادة سرعة تقدمهم . وأصدرت أوامري للجنرال فون بروتيش بأن يحمل مشاة البانزر في الشاحنات ويدفعها لتتعقب دباباتنا مباشرة ، مع توفير الوقت الكافي لها للترجل عند إرتطامها بمواقع العدو ..

وقد نجحت الفرقة ١٠ بانزر في الوصول إلى ثالا التي كان العدو يحتلها بالفعل . وأثناء دخولنا أخذنا كتيبة بريطانية على غرة واجتاحتها رؤوس حرابنا المدرعة قبل أن تتمكن من فتح نيرانها ، وانتشرت دباباتنا وهاجمت العدو من الخلف وطردتهم من مواقعهم ، ووقع في أيدينا ٧٠٠ أسير . ومع هذا فقد اضطررنا بعدها بقليل لاخلاء ثالا مرة أخرى للحلفاء .

روممل يطلب دبابات تايجر (النمر) :

وقبل بداية العملية طالبنا من فون أرنيم أن يرسل لنا التسع عشرة دبابة من طراز « تايجر » (النمر) التي كانت لدى الجيش الخامس بانزر وكانت هذه الدبابات الجديدة الثقيلة (٥٦ طن) مسلحة بمدفع عيار ٨٨ مم وبذا كانت قوتها الضاربة أكبر من أي نوع من الدبابات في الجانبين ، بالاضافة الى أن دروعها أسمك من أي نوع آخر (١٠٢ مم في المقدمة) . ولو كانت هذه الدبابات لدينا في ثالا لأمكننا في الغالب أن نندفع الى ما بعدها . ولكن فون آرنيم رفض إجابة

مطلبنا وقال ان كل هذه الدبابات كانت تحت الاصلاح وقد عرفنا فيما بعد أن هذا لم يكن حقيقياً وإنما كان يرغب في الاحتفاظ بهذه المجموعة من دبابات تايجر (النمر) لهجومه الخاص .

وعندما رجعت من زيارتي للفرقة ١٠ بانزر رأيت مبارزة عنيفة بالمدفعية في اتجاه هجوم فيلق إفريقيا. وبدا كما لو أن هجومهم لم يتقدم إلا قليلا وقد تأكد لي ذلك من التقارير التي كانت تنتظرني في مقر قيادتي . فبعد نجاح مبدئي توقف تقدم القوات تدريجياً في وجه مقاومة متزايدة العنف .

ولسوء الحظ ان هذه القوات تقدمت في قاع الوادي ولم تتقدم في نفس الوقت فوق التباب على اطراف الوادي للقضاء على المواقع المعادية الموجودة في الممر بهجوم من الجنب .

وهذه كانت المرة الثالثة التي أرتكبنا فيها نفس الخطأ .

ومرة أخرى كان علينا دفع المجهود الرئيسي للهجوم فوق التباب علماً بأن استخدام الدبابات كان مستحيلا لأن المنطقة كانت تغطيها الغابات . وكان دفاع الأمريكيون عظيماً ، فبعد ان سمحوا للقول المهاجم بالتوغل في هدوء في الوادي فتحوا نيرانهم الغزيرة فجأة عليه من ثلاث جهات وبذلك أوقفوا الهجوم بسرعة . وذهل رجال بلوفيوس لمرونة ودقة نيران المدفعية الامريكية التي دمرت عدداً كبيراً من دباباتنا . وعندما اضطرت القوات الانسحاب فيما بعد تعقبتها المشاة الامريكية وقلبت الانسحاب إلى هزيمة نكراء .

وفي الصباح التالي ذهبت إلى ثالا فوجدت أن العدو قد أصبح على درجة من القوة لا تسمح لنا بالاستمرار في هجومنا .

وبعد ذلك قابلت الفيلد مارشال كسلرينج الذي جاء إلى مقر قيادتي مع ويستفال وشايدمان . واتفقنا على أن إستمرار الهجوم نحو ليكيف لا يمكن أن ينجح ، وقررنا وقف الهجوم على مراحل .

وعليه سحبنا الفرقة ١٠ بانزر ومجموعة فيلق أفريقيا إلى قصرين اثناء الليل حيث احتلت مواقع شمالي غربي الممر . اما الفرقة ٢٢ بانزر فكانت باقية في سيبية في الوقت الحالي ولكنها يجب أن تكون مستعدة لتلقي أوامر بلغم الطريق والانسحاب .

وسألني كسلرينج اذا كنت راغباً في تولي قيادة مجموعة الجيوش ؟ ويبدو أنه نظرا للهجوم على قصرين لم أعـد من المغضوب عليهم وأصبحت مقبولاً مرة أخرى بالرغم من مشاعري الانهزامية . ولكن بعد كل ما مررت به في الاشهر الماضية أعتذرت عن القبول لمعرفتي بأن الفوهرر قد قرر تعيين الجنزال فون آرنيم لقيادة مجموعة الجيوش .

وعلى أي حال كنت لا ارغب في تولي قيادة تتبع السلاح الجوي الألمـاني والقيادة العليا الايطالية بسبب تدخلهم في القرارات التكتيكية . وبغض النظر عن مزايا الفيلد مارشال كسلرينج العظيمة فلم يكن لديه أي فكرة عن الظروف التكتيكية والاستراتيجية السائـدة في مسرح العمليات الافريقي . وكانت نظرته لكل الأمور عبر منظار وردي ، وزاد من شعوره هذا ، نجاحنا أمام الامريكيين .

وكان يظن ان مثل هذه الفرص ستسنح دواماً وان قيمة الامريكي المقاتل غير كبيرة . وبالرغم من انه لم يكن من الممكن مقارنة القوات الأمريكية في هذا الحين بالقوات التي حنكتها التجارب الطويـلة في صفوف الجيش الثامن إلا انها كانت تعوض عن افتقارها للخبرة بعتادها الافضل والاكثر بدرجة كبرى ، وبقياداتها الأكثر مرونة من الناحية التكتيكية .

وفي الواقع ان تسليحها بالاسلحة المضادة للدبابات والعربات المدرعة كان ضخماً لدرجة ان أملنا في النجاح كان ضئيلا للغاية في أي معركة ميكانيكيـة في المستقبل . وكان المستوى التكتيكي لدفاع العدو ممتازاً للغاية . فقد استردوا رباطة جأشهم بسرعة بعد الصدمة الأولى ونجحوا في إيقاف تقدمنا بتجميـع قواتهم الاحتياطية في وقت قصـير للدفاع عن الممرات والنقـط الحيوية ذات الأهمية .

ولكن لم تصل كل هذه القوات بسرعة وأنا أعتقد تماماً أننا لو اتجهنا نحـو تيبية لانطلقنا مسافة كبيرة نحو الشمال قبل أن نقابل أي مقاومة جدية .

وقد انسحبت آخر تشكيلاتنا خلف ممر قصرين في يوم ٢٣ شباط. وانتهى بعد ذلك فترة رداءة الحالة الجوية . ومنذ منتصف هـذا اليوم تعرضنا لقصف

جوي عنيف بواسطة السلاح الجوي الامريكي في منطقـــة فريانة / قصرين على مستوى ونطاق لا يقل عن الهجمات التي تعرضنا لها في العلمين .

واستمرت الطائرات من جميع الأنواع في ضربنا باستمرار بنيران مـدافعها وقنابلها ، ومهاجمة قواتي المنسحبة في أسفل الوديان ، وأخذت طائرات الاتصال في إدارة نيران عدد كبير من البطاريات على أغراض ذات القيمة في القطاع كله . وفي خلال خمسة عشر دقيقة أمكننا رؤية ١٠٤ طائرة معـــادية فوق قصرين وحدها . وبينما كنت في طريقي إلى نقطة ملاحظتي الأمامية قامت ١٨ قاذفة بالقاء حمولتها مجمعة على مسافة ١٠٠ ياردة أمام قولنا .

واستمر الهجوم حتى حلول الظلام ، وهذا أعطـــانا صورة مجسمة عن قوة وقدرة الضرب للقوات الجوية للحلفاء . وبذلك انتهت معركة سبيطلا— قصرين وقد بدأت بنصر كبير للمدرعات الالمانية في مواجهة الأمريكيين الخضر (القليلي الخبرة) و كسبنا تفوق مؤقتاً كان يجب استغلاله بالاندفاع بعمق في أرض العدو مما قد يؤدي لانهيار جبهتهم في تونس بالكامل .

ولسوء الحظ أن الأوامر التي أرسلتهـا لنا القيادة العليا الايطالية لاستخدام قواتنا الضاربة لم تدخل في حسابها هذا الغرض الأسمى .

وبدلا من ذلك اتجه الهجوم الى القوات الاحتياطية الانجلوأمريكية .

وقد حرمنا الدفاع الامريكي العنيد عن ممر قصرين ، وتأخر وصول قوات الجيش الخامس البانزر للقيام باختراق مفاجىء داخل أرض العدو ، وبذا توفرت الفترة الزمنية اللازمـة لكي ينظم العدو دفاعـــه عن مؤخرته ويحضر قواته الاحتياطية الى المنطقة المهددة .

كما ان بعض القادة الالمان المفتقرة للمهارة وغياب القوات (التي احتجزتهـا روح المنافسة من جانب الجيش الخامس) أدى لفشل هجومنا في فترة مبكـرة وفشلنا في طرد الامريكيين من هضبة الحمراء وبذا لم نتمكن من تأمـــين جنبنا الغربي .

٢٣ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

لم أتمكن من الكتابة لك حتى اليوم وقد تحملت مجهود المعركة بنجاح حتى

الآن . ولسوء حظنا لن أتمكن من المحافظة على الارض التي كسبناها لوقت طويل .

تعيين روميل قائداً لمجموعة جيوش «افريقيا» :

وفي مساء يوم ٢٣ شباط وصل أمر من القيادة العليا الايطالية يتضمن أنه نظراً للظروف التي تتطلب وجود قيادة موحدة في تونس ستشكل مجموعة جيوش افريقيا تحت قيادتي . وتلقيت الانباء بمشاعر متضاربة . فمن ناحية كنت مسروراً لأنني سأحتفظ بسيطرتي على مصير رجالي لان الجنرال ميسي كان قد تسلم قبلها بقليل القيادة في جبهة ماريث ، ومن ناحية أخرى لم أكن سعيداً باستمراري في العمل كمراسل لمقر قيادة الفوهرر والقيادة العليا الايطالية والسلاح الجوي الالماني .

٢٤ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

لقد رقيت مرة أخرى وتركت جيشي نتيجة لهذا . وسيبقى بايرلاين رئيساً لعملياتي ، وهذا ليس الحل النهائي . وانا بحالة طيبة بالرغم من أن الايام القليلة الاخيرة كانت مرهقة .

وقد تحسنت البلاغات عن الجبهة الشرقية بعض الشيء . وهذا شعاع من الضوء بعد اوقات عصيبة .

وفي ٢٤ شباط عقدت اجتماعاً مع رئيس اركان الجيش الخامس لمناقشة خططه . وكانت خطة فون آرنيم تتضمن القيام بهجوم ملتف لتدمير قوات العدو المحتشدة في مجاز الباب (٣٠ ميلا غربي تونس) . ووافقت على الخطة ولكنني لم اوافق على باقي خططهم التي كانت تقضي باخلاء سهل مجاز الباب بعد العملية والعودة الى نقطة الابتداء ، لان هذه المنطقة كانت مثالية في ملاءمتها لحشد القوات الميكانيكية للهجوم على تونس وعليه فقد كانت تعتبر مقتل جبهتنا .

وفي المساء قابلت العقيد ويستفال في مقر قيادة السلاح الجوي الالماني ، وسألني نيابة عن الفيلد مارشال كسلرينج هل أستطيع الصمود لايام قليلة أخرى

في مواقع قصرين للعمل كحرس للمؤخرة وذلك لمعاونة الجيش الخامس في تقدمه نحو البيجة ؟ وكانت هذه اول مرة اسمع فيها عن البيجـــة أو عن خطة الجيش الخامس .

ولم ترقني إطلاقاً لان هدفها كان كبيراً للغاية بالنسبة للقـــوات المحدودة القائمة بالعملية . وعلى أية حال فيجب الابتداء في العملية في اليوم الذي هاجمنـا فيه ثالا .

ولسوء الحظ كان من المستحيل ترك الفرقة ١٠ بانزر في قصرين لان انسحابها كان قد بدأ بالفعل وكنا نتوقع هجوماً ملتفاً عنيفاً على مواقع الفرقة الحاليـــة خلال الايام القليلة القادمة ولم يكن من الممكن صده بدون خسائر جسيمة .

ومما يدل على تفاهة العقول في القيادة العليا الايطالية وافتقارها لاي شعور بالواقع (وكان يمكنها ان تقدر ببساطة تقديراً عقلياً سليماً للموقف العسكري المعقد) ، أنها لم تتخذ الاحتمالات الواضحة الحقيقية لهذا الموقف اساساً لخطتها ، وانما اعتمدت على الاحــلام والتمني في المستقبل حسب تفكيرهم ، وبالرغم من ان هؤلاء القوم في روما كانوا يعتبرون انفسهم مهرة لدرجة تسمح لهم باتخـــاذ قرارات تكتيكية بخصوص تونس فنجد انهم لم يتمكنوا حتى من الربط بين هجوم الجيش الخامس على البيجة وهجومنا على ثالا وربما لو تم هذا الربط لزاد من فرصة نجاح العمليتين .

وقد بدأ هجوم الجيش الخامس بانزر في ٢٦ شباط وظهر الهجوم كما لو كان مفاجأة كاملة للعدو وبهذا استطاع ان يحقق الاختراق بسهولة نسبية ولكن بعد وقت قصير كان العدو يشن هجماته المضادة . وقـد ادى المطر الذي انهال على الجبهة إلى عرقلة الهجوم بعض الشيء لانه أدى لصعوبة نقل اسلحتنا الثقيـــلة. واستمر الهجوم أياماً أخرى عديدة. ولم يكن من الممكن ان يحقق أي نجاح كبير وكانت خسائرنا اكبر نسبياً من خسائر العدو وذلك بالنسبة لامكانياتنا المحدودة. ولم يتحول هذا الهجوم في أي نقطة الى مناورة تكتيكية تجري بنظام ولم يكن أكثر من مضيعة لقواتنا .

وقد أثارني الاسلوب الذي استخدموا به دبابات النمر القليلة التي بخلوا بها علينا لهجومنا في الجنوب ، فقد دفعوا بها في واد طيني لم تستطع فيه استخدام أفضل ميزاتها وهي بعد مرمى مدفعها ، فقـــد غرست الدبابات الثقيلة في الوحل أو

ضربت بواسطة العدو .

وخسرنا ١٥ دبابة من ١٩ دبابة من طراز النمر التي دخلت المعركة . وكان الامر واحداً بالنسبة لكل الدبابات الاخرى التي دخلت الوادي الضيق حيث دمر البريطانيون عدداً كبيراً منها ، وبعدها بقليل أصدرت أوامري للجيش الخامس بايقاف العملية الفاشلة في أقرب فرصة ممكنة . ولسوء الحظ ان الهجوم أستمر بعد رحيلي عن أفريقيا تحت نفس الظروف .

وقامت القوات باقتحام التباب الواحدة تلو الاخرى وظهرت نفس الصورة التكتيكية الجامدة العتيقة التي ميزت معارك العناد في الحرب العالمية الاولى.

٢٦ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

نحن سعداء للغاية بأخبار الجبهة الشرقية المتحسنة . ويبدو أن الأمور في تحسن بالرغم من كل شيء .

وأنا أجهد عقلي ليلاً ونهاراً لايجاد حل للحصول على نصر ، ولسوء الحظ أن الظروف المناسبة غير موجودة . فكل شيء يعتمد على الامدادات كما حدث طوال السنوات الماضية ، وصحتي جيدة حتى الآن . وقد سبب لي القلب والأعصاب والروماتيزم بعض المتاعب ولكني أنوي الصمود بقدر ما يمكنني .

هتلر يعتبر رومل اكفأ جنرالاته في الهجوم

من النقيب ألفريد أينجمار برندت .

٢٦ شباط ١٩٤٣

عزيزتي السيدة رومل

في بداية شهر شباط كانت حالة زوجك الصحية والنفسية قد بلغت حد رأى معه الاستاذ هورستر أنه من الضروري أن يعالج على الفور لفترة ثمانية أسابيع على الأقل . وقد أرسل تقريراً الى مقر قيادة الفوهرر بواسطة القائد العام للجبهة الجنوبية بأنه يجب ألا يتأخر هذا الاجراء عن يوم ٢٠ منه .

ومن العوامل التي زادت من خطورة حالة زوجك مسألة القيادة المعلقة بدون حل. فقد أرسل الايطاليون خلفاً له بدون أي أوامر أو تعليمات بخصوص استدعائه من الجانب الالماني .

فقد كانوا ينتظرون تقريراً عن حالته الصحية . وقد اتخذ هو بنفسه قراره السليم بأنه لم يبلغ مطلقاً عن مرضه . فقد كان ملكاً لرجاله ولو أنه حدد بنفسه موعد رحيله ثم حدث أي طارىء بعدها بعدة أيام لأمكن اتهامه بعدم تقديره ومغادرته لمكانه في الجبهة قبل ملاءمة الظروف .

وفي نفس الوقت اضطررنا للقيام بعمليات معينة ضد القطاع الغربي ولم يكن من الممكن تأجيلها . وكانت قوات الجيشين ستشترك في هذه العمليات، وعندما رأى الغيرة سائدة تخلى عن مكانه لكي يحتله الآخرون . ولكن عندما لم يستغل هؤلاء النجاح ولا السرعة اللازمة من جانبهم تبعاً لافكاره تدخل باقتراح جرىء للغاية لم يحظ بالقبول بكل أسف ، ومع ذلك حصل على القيادة الجديدة . ودخلنا عمليات متحركة مرة أخرى. وفي هذه الليلة أمربفتح زجاجة شمبانيا وقال أنه يشعر كما لو كان حصان حرب قديم يسمع الموسيقى مرة أخرى .

وخلال الأيام القليلة التالية تحسنت حالته لدرجة كان من السهل أن نرى فيها شخصيته القديمة . وقد قرر الاستاذ هورستر هذا التحسن ولم يبد أي اعتراض على استمراره في العمليات لأسابيع قليلة قبل ان يبدأ علاجه .

وقد أرسل تقريراً بهذا المعنى (ولكن يجب ألا يعلم المارشال بهذا الكلام) الى الفوهرر والقائد العام للجبهة الجنوبية . وفي أثنــــاء عملياتنا الناجحة تلقينا القرار بانشاء مجموعة جيوش « روميل » على ان يكون الجيشين تحت قيادتـــه . وكان هذا توكيداً لثقة الفوهرر والدوتشي . وقد فرحت لهذه الامور لأنه يجدد شعوره بأنه لا يزال محل ثقة حتى بعد الانسحاب. وكان مقتنعاً بعكس هذا على الدوام ولم يكن من الممكن تأكيد هذه الثقة اكثر من هذا .

وسيتوقف احتمال عودته الى افريقيا بعد اجازته المرضية عـــلى تطورات الموقف ، فلو أنه كان من الممكن الاستمرار في القتـال بأسلوب هجومي فانني اظن انه سيعود. اما اذا كان العكس صحيحاً فان الفوهرر الذي وصف المارشال بأنه احسن جنرالاته في الهجوم سيقوم بتعيينه بكل تأكيد في مكان آخر للقيام بواجب هجومى هام . وبالطبع فإن عبء مسؤولياته الكبرى يثقـل كاهله الا انه اعطاه القوة الدافعة التي كان يحتاج اليها . وعليه فإن النتيجة كانت ممتازة وهو يستطيع الاعتماد تماماً وبالكامل على هيئة أركان حربه .

وكان منظر فرحة قواته مبهجاً للغاية أثناء مروره بقولاتها في الايام القليلة

الماضية . وعندما ظهر في وسط الهجوم بين أفراد فرقة جديدة لم تعمل قبل ذلك تحت قيادته واندفع مع رؤوس حراب المشاة أمام مقدمة المدرعات ورقد في الوحل بين الرجال تحت نيران المدفعية وبأسلوبه القديم فأدى هذا الى إضاءة الطريق أمامهم . ومن من القادة الآخرين لديه هذا الرصيد من الثقة والحب .

وقد ألغينا المنزل في سمرينج . ولكني أظن أنه سيحضر مع هذا في النصف الثاني من مارس ، وفي الغالب في نهاية هذا الشهر . وسيحضر معه عدداً صغيراً من أركان حربه وفي الغالب سيتكون الياوران من ضابطين وستة ضباط صف وجندي وذلك لكتابة تقريره عن المعركة .

أخلص مشاعري — هايل هتلر .

المخلص — برندت

٢٧ شباط ١٩٤٣

عزيزتي لو

مررت بوقت عصيب وأتوقع أوقاتاً أشد صعوبه . وأرجو أن تكون لدي القوة لاحتمال كل هذا . ولم تبخل عني أعصابي حتى الآن ويجب عليها أن تستمر في احتمال الظروف . وحتى لو أني حصلت على ما يلزم لخوض الحرب هنا ، الا أن خطوط المواصلات صعبة للغاية .

١ آذار ١٩٤٣

عزيزتي لو

ما يزال أمر علاجي موضع شك . فليس من السهل مغادرتي لهذا المكان .

٣ آذار ١٩٤٣

عزيزتي لو

ربما أتولى قيادة الجيوش كلها الموجودة في افريقيا ، ولكن قلقي يزداد . وقد كتب لي شماندت خطاباً رقيقاً . فالفوهرر قلق بشأني. ولكني لا أستطيع السفر الآن ، فعلي الاستمرار لفترة . ولا مانع لدي من العمل في وظيفة أخرى. وروما تملي علي كل شيء مهما هان أمره ومع ذلك فأنا المسؤول الأوحد . وهذا أمر غير محتمل . وكثيراً ما أظن ان اعصابي ستنهار . واحياناً يسير المرء في طريق يقارب الهاوية ، ولو ان الأمور ساءت فستكون العواقب وخيمة جداً . وقد حل الربيع والاشجار والحقول مزدهرة كلها والشمس ساطعة. ويمكن

ان يكون العالم جميلاً هكذا لكل الناس . وتوجد كل الامكانيات ليصبح الجميع قانعين وسعداء . وهناك الكثير مما يمكن عمله ، وخاصة هنا في افريقيا بآفاقها المتسعة .

٤ آذار ١٩٤٣

عزيزتي لو

انني انتظر جاوزي هذا المساء . وهو الآن رئيس أركان الحرب . وسيقوم آرنيم اذا سمح الحال بالقيادة نيابة عني أثنـاء اجازتي المرضية . ولكني لا أتوقع حدوثها بعد . ولا استطيع الخروج من هنا . فنحن نواجه أحداثاً حاسمة .

٥ آذار ١٩٤٣

عزيزتي لو

أرق مشاعري لك ولولدنا قبل أن أدخل في عمليات جديدة بأوامر من الأعلى وفي هذه الأثناء تلقينا أوامر بالهجوم ، وكنت قد اقترحت القيام بـه ضد المواقع البريطانية في مدينين . وكانت عملية صعبة بوجه خاص ولكنها لو فشلت في تحقيق غرضها (وهو تحطيم مواقع تجمع الجيش الثامن) فانهـا ستؤدي الى تأجيل هجومه المنتظر ، لأن نهاية الجيش في افريقيا ستصبح وشيكة ولن تحتاج لأي اوهام بهذا الخصوص .

وقبل هذا اليوم بزمن قليل هاجم مونتغمري القسم الجنوبي من حرس مؤخرة الفرقة ١٥ بانزر هادفاً تخفيف الضغط على الجبهة في تونس الغربية . ودار قتـال عنيف طوال اليوم بين قواتي والمدرعات البريطانية المتفوقة للغاية . ولم تتمكن الفرقة من الاحتفاظ بطرق انسحابها مفتوحة الا بصعوبة بالغة وبالقيام بهجمات مضادة متكررة بما لديها من دبابات وعددها ٢٠ دبابة فقط . ثم انسحبت الفرقة التي قاتلت ببسالة فائقة وراء خط النقط الخارجية لخط ماريث مما أتاح لمونتغمري وسهل له التحرك الى المنطقة التي كنا ننوي القتال فيها قبل الموعد الذي حددناه لهذا . وعليه فقد كان الوقت قد حان للتحرك .

وكنتيجة لهجوم الجيش الخامس تـأخر تحرك الفرقتين ١٠ ، ٢١ بانزر الى ماريث عدة ايام مما أعطى لمونتغمري وقتاً اضافياً لكي يدعم ويجهز دفاعاته في الأرض التي احتلها .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« لقد توفرت لمونتغمري فرصة زمنية لتعزيز قواتـه في مدينين . ففي ٢٦ شباط أحضر الفرقة ٥١ المشاة بكامل قوتهم لدعم الفرقة ٧ المدرعـة . وفي ٦ آذار عندما قام روميل بهجومه كان مونتغمري قـد أحضر الفرقة النيوزيلندية واللواء ٢٠١ حرس ولواءين مدرعين آخرين . وكانت استعداداته الدفاعية قـد استكملت منذ مساء يوم ٤ آذار . وكان لديـه بجانب ٤٠٠ دبابة ٥٠٠ مدفع مضاداً للدبابات في مواقعها . وبذا اختفت فرصة نجاح روميل في الهجوم بسبب هذا التفوق. وكتب الجنرال دي جانجاند رئيس أركان حرب الجيش الثامن عن هذا الموقف في مذكراته :

« اعترف لي مونتغمري بصراحة بأنـه عندما حاول معاونة الجيش الأول وجد نفسه لأول مرة مختل التوازن وعليه فقد عملنـا بحماس لإعداد صفوفنا لمواجهة هذا الهجوم عند وقوعه .

وفي ٥ مارس كنا مستعدين لهجوم روميل وكانت القوات المنتظرة قوية للغاية وكان روميل قد أضاع فرصته ولذلك تنفسنا كلنا بحرية » .

ويتابع روميل مذكراته فيقول :

وكان الهجوم ضد الجيش الثامن في مدينين محفوفاً بالصعاب وليس هذا بسبب خبرة قوات مونتغمري العظيمة بالحرب فقط وانما أيضاً بسبب طبيعـة الأرض التي لم توفر لنا سوى حلول تكتيكية محدودة وحرمتنا من المرونة . (حتى لا نستهلك كميات كبيرة من البترول أثنـاء سير اقترابنا) . ولم يكن هناك أي نقطة نهاجم العدو فيها دون ان يكون في انتظارنا ويعلم تماماً بجميع تحركاتنا .

ولذا فقد كانت خطتنا كلها مبنية على أمل ان البريطانيين لم يتمكنوا مـن استكمال تنظيم خطوطهم الدفاعية في منطقة مدينين . وكان القرار بالهجوم قد تم على اساس ادراكنا أنه لا يوجد أمامنا سوى حل اوائنين: اما انتظار الهجوم البريطاني على خطوطنا ونتعرض لهزيمة نكراء اوان نحاول كسب الوقت بتحطيم مناطق تجمع العدو !

واحتدم النقاش حول طريقة تنفيذ الهجوم . واخيراً وافقنا على اقـتراح الجنرال ميسي الذي يقضي بانتشار فرقة بانزر على الطريق وفرقة اخرى وراء جبل طباقة ، على ان نعبر الجبال بفرقة واحدة فقـط . وبالرغم من ان الأرض

بالقرب من جبل طباقة كانت مكشوفة اكثر من اللازم لاستعمال المدرعات في الاختراق عند هذه النقطة الا ان الخطة كانت لها مزايا اكثر من الخطط الاخرى التي درسناها .

واقترح عدد كبير من ضباط هيئة اركان حربي تأجيـــل الموضوع كله الى الفرصة القادمة التي يصبح فيها القمر مكتملا ، وهو اقتراح لم يكن في مقدوري الموافقة عليه لأن استعدادات العدو في هذا الوقت ستصبح كاملة .

وجميع هذه المناقشات أدت لتأجيل الهجوم مرة اخرى ، ولكن في النهاية حددنا تاريخ الهجوم بيوم ٦ آذار وفي اليوم السابع لهذا التاريخ تحركت الى مقر قيادتي الامامي على التبة ٧١٥ جنـــوب طوجان (الطرف الجنوبي لخط ماريث داخل الهضبة بمسافة ٢٠ ميلاً) واجتمعت بقادة التشكيلات المشتركة في الهجوم . وكان مجال الرؤية امام هذه التبة ممتازاً حيث امتـــد الى ما بعد مدينين بمسافة كبيرة .

وفي الصباح التالي كانت السماء مغيمة وارض المعركة يغطيها الضباب وفتحت المدفعية نيرانها وانهالت قنابل المدافع الصاروخية على الوادي عنـــد الاسفل وكانت الفرقة ١٠ بانزر قد تحركت في هذه الاثنـــاء عبر حلوف دون مقاومة من العدو .

وبدأ الهجوم بداية طيبة ولكنه اصطدم بعدها بمواقع بريطانية قويـة وفي ارض وعرة تحميها الألغام والمدافع المضادة للدبابات . وكان العدو قـــد أنشأ خطاً دفاعياً قوياً يواجه الجنوب الشرقي . وشننا الهجوم بعد الهجوم ولكننا لم نحقق اي نجاح . واصطدمت القاذفات المنقضة الـــتي حاولت مساعدتنا بغلالة كثيفة للغاية من المدافع المضادة للطائرات فوق تباب ميطامير . وعندما أصبحت الرؤية عند التبة ٧١٥ متعذرة تحركت للأمام حيث وضح لي ان الهجوم قـــد فشل ولم يعد هناك ما يمكن عمله بهذا الخصوص .

وأصدرت أوامري بوقف العملية والمحافظة على الارض الـــتي تم احتلالها واسترجاع العربات المدمرة . وفي المساء اضطررت لاتخاذ قراري بوقف العملية كلها .

وكان الهجوم قد تعثر في مرحلة الاقتحام ولم نستطع تجميع العملية اطلاقــاً وتحويلها الى معركة متحركة لأن القائد البريطاني جمع قواته بطريقة فذة وأنهى

استعداداته بسرعة فائقة . وفي الواقع ان الهجوم تـأخر حوالي اسبوع وكانت العملية قد فقدت كل احتمال لنجاحها منـــذ اكتشفنا ان البريطانيين كانوا على استعداد للقائنا . وقد تكبدنا خسائر فادحة منها ٤٠ دبابة دمرت تماماً .

ولكن أشد الضربات التي تلقيناها كانت في أننا لم نستطع وقف أو تعطيل مجرى استعددات مونتغمري . وسادتنا روح التشاؤم جميعـــاً . وكان هجوم الجيش الثامن وشيكاً وكان علينا مواجهته ، وبقـاء مجموعة الجيوش في افريقيا اكثر من هذا اصبح مجرد انتحار مؤكد .

النهاية في افريقيا

وفي نهاية شباط اصدرت تعليماتي للقائدين الجنرال فون آرنيم والجنرال ميسي لكي يحددا تقديرهم للموقف في تونس . وكانت الوثيقتان تشيران الى الموقـــف اليائس للمواقع التي اضطرت مجموعة الجيوش لاحتلالها . ويتلخص تقريرهما كما يلي :

« ... وفي الوقت الحاضر يحتل الجيشان في تونس جبهة طولها ٤٠٠ ميـل ولهما مركزين للثقل الأول في المنطقة الواقعة غربي وجنوبي غربي تونس والآخر في خط ماريث بين الساحل والجبال . وحوالي ٣٥٠ ميلاً من هذه الجبهة محتلة بقوات ضئيلة للغاية ، وبعض الأماكن غير محتلة على الاطلاق لافتقارنا للقوات اللازمة .والقسم الأكبر من جبهة الجيش الخامس بانزر أرض جبليـــة ، ولكن حتى هذه الجبال يمكن لأي هجوم معادي من المشاة ان يفتـح ممراً من الممرات المحتلة بسهولة من الوراء . ويوجد بين الجيشين ثغرة واسعة على جانبي شط الجريد ستوفر فرصة ممتازة في موسم الجفاف لقوات العدو الميكانيكية للعمل بنجاح ».

وقد قدرت عدد القوات الموجودة من الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين (والتي كان على مجموعة الجيوش مواجهتها في لحظة هجوم الحلفاء) ووصلت إلى النتائج التالية : —

١٦٠٠ دبابة و ١١٠٠ مدفع مضاد للطائرات و ٨٥٠ مدفعاً وحـــوالي ٢١٠,٠٠٠ مقاتل .

وافترضت ان الحلفاء سيقومون بالعمل الصحيح فيهاجمون المنطقة بجميـــع

قواتهم . وفي الوقت نفسه كانت جبهتنا غير قادرة على مجابهة هـــذا الهجوم وسيتمكن العدو من اختراق ستارة المشاة في وقت قصير . وقبل مرور وقت طويل سيكون احتياطينا الاستراتيجي مشتبكاً في عدة اماكن .

وطلبت أخذ هذه النقاط في عين الاعتبار ليمكن الوصول منها بالنتـــائج التاليـة :

« ان جبهة طولها ٤٠٠ ميل من المستحيل الصمود فيها لمـــدة طويلة ويجب تقصيرها حتى تصبح ١٠٠ ميل . واقترح ان تكون الجبهة على الشكل التالي :

جبهة الجيش الخامس تمتد إلى جبل منصور ومن هناك يمكن ان نخـــترق الجبال إلى أنفيدافيل . وسيكون من مميزاتها طرد العدو خارج مجاز البـــاب ومنطقة بوعرضه وعبر الجبال نحو الغرب . وهذا الاقتراح يعني بالطبـع التخلي عن جزء كبير من تونس بما في ذلك بعض المطارات كما أنه سيوفر للعدو خطوط برية للمواصلات بين مجموعة جيوشه الشرقية والغربية . ومع هذا فإن الجبهـــة القصيرة ستتميز بأنه من الممكن الدفاع عنها لفتره أطول من الجبهة الحالية . ولو انهارت الجبهة الطويلة فان الجيش الاول الايطالي لن يتلقى أي امدادات وسينهزم الجيشان الواحد بعد الآخر . وسيكون من المستحيل تقصير الجبهة لأن القوات اللازمة للقيام بهذا العمل غير متوفرة لدينا . وهـــذا سيؤدي إلى خسارة رأس الجسر التي لدينا في أفريقيا بالـكامل .

ثم تحدثت عن موقف الامدادات والتموين وقررت أنه لايجاد المواد اللازمة لدفاع ناجح ضد هجوم رئيسي سنحتاج لزيادة شحناتنا شهرياً إلى مائة وأربعين ألف طن . وبقدر ما تسمح لنا قدراتنا البشرية على الاستنتاج (وفي ضوء تجاربنا في السنين الماضية) فان هذا الرقم لا يمكن بلوغه .

وانتهى تقديري للموقف بالسطور التالية :

« نظراً لخطورة الموقف فانني أطالب بالوصول لقرار مبكر بخصوص الخطة المستقبلة للحملة في تونس . ويمكن ان نتوقع هجوم العدو في فـــترة اكتمال القمر التالية » .

وكان القرار بخصوص اقتراحي بطيئاً للغاية ،ولكن بعد إرسالي استعجالات عديدة سمعت في النهاية من كسلرينج ان الفوهرر لا يستطيع الموافقة على تقديري للموقف . وأرفق بالرد مقارنة للقوى المتوفرة للجانبين مبنياً على أساس عـــدد

التشكيلات بغض النظر عن وجود حملة ميكانيكية أو عن صلاحيتها وبغض النظر ايضاً عن العتاد وقوة الأفراد . والغرض من كشف المقارنة هذا هو إثبات أننا لسنا بأقل من العدو ، بالدرجة التي كنا ندعيها باستمرار .

وبالطبع كان من الممكن الدفاع عن مساحة تونس الكبيرة بالقوات التي لدينا ولكن بشرط أن تكون محملة ميكانيكياً ومسلحة كلها بالأسلحة الحديثة ومخدومة من الناحية الادارية بطريقة مرضية . ولكن لم يتوفر أي شيء من كل هذا ، وعليه فالفرصة الوحيدة في النجاح للقضاء على محاولات العدو لاختراق جبهتنا تنحصر في بناء دفاعنا على أساس مواقع محصنة بقوة ومحتلة بقوة ومع استخدام قواتنا الميكانيكية أستخداماً حسناً . وبالنسبة للقوات المترجلة غير المحملة فان أطول جبهة كان يمكنها احتلالها هي ١٠٠ ميل وليست ٤٠٠ ميل أبداً .

وكان من الواضح ان سلطاتنا العليا كانت تبني أحلاماً مبنية على أساس زيادة شحنات الامداد في هذا الحين ، وفي الواقع أنها كانت كبيرة للغاية بالنسبة للكميات التي اعتدنا عليها . ففي كانون الثاني كان الرقم ٤٦,٠٠٠ طن وشمل ٥٠ دبابة و ٢٠٠٠ عربة و ٢٠٠ مدفع . وفي شباط وصلت إلى ٥٣٠٠٠ طن ومعها ٥٠ دبابة و ١٣٠٠ عربة و ١٢٠ مدفعاً . وكان عليها ان تتذكر ان التسليح الأمريكي والبريطاني قد أصبح أحدث وأكفأمما كان عليه وان وحدات العدو كانت مسلحة بعدد أكبر من المدافع وخصوصاً المدافع المضادة للدبابات . وكانت كمية العتاد التي ترسل للحلفاء في ذلك الوقت أكبر عدة مرات مما تلقاه أوكينلك في مصر أول مرة .

رومل يسافر الى روما

وكانت هذه الافكار تراودني أثناء عودتي إلى بير سلطان في ٧ اذار حيث ودعت الجنرال زيجلر والعقيد بايرلاين . وكان بايرلاين قد عين في هيئة أركان حرب الجنرال ميسي كرئيس لهيئة الأركان ، وأنا متأكد ان بايرلاين سيجد احسن الحلول في اي فرصة قد تسنح . واهم شيء كان علينا هو تأمين أنفسنا ضد أي كارثة قد تتسبب عن اي خطأ من جانب الايطاليين . وفي الصباح قررت

اخيراً الذهاب مرة اخرى إلى مقر قيادة الفوهرر . وقد شعرت انه من واجبي ان اخلق وادخل روح الفهم بكل جهدي في أعلى مستويات القيـــادة وذلك بالنسبة للمسائل الاستراتيجية في تونس . وكنت اريد على وجه الخصوص العمل على انقاذ القوات . وعليه فقد طلبت من الجنرال فون آرنيم (الذي كان سيتسلم قيادة مجموعة الجيوش نيابة عني) ان يحضر الى مقر قيادتي ولكنني علمت انـه استدعى في صباح نفس اليوم هو والجنرال فيرست الى روما . وغضبت للغاية لهذا السبب وقلت رأيي فيه لكسلرينج في التليفون وعلية فقد قام بالغــاء مؤتمره . وقمت بتسليم قيادة مجموعة الجيوش للجنرال فون آرنيم في اليوم التالي ، وفي يوم ٩ اذار سافرت جواً الى روما .

وعند وصولي إلى القيادة العليا الايطالية ذهبت اولاً وتحـدثت مع الجنرال آمبروزيو . وادركت بسرعة ان الايطاليين لا يتوقعون عودتي لافريقيا وأنهم يظنون ان الفوهرر سيأمرني بالقيام بأجازة مرضية . وهذا كان بعيـــداً عن فكري لانني كنت آمل ان تنفذ خطتي واستمر فـــترة اخرى ولو قصيرة في في قيادة مجموعة الجيوش .

ثم ذهبت مع آمبروزيو وويستفال إلى الدوتشي وتحدثنا معـــه لمدة خمس وعشرين دقيقة . وقلت لموسوليني باختصار وبصراحـــة آرائي عن الموقف وشرحت النتائج التي يجب ان نستخلصها من كل هذا . ولكنه هو أيضاً بـــدا مفتقراً لأي ادراك للحقيقة في المواقف العصيبة وقضى الوقت كـــله في محاولة للبحث عن حجج ليبرر بها آراءه . ومن ضمن مخاوفة أنه كان يخشى الصدمـــة التي ستواجهها القوى الشعبية في إيطالية عند سقوط تونس . وقد عرض عـــلي إرسال فرقة إيطالية أخرى إلى تونس ولكنني رفضت وقلت له أن من الأفضل تسليح الفرق الموجودة هناك بالفعل لكي يمكنها مقاتلة البريطانيين .

وكانت روح الدوتشي مشبعة بالود أثناء الحديث الذي دار بيننا بالالمانيـــة ولكنها أصبحت ثائرة بعض الشيء في نهايتها . وفي الواقع أني سمعت فيما بعد من برندت أن الدوتشي كان ينوي في هـذا اليوم الانعـــام عليّ بالميدالية الذهبية الإيطالية . ولكنه توقف عن هذا لضيقه بموقفي المؤدي للهزيمـة . ومع هذا فقد شكرني لأعمالي العظيمة في الحمـــلة الافريقية وأكد لي ثقته المطلقة .

الدوتشي ممثل بارع :

وفي الواقع أني كنت أحترم الدوتشي على الدوام بالرغم من أنه كان ممثلا عظيماً مثل أغلب الايطاليين . ولم يكن رومانياً على الاطلاق ولو أنه كان يحاول أن يظهر كروماني . وبالرغم من قدراته الثقافية الكبيرة كان عاطفياً أكثر من اللازم وقد استخدمها في تنفيذ خططه الطموحة . ومع هذا فان الشعب الايطالي يدين له بالكثير قطعاً . فإن ردم مستنقعات البونتين واستعمار ليبيا والحبشة لم تكن لتحدث إلا بوجوده . ولسوء الحظ أن الكثير من مساعديه لم ينظروا الأمور بنفس روحه المثالية مما أدى أنهم أتبعوا أسلوب النفاق على نطاق واسع .

وأخيراً رأى الدوتشي أحلامه تنهار . وكانت اللحظة مريرة بالنسبة له ولم يقدر على تحمل العواقب . وربما كان من الواجب أن أكلمه أثناء نهايته بأسلوب مختلف ولكني كنت مشمئزاً من تفاؤله الدائم لدرجة أنني لم أستطع النفاق أكثر من هذا .

وعندما سألت في حوالى منتصف اليوم : — هل مارشال الرايخ (الذي كان في روما في هذا الحين) يرغب في رؤيتي ! فأرسل يقول أنه يجب عليّ أن أسافر معه إلى مقر قيادة الفوهرر في قطاره الخاص . وبدا كما لو أن هيرمان جورنج متلهفاً الذهاب معي إلى قيادة الفوهرر . ولكنني اعتذرت عن قبول الدعوة لأنني كنت أرغب في تقديم تقريري للفوهرر بدون تدخل من جورنج الذي كان مقبولاً لدى الزعيم لروحه المتفائلة .

رومل يقابل هتلر في روسيا :

وفي عصر يوم ١٠ آار وصلت لمقر قيادة الفوهرر في مكان ما من روسيا وفي نفس المساء تلقيت دعوة لتناول الشاي مع هتلر . وبهذا تمكنت من التحدث معه على انفراد . وكان يبدو حزيناً ومنهاراً بسبب كارثة ستالينغراد . وقال أن المرء ميال دائماً للنظر لنواحي الخطأ بعد أي هزيمة وهذا يؤدي به لنتائج خاطئة وخطيرة ولم يوافق على اقتراحاتي ورفضها كلها بقوله أنني أصبحت متشائماً . وطالبت بشدة إعادة تسليح قواتنا «الافريقية» في إيطاليا لكي نتمكن من الدفاع عن جنبنا الجنوبي الأوروبي بل أني وعدته بأني أضمن بهذه القوات

(والضمان شيء لا أميل لتقديمه مطلقاً) هزيمة أي غزو للحلفاء لجنوب أوروبا .

ولكن الأمر كله كان ميئوساً منه . فقد أصدر لي تعليماته بالقيام باجازة مرضية لمدةمن الوقت أعالجبها نفسي حتى أستطيع قيادةالعمليات في الدار البيضاء فيما بعد . ولم يخطر بباله قط أن الامور قد تسوء في تونس . وبما أنه سمع عن موضوع تقصير مواجهة الجبهة فكان من المستحيل بعد هذا ، أن أقوم بالهجوم ورفض طلبي بالاستمرار في قيادة مجموعة الجيوش لمدة أسابيع ، وفي هذا الوقت سيتضح لنا هل سيقوم الأمريكيون بالهجوم من عدمه ؟ ولكن هتلر أدرك مع كل هذا ضرورة سحب المشاة على الفور من ماريث الى قابس والبدء في إنشاء خط قابس .

وفي اليوم التالي ظهر جورنج في مقر القيادة بموجة كاذبة من التفاؤل ، وأنعم عليّ الفوهرر بأوراق الغار والسيف والرصيعة ، ولكن الوضع استمر على ما هو عليه . وفشلت كل مجهوداتي لانقاذ رجالي وارجاعهم إلى القارة ، وطرت عائداً الى وبنرنيوستادت ، حيث ذهبت الى سمرينج لأبدأ العلاج .

ولم يطل انتظارنا للهجوم الأنجلو - أمريكي . وبالرغم من أن الفوهرر أصدر أوامره بالانسحاب إلى مواقع العكاريت فقد ألغيت هذه الأوامر بعدها بقليل ، ويبدو أن كسلرينج ذهب الى مقر قيادة الفوهرر هو الآخر لانه يحمل أنباء سارة فوجد آذاناً صاغية . وكان من المهم بالنسبة لي على وجه الخصوص الصمود في خط ماريث لانه كان والقيادة العليا الايطالية السبب في وقوعنا في هذا المأزق .

وفيما بعد أثناء مؤتمر له مع فون أرقيم قال أنني أهملت إشراك موقع قابس مع خط ماريث وأهملت في تحصينهما سوياً حسب فكرة الفوهرر . وهذا يوضح فشله في فهم الموقف على حقيقته . فقد كان من المستحيل علينا بقواتنا المحدودة أن نواجه هجوماً بريطانياً على خط ماريث وآخر على الحمة « الموجودة على طريق عنق الزجاجة في قابس من ناحية الصحراء » وهجوماً أمريكياً على مؤخرة خط قابس في نفس الوقت . وكان كل المجهود الذي بذلناه في انشاء خط ماريث سيذهب هباء لو أن البريطانيين والامريكيين اخترقوا خطنا نحو الساحل غرب

جبهتنا .

وكان الانسحاب إلى العكاريت سيصبح أمراً حتمياً ، ولكن بـــدون أن نستطيع استخدام المشاة الايطالية هناك بنفس النجاح الذي كانت ستحققه في خط ماريث : وكون هذا المثلث محصناً أو غـــير محصن فإن الدفاع عن البروز حتى ماريث كانت فكرة سخيفة ، وبالمناسبة فإن كلامي كان ستحققه الاحداث في المستقبل .

وصدرت الاوامر بإحاطة استدعائي بسياج من السرية حتى لا تستغل شهرتي العسكرية في غير صالحهم .

ولكن حيث ان الموقف الاستراتيجي كان ميئوساً منه فإن نابوليون نفسه كان لا يستطيع أن يفعل شيئاً بخصوصه . ولن يجدي التفاؤل ولا القوة الدافعة لأن الحقيقة كانت قاسية . فالقوات يجب عليهـا أن تضرب وتتحرك ولهذا فهي تحتاج الى الذخيرة والوقود .

ولكننا انتظرنا وصول هذه الامدادات الحيوية بلا نتيجة ، وكان موقف فون آرنيم لا يحسد عليه ، وقد فعـل كل ما بوسعه كبشر لكي يشرح الموقف لسلطاتنا العليا ولكن بدون نتيجة .

الانكليز والامريكان يهجمون في وقت واحد :

وكما توقعنا أرسل مونتغمري فيلقه العاشر المدرع ليلتف حول تباب مطمطه ودفعه ضد قطاع مانيريني ثم مهاجمة خط ماريث في الشمال؛ بينما تحرك الأمريكيون بحوالي فرقة مدرعة في نفس الوقت متقدمين من قفصة . ومن الناحية الاستراتيجية فقد كانت عملياتهم مخططاً لها بعناية واضطررنا لاتخاذ عدة حلول تكتيكيـة مؤقتة لمواجهة الترابط الفعال بين الهجوم على خط مـــاريث والهجوم على خط مانيريني . وقام الضباط بمجهودات مبتكرة وضخمة وكان من أسباب ارتياحي وجود باير لاين بجوار الجنرال ميسي .

وبالرغم من هذا فقد أمكننا سحب الجيش من خط مـــاريث الى وادي العكاريت مع احتفاظنا بالجزء الأكبر من قوته الضاربة . ولكن القوات لم يتوفر لها الوقت اللازم لتحتل مواقعها الجديدة واستطاع مونتغمري ان يتغلغل بعمق

في خطوطنا . وبذا أصبح غير ممكن البقاء في موقـــع العكاريت . وأصبح الايطاليون من الناحية العملية غير موجودين على الاطلاق كقوات مقاتلة .

وفقدنا الجزء الاكبر من مدفعية الجيش الاول الايطالي (الالمانية والايطالية) في خط ماريث بدون ان تتدخل فعلا لكي تغير من سير المعركة وكانت الفرقة ١٠ بانزر قد نجحت في هذا الاثناء في ايقاف محاولة امريكية للقيام باختراق نحو قابس ولكنها دفعت ثمناً فادحاً وانسحبت بقايا الجيش الاول مع الفرقة ١٠ بانزر الى خط انفيدافيل قد امرت بإنشائه حينما كنت في افريقيا واستمر آرنيم في تنفيذ هذه العملية .

وبالرغم من كل هزائمنا الفادحة لم ينجح ايزنهاور في تنفيذ غرضه الاستراتيجي الاساسي الذي كان هدفه عزل الجيش الأول الايطالي عن الجيش الخامس بانزر. لان ضربتـــه التي وجهها للجناح الايمن لم تكن على درجة كافية من القـوة علاوه على انه ألقى بنواته ضد مواقعنا القوية في التباب ودفع الثمن غالياً من دماء جنوده . وكان يمكنه تفادي كل هذا لو انه حشد قواته طبقاً للاحتياجات الاستراتيجية .

وهكذا فـكان عليه ان يلقي بالمجهـود الرئيسي في جنـوب غرب تونس بغرض عزل الجيش الايطالي عن الجيش الخامس بانزر على ان يتبـع هذا تدمير الجيش الاول الايطالي بالاشتراك مع مونتغمري . وبعد هذا كان يمكنـــه تحويل مجهوده نحو كوبري الفاهس أو مجاز الباب بغرض تدمير الجيش الخامس . وكل هذه المحاولات لاقتحام الجبال في الشمال لم تفد الامريكيين بشيء .

وكانت مواقع أنفيدافيل غير محتلة بقوة : وكانت مشاة ومدفعيـة الجيش الاول الايطالي غير صالحة للدخول في عمليـــات . كما ان قواته الميـكانيكية استهلكت في القطاع الجنوبي المفتوح . وكانت الامدادات لافريقيا قد أصبحت في حكم المتوقفة وعلم كل فرد ما عدا قيادتنا العليا ان النهاية أصبحت قريبة .

واثناء وجودي في المستشفى في سمرينـــج ، تم البدء في سحب القوات بدون الوصول الى أي نتيجة . ثم طالبت بأن نقوم على الاقل بسحب الرجال الذين لا يمكن تعويضهم مثل جاوزي وبايرلاين وبلوفيوس ، ولكن لم يتم أحد شيء من هذا (ولكن فيما بعد نجا الجنرال جاوزي على يدي فـون آرنيم الذي

ارسله لحضور مؤتمر في ايطاليا ، وكان بايرلاين مريضاً وارسل الى ايطاليا بطريق الجو ، ووقع الجنرال بلوفيوس في أيدي الاعداء) .

الامريكان يوجهون الضربة القاضية لقوات المحور في افريقيا

واخيراً وفي يوم ٦ ايار تقدم الامريكيون لتوجيه الضربة القاضية في مجاز الباب . وتحت ستر غلالة زاحفة من نيران المدفعية وهجمات جوية عنيفة من قاذفات الحلفاء اخترقوا خطوطنا بسرعة وبعمق وحولوا العملية الى اختراق كامل بعد ان ابادوا الفرقة ١٥ بانزر بالكامل على وجهة التقريب .

وانهارت الجبهة ولم يعد هناك أي أسلحة ولا ذخائر وانتهى الأمر . واستسلم الجيش .

ونتج عن هذا انهيار مريع في الروح المعنوية في مقر قيادة الفوهرر . لأن هذه النهاية جاءت مفاجأة مذهلة للقوم هناك . وقد يظهر هذا غير مفهوم إن لم ندرك أنه يوجد أفراد معينين في أعلى المستويات كانوا يتصارعون على السلطة على حساب القوات المقاتلة . وجورنج كان مشغولاً في ذلك الوقت فقد كان يحاول التغلب على نفوذ الجيش .

وكانت فرق سلاحه الجوي البرية مجرد بداية . وأغلب الظن أنه كان يرغب في اطلاق العنان لخطته بنصر عسكري يعود الفضل فيه للسلاح الجوي الالماني واختار أفريقيا كمكان مناسب لهذا النصر لظنة أن الانتصارات يمكن الحصول عليها هناك بسهولة نسبية . وحيث أنه لم يكن لديه أي خبرة عسكرية على وجه التقريب فيبدو أن الامر ظهر له بسيطاً ، بساطة مخيفة .

ولا يمكن ان ننفي ان جورنج كان يتمتع بقدرة كبيرة على التنظيم وان ذكاءه كان فوق المتوسط ، ولكنه كان يهتم بترفيه نفسه اكثر من اللازم بحيث لم يستطيع وضع كل طاقته ليخدم بها تنفيذ خططه .

ومن المؤلم ان جورنج كان له ضلعاً في كارثة ستالينغراد ، فقد قيل لي انه عندما قرر هتلر ان يصدر اوامره بالانسحاب قتالاً نحو الغرب لقائد الجيش السادس قال له جورنج : —

« ولكنك لن تضعف يا سيدي الفوهر بكل تأكيد ! سنقوم بامـــداد ستالينغراد من الجو » .

وكانت صدمة لي أن أعرف أن كل جنودي قـــد ذهبوا الى معسكرات الأسرى الأنجلو-أمريكية ولكن الصدمة الكبرى هي أنني علمت أن ما قمنا به كان مضغة في الأفواه وهذا سيؤدي في المستقبل إلى عدم قدرة قيادتنا على مواجهة الأمور . وفي اللحظة التي وضع فيها أول جندي من جنود الحلفاء قـــدمه على الأرض الإيطالية انتهى موسوليني ، وانتهى معه حلم إحياء الامبراطوريـــة الرومانية إلى الأبد .

القسم السادس

الحرب في اوروبا

الفصل الأول

ايطاليا عام ١٩٤٣

بقلم مانفريد روميل

روميل يرى قيادة هتلر السياسية والعسكرية عن كثب

في منتصف شهر آذار عام ١٩٤٣ كنت أقف في المطار الكبير الواقع خارج فينرنيو شتادت مباشرة منتظراً والدي الذي أعلمني بوصوله ببرقية من مقر قيادة الفوهرر .

وأخيراً نزلت القاذفة ذات المحركين من طراز هينكل (المطلية باللونين الأصفر والأخضر للتمويه) على ممر النزول الرمادي . ورأيت ان بابها كان في أسفل جسم الطائرة ، وقد نزل والدي ببطء على السلم المصنوع من الألومنيوم .

وقال لي وهو يصافحني : « لن يسمح لي الفوهرر بالعودة الى افريقيا مرة أخرى ، لأن فون آرنيم سيتسلم قيادة مجموعة الجيوش هناك » .

وبعده بيوم أو اثنين غادر والدي فينرنيو شتادت مع والدتي لتستكمل العلاج الذي توقف عند بداية معركة العلمين ، وبقيت أنا في المنزل لأتابع دراستي وكنت أزور والدي بالقطار في عطلات نهاية الأسبوع .

وكنت في هذا الوقت أبلغ ١٤ عاماً ولم أكن بطبيعة الحال قادراً على حفظ كل ما قاله والدي خلال هذه الأسابيع . ولكن بعض أحداث هذه الفترة كانت من الأهمية بحيث أنها لا تزال عالقة بذاكرتي .

واني ما زلت أذكر جيداً شدة ذهولي عندما قال لي والدي أنه « أصبح غير

مرضي عنه ، وانه لن يتوقع أية وظيفة هامة في الوقت الحاضر » . وفي الواقع لم تكن صلته بمقر قيادة الفوهرر أثناء هذه الفترة جيدة بحال من الأحوال . ولم يتلقى أي معلومات غير الذي يقرأه في الصحف ويسمعه من الاذاعة ، لذلــك شغل نفسه بكتابة ذكرياته في افريقيا .

وخلال الفترة التي دات فيها المعركة حول خط ماريث ودفاعات العكاريت كان والدي يذرع غرفة مكتبه الكبير التي خصصتها له ادارة المستشفى في كثير من القلق لأنه لم يكن لديه أدنى شك في نتيجة المعركة . وكان انتقاده للقيـادة العليا مريراً (لكنه لم يقصد هتلر نفسه بهذا النقد) ، وقد أصغيت لكلامه هذا بشيء من المضض ، لأنني كنت في ذلك الوقت عضواً متحمساً في الشبيبة الهتلرية وقبل دخول الفرق الألمانية والايطالية في افريقيا لمعسكرات الأسر التابعــة للحلفاء بأيام قليلة ، تلقى والدي فجأة مكالمة تليفونيــة من مقر قيادة الفوهرر تأمره بالتوجه لمقابلة هتلر .

وفي هذا اليوم بدأت مرحلة جديدة في حيــاة والدي العسكرية ، وهي مرحلة استطاع فيها ان يرى قيادة هتلر السياسية عن قرب ، وقد اكتسب خبرة أدت به في النهاية لتمرده على النظام النازي،ولسوء الحظ لم يدون أي مذكرات عن الفترة بين ١٠ ايار ١٩٤٣ الى اليوم الذي صدرت له الأوامر للقيام بالتفتيش على حائط الأطلنطي .اما الوثائــق الوحيدة الموجودةفهي الخطابات الشخصية ومذكراته المكتوبة على شكل نقط مؤرخة من ٩ ايار الى ٦ ايلول ١٩٤٣ وفيها تسجيل موجز لاجتماعات عديدة. ومن كل هذه الوثائق، ومن ذكرياتي وذكريات والدتي يمكن تقديم الصورة على الشكل التالي لهذه الفترة .

ففي ١٠ ايار ١٩٤٣ كانت الأزمة قد اشتدت علىجميع الجبهات . فقــد تم تدمير الجيش السادس بكامل قوتــه (٢٣٠,٠٠٠ جندي ألماني) في خرائب ستالينغراد وقد قتل ١٤٠,٠٠٠ منهم وأسر البــاقي وكان ٩٠,٠٠٠ . وكانت كارثة مشابهة على وشك الوقـوع في تونس لجيش آخر قوته ١٢٠,٠٠٠ جندي ألماني .

وكان الموقف على هذا الشكل عند وصول والدي الى مطار تمبلهوف بعــد ظهر يوم ١٠ ايام . وقد أخذوه على الفــور الى مقر قيادة الفوهرر حيث قابل هتلر الذي كان شاحباً وقلقاً وقد فقد ثقته بنفسه .

وقال الفوهرر : « كان يجب علي ان آخذ بكلامك، ولكن أظن أن الوقت

قد فات . وسينتهي كل شيء في تونس بعد وقت قليل» .وقدقال لنا والدي هذا الكلام فيما بعد .

وفي خلال أيام قليلة أعلنت الصحف والاذاعة نبأ استسلام مجموعة جيوش « افريقيا » وقد وجد والدي عزاء في أن جنوده « الافريقيين » أصبحوا أسرى حرب لدى الحلفاء الغربيين ، بينما ضحى هتلر بمئات من الجنود الألمان أثناء الحرب في الجبهة الشرقية دون سبب ، ولكن الخطابات التي أرسلها والدي لنا (بعد الاستسلام في تونس) توضح تأثره لشدة هذه الصدمة .

١٥ ايار ١٩٤٣

عزيزتي لو

تناولت عشائي هذا المساء مع زايتزلر (خليفة هالدر) ودار بيننا حديث ظريف . وآراؤنا تتفق في كل المجالات .

وقد علمت ان البريطانيين عاملوا آرنيم معاملة حسنة . ولذا فإني آمل ان يلاقي كل من بلوفيوس وشايدرر وكولبيك وباقي الرجال الشجعان مصيراً مريحاً.

١٨ ايار ١٩٤٣

عزيزتي لو

سيصل جاوزي اليوم . وأنا مسرور جداً لأن هذا يعني انتهاء هذه الوحدة غير المحتملة . وسينضم الينا في الغالب ضباط آخرون من هيئة أركان حربي القديمة ، وبعدها سيكون أمامي عمل كثير .

ومن ناحيتي الصحية فاني في حالة جيدة جداً . ولكن الوحدة والمراحل الأخيرة في تونس قد خلفت جرحاً مؤلماً . ولكنها ستمر هي الأخرى بسلام .

٢٤ ايار ١٩٤٣

عزيزتي لو

وصلت هنا بالأمس في أمان وسرعة . ووصل جاوزي بعدنا بدقيقتين من الجبهة المقابلة . والآن سنبدأ العمل ، وكما هو الحال دائماً وفي كل مجالات الحياة فلدينا عقبات كثيرة يجب التغلب عليها . ولكني آمل بكل ثقة ان ننجح في مهمتنا . وأنا مسرور الآن لانهماكي في عمل يجب انجازه . والمرء ينسى همومه السابقة عندما يجد العمل الذي يناسبه .

وقد كان الوقت القصير الذي قضيناه معاً رائعاً . أرجو ان تحاولي اسعاد

مانفريد في الوقت الذي يقضيه في المنزل . وأنا لم أتعود بعد أن هذا الغلام ذا الأربعة عشر عاماً ونصف العام سيكون في الثكنات بعد مدة وجيزة. وسيكون الفراق صعباً عليك بالطبع .

رومل يؤمن بقيمة الشعب الالماني

وعندما كتب والدي « آمل وكلي ثقة بأننا سننجح في مهمتنا » كان يقصد على الأغلب الحرب ككل حيث أنه لم تكن لديه في هذا الوقت مهمة يعنيها . ولكن يجب ألا نسيء فهم كلامه ونعتقد أنه كان لا يزال يظن في مقدرة ألمانيا على تحقيق نصر شامل . ولكن نعتبر أنه كان يظن أن قيمة الشعب الألماني العسكرية ستكفي لاكراه أعدائه على قبول صلح بشروط معقولة .

وقد قام والدي بإبلاغ هتلر بآراءه هذه ولكنه أدرك بعدها أن رأي الزعيم الأعلى بخصوص مسؤولياته تجاه الشعب الألماني مختلفة تماماً عن الرأي الذي كان والدي يظن أن هتلر يؤمن به . وقد أثرت فيه مناقشتان بالذات مع هتلر خلال عام ١٩٤٣ . وقد تحدث مع والدتي ومعي عنهما ، الأولى حدثت بعد حديث طويل مع هتلر بشأن القوة المادية للبريطانيين والأمريكيين وقد دارت في وقت كان هتلر فيه قلقاً للغاية لموقف ايطاليا والتي ظهرت فيه كما لو كانت على وشك الانهيار في لحظة . وشعر والدي أن هذه فرصة لكي يعطي لهتلر فكرة عن آرائه بخصوص الموقف العسكري العام .

وأوضح له أن البلاغات الخاصة قد أصبحت قليلة للغاية ، واننا نخسر أكثر من ثلاثين غواصة كل شهر . وأصبح من المنتظر عدم الاستمرار على هذا الأساس لمدة طويلة . وكانت الأمور سيئة للغاية في الشرق وفي ايطاليا . وتبعاً للتعبئة العامة للعمال التي جرت في ١٩٤٣ فألمانيا يمكنها انتاج أسلحة وذخائر اكثر . ولكن والدي تساءل : « ولكن هل سيمكننا مواجهة العالم بأسره؟ » واستمع هتلر لكل هذا وعيناه في الأرض (كما قال والدي) . وفجأة رفع رأسه وقال أنه هو أيضاً كان يدرك أن الفرصة الباقية لكسب الحرب قد أصبحت ضئيلة جداً . ولكن الغرب لن يقبل في عقد أي صلح معه ، وقطعاً لن يقبل المسيطرون على الأمور هنا بالصلح في الوقت الحاضر ، ولكن هناك بعض الأفراد مستعدون للتفاوض معنا . ولكنهم ليسوا على درجة من القوة تسمح لهم بفرض

آرائهم ، ثم قال أنه لم يرغب مطلقـــاً في استمرار الحرب ضد الغرب . ولكن الغرب سينال ما أراده : « حرباً حتى النهاية » .

وقد قالت لي والدتي بأن والدي أخبرها بعد ذلك بأنه يظن أن هتلر أدرك في ١٩٤٣ أننا خسرنا الحرب . ومع هذا فكلما وقعت كارثة وزاد النقد الموجه اليه هو شخصياً كلما أمسك بيأس بأي شيء ، وحاول ان يقنع نفسه بالنصر .

هتلر يظهر الجانب الشيطاني من شخصيته

وبينما كانت الجبهات تنهار وبينما كان الألوف من الجنود الألمـان يذهبون الى قبورهم وبينما كانت ألسنة النيران المتخلفة عن مرور تشكيلات القاذفات المعادية الضخمة تغطي ألمانيا ، ملأ هتلر نفسه بكراهية عاجزة أصبحت جزءاً من نفسيته ممـا أدى لظهور الجانب الشيطاني من شخصيته وهو الجانب الذي ظل مختفيـاً طوال أيام نجاحه .

وقد حدث هذا التغير خلال أشهر قليلة . وقال والدي لوالدتي أنـه سمع في ليلة من ليالي ١٩٤٣ حديثاً لهتلر بخصوص نهاية الحرب ووجده لا يقـل خطورة عما قاله قبل ذلك .

فقد قال هتلر :

« إذا كان الشعب الألماني عاجزاً عن كسب الحرب ، فليذهب الى الجحيم » وعلى أي حال فأفضل وأكفأ الناس أصبحوا في عداد الموتى . ولو أنـه تعرض للهزيمة فسيقاتـل من منزل الى منزل بحيث لا يبقى شيئاً . ويجب عـلى الشعب العظيم ان يموت ميتة بطولية : وهذه ضرورة تاريخية » .

وعلق والدي على هذا عندما تحدث عن هذه الواقعة بقوله : « أحياناً نشعر بأنه لم يعد في حالته الطبيعية » .

وحيث ان والدي نشأ على التقاليد العسكرية الأوروبية القديمة للضباط لذلك كان مشبعاً بمبدأ الطاعة العمياء . ويمكن ملاحظة موقفه من خطاب كتبه لي في عيد الميلاد في عام ١٩٤٣ .

٢٥ كانون الاول ١٩٤٣

عزيزي مانفريد

... بعـد أسبوعين ستغادر المنزل لتلتحق في وحدة من وحـدات السلاح

الجوي الاحتياطي ، وستبدأ بالنسبة لك حياة جديدة.. ويجب أن تتعلم إطاعة الأوامر الصادرة من قادتك بسرعة ودون مناقشة . وكثيراً ما ستصدر اليك أوامر لن ترضى عنها ولن تفهم المغزى منها . فعليك الطاعة دون جدال . ولا يمكن للقائد أن يبدأ في شرح أسباب أوامره لمرؤوسيه لأنه لا يوجد وقت لمثل هذه الأمور .

وكان والدي يدرك أن هناك حدوداً للطاعة حتى بالنسبة للقائد الكبير . وكان في ذلك الوقت في صراع نفسي بين موضوعين :

الموضول الاول : كانت أوامر هتلر تدل على أنه رجل يريد أن يجر معه كل شعبه الى أعماق الكارثة ، والموضوع الثاني : أنه كان يوجد ثمانون مليوناً ألمانياً يقاتلون للبقاء لا ليضحي بهم دون معنى ومغزى تحت أنقاض منازلهم المحترقة . ولكن في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٤٣ شعر والدي باقتراب الوقت الذي يجب أن يختار فيه بين الموضوعين .

وقد سئلنا كثيراً عن الوقت الذي قرر فيه والدي عرقلة خطة هتلر لجر ألمانيا معه الى هاوية الدمار . وربما وجدنا بعض الدلائل لذلك في حديث لي معه في كانون الاول ١٩٤٣ . وأنا أذكر هذا الحديث بوضوح لأنه كان يتعلق بي شخصياً .

وكانت هناك في ذلك الوقت حملة دعائية كبيرة في ألمانيا كلها لحث الشبيبة على الالتحاق بفرق العاصفة التابعة للسلاح الجوي لا للجيش . وكانت اللوحات ذات الألوان الزاهية تملأ الشوارع.وكان الجميع يعرفون ان تسليح قوات العاصفة أحسن من قوات الجيش وأن ملابسها أكثر أناقة . وعليه ففي أحد الأيام قررت الانضمام لقوات العاصفة الجوية وأعلمت والدي للحصول على موافقته ، وكانت ردة الفعل لديه عنيفة ، فقد قال : « هذا موضوع مستحيل . وستلتحق بنفس السلاح الذي خدمت أنا في صفوفه أكثر من ثلاثين عاماً » .

ولاء رومل يتحطم عند هتلر

وكان والدي عادة في مثل هذه الأمور يترك لي مجالاً كبيراً من الحرية ولذلك

بدأت ابين له وجهة نظري . ولكنه في هذه المرة قاطعني قائلا أنــه بالرغم من إدراكه لقيمة قوات العاصفة إلا أنه لا يريد تحت أي ظروف أن أخدم تحت قيادة رجل يقوم بأعمال قتل بالجملة حسب ما هو يعلمه عنه وسألته :

– هل تعني هملر ؟

وأجابني بالايجاب ، وطلب مني ألا أتكلم في هذا الموضوع معه إطلاقــاً . وكان سير الحرب سيئاً بالنسبة لنا ، وقد سمع أن الأفراد من أمثال هملر يريدون من وراء هذه الاعمال إحراق كل ما يوجد خلف الشعب الألمـــاني ليجبروه على القتال حتى النهاية . وأعتقد ان والدي لم يتأكد من معرفة هتلر بهذه الامور لأنه لم يسمع في مقر قيادة الفوهرر عن عمليات القتل بالجملة ، وأعتقــد ان والدي لم يتخذ قراره بانهاء الحرب (ولو بالقيام بالثورة) إلا بعد ان تلقى معلومات أوفى وأدق في الاشهر الاولى من عام١٩٤٤ تؤكد حدوث هذه الجرائم وتعطي فكرة عن مداها . ومنذ هذه اللحظة تحطم كل ولاء والدي لهتلر الذي كان في يوم من الايام من أشد المعجبين بــــه ، واجبر نفسه بعد علمه بجرائم الفوهرر على العمل ضده .

وقبل هذه التطورات في المجال السياسي حدثت أمـــور عسكرية مهمة في ايطاليا ، واستطاع والدي مشاهدة هـــذه الاحداث عن كثب في عام ١٩٤٣ بالرغم من عدم قيامه بدور هام فيها .

في ليلة ٩ تموز شنت قوات الحلفاء هجومها البرمائي على صقلية . ولم يقــاوم الايطاليون هذا الهجوم مقاومة جدية بالرغم من وجود حوالي٣٠٠,٠٠٠ مقاتل و ١٥٠٠ مدفع ايطالي في الجزيرة ولذلك وقع عبء القتال منـــذ البداية على الفرقتين الالمانيتين الموجودتين في صقلية (وقد زيدت فيما بعد الى اربعة) . وفي نفس الوقت نشب الصراع على المسألة القديمة الخاصة بالسيطرة على القيادة بـــين الجيش والسلاح الجوي الالماني . وتبين أول السطور في مذكرات والدي موقفه من هذه المسألة .

١٥ تموز ١٩٤٣

... وفي المساء عقد مؤتمر مع الفوهرر لتقدير الموقف. سيتولى الجنرال هوبه القيادة في صقلية .

١٦ تموز ١٩٤٣

... في منتصف اليوم عقد اجتماع لتقدير الموقف. غورنغ يريد تعيين الجنرال شتاهل للقيادة العامة بدلاً من هوبه . ولكنني حملت الموجودين على الموافقة على هوبه واقترحت أن يعمل الجنرال بايرلاين كرئيس للأركان . ووافق الفوهرر . الخسائر ضخمة في الدبابات الروسية في الميدان الشرقي . وقد أمكن ايقاف الاختراق في بربانسك . حاولت الاتصال تليفونياً بالجنرال بايرلاين ولكنني لم أستطع العثور عليه .

وفي المساء عقد اجتماع لتقدير الموقف مع هتلر. صدرت الاوامر لهوبه بالهجوم نجح ٣٠٠ رجل فقط من قوات المظلات (التي أرسلناها) في شق طريقها الى خطوطنا . وهذه هي مقدرة السلاح الجوي الالماني .

١٨ تموز ١٩٤٣

توجهنا الى الفوهرر عند الظهر . القيلد مارشال فون كلوجه موجود. الروس يهاجمون من الشرق على طول الجبهة . أوقفنا الهجمات حتى الآن . ولا توجد أي فرصة لسحب أي فرق من هناك . وقد سمعت أن الفوهرر قد تلقى نصيحة بألا يسند اليّ القيادة في ايطاليا لأن مشاعري غير طيبة تجاه الايطاليين ، وأظن أن السلاح الجوي الالماني يقف خلف هذا الموضوع . وبذا أوقف نقلي الى ايطاليا مرة أخرى . وأغلب الظن أن الفوهرر سيقابل الدوتشي .

وقبل ذلك بوقت قصير عثر على وثيقة مع جثة مبعوث بريطاني ألقاها البحر على شاطىء أسبانيا وتبين أن هناك فكرة بالهجوم على اليونان وقرر هتلر تعيين والذي قائداً عاماً في الجنوب الشرقي بحيث تشمل قيادته كل القوات الالمانية والايطالية في هذا المسرح . ولكن بعدها بأربع وعشرين ساعة فقط طرأ تحول في الموقف تطلب استدعاء والدي على الفور . وتبين المذكرة التالية (المكتوبة على شكل نقط) القصة الكاملة لموضوع البلقان ..

٢٣ تموز ١٩٤٣

... مناقشات طويلة مع الفوهرر . وقد أمرني بأن أعود فوراً ومعي كل التفاصيل عن الموقف في اليونان . وكانت القوات هناك تشمل (بجانب الجيش الايطالي الحادي عشر) فرقة مدرعة ألمانية واحدة (الفرقة ١ بانزر) ، وثلاث فرق مشاة .

الانقلاب في ايطاليا وسقوط الدوتشي

٢٥ تموز ١٩٤٣

غادرت وينر نيوشتادت بطريق الجو ووصلت الى سالونيكا . حرارة الجو شديدة .

مؤتمر مع الكولونيل جنرال لوهر . وقد لخص لوهر الموقف بأنه يعتمد كلية على الامدادات ، ويبدو لي أن هناك عملاً كثيراً قبل أن أقرر أن اليونان أصبحت حصناً . وسأطير غداً للتفتيش قبل استلام القيادة لاستطلاع الارض . والجنرال جاوزي ليس متفائلاً بالنسبة للموقف هنا .

اتصل الجنرال واريليمونت تليفونياً وقال أن الجيش الحادي عشر الايطالي سيكون تحت قيادتي . ولكنني قررت أيضاً أن تكون الفرق الالمانية تحت قيادتي المباشرة مع انشاء قيادة للفيلق الألماني ، بدلاً من تنفيذ الاقتراح الذي سمعته في مقر قيادة الفوهرر بوضعها تحت القيادة الايطالية . وقد سمعت خبراً من القيادة العليا للقوات المسلحة قلب كل شيء ، وهو أن الدوتشي معتقل . واستدعيت على الفور الى مقر قيادة الفوهرر . وكان الموقف في ايطاليا غامضاً.

وكما يظهر من هذه المذكرات كان وقوع الانقلاب في ايطاليا مفاجئا لهتلر . وهاجت الأمور في قيادة الفوهرر . وكان الموقف لا يزال غامضاً وأخذ الجميع في انتظار الأخبار بلهفة . وتلقى والدي أوامر بحشد القوات في الألب استعداداً لدخول ايطاليا . ويظهر ذلك في السطور التي كتبها والدي في هذه الأيام .

٢٦ تموز ١٩٤٣

وصلت الى راستنبورغ وذهبت على الفور الى « وكر الذئب » (وهو اسم مقر قيادة هتلر) . اجتمعنا لتقدير الموقف مع الفوهرر . كل الشخصيات الهامة في قيادة الأسلحة الثلاث والدولة والحزب كانت هناك مثل كبير أمراء البحار دونيتز ، ووزير الخارجية ريبنتروب ، هملر ، غوبلز وغيرهم . وكان الفيلد مارشال فون كلوجيه موجوداً ليقدم تقريره عن الجبهة الشرقية . لم يعلن بعد عن الاختراق في أوربل . الامريكيون احتلوا الجزء الغربي من صقلية واخترقوا جبهتنا .

الموقف في ايطاليا لا يزال غامضاً . ولا نعرف بعد أي شيء عن ظروف

سقوط موسوليني . المارشال بادوجليو تولى رئاسة الوزارة بناء على طلب الملك وبالرغم من بيان الملك وبادوجليو فإننا نتوقع خروج ايطاليا من الحرب أو على الأقل قيام البريطانيون بعمليات إنزال كبيرة في شمال إيطاليا .

وبعد المؤتمر تناولت الغذاء مـع الفوهرر . ونحن في انتظار الوزير الايطالي فاريناتشي الذي نجح في الهرب والوصول الينا . وفي روما يبـدو أن الامور وصلت الى حد استخدام العنف ضد أعضاء وممتلكات الحزب الفاشستي رغماً عن عدم حدوث أي شيء فيما عدا احتكاكات ضئيلة بين الالمان والايطاليين ويقول لنا فاريناتشي أن ايطاليا ستعرض الهدنة خلال أسبوع أو عشرة أيام ، وربما نزل البريطانيون عندئذ في جنوه وليجهورن . ولا يزال الاتصال قائماً مع قواتنا وأرجو أن يرسلوني الى ايطاليا بسرعة .

وفي المساء تحادثت مع جودريان .

٢٧ تموز ١٩٤٣

اجتماع لتقدير الموقف مع الفوهرر . سيتسلم الفيلد مارشال فون ويش القيادة في اليونان . وبما أن الايطاليين لديهم جيشان وموجودان حالياً في الشمال ، فعلى التأكيد سوف ينقلبوا علينا ، ومن المستحيل أيضاً دخول ايطاليا بالقوة لأسباب سياسية . ولهذا يجب علينا الاستعداد مع الاشراف على عمليات الحشد الألمانية.

٢٨ تموز ١٩٤٣

كلفت باجراء الاستعداد لدخول ايطاليا وذلك بناء على المناقشات التي تمت مع الفوهرر على ألا يسمح لي في الوقت الحاضر بعبور الحدود القديمة التي كانت قائمة في ١٩٣٨ .. أخيراً وصلتنا معلومات عن حقيقة الموقف في ايطاليا ، فقد أعلن مجلس الفاشيست الأعلى معارضته لتصرفات موسوليني ، وكان الأخير قد دعاه للاجتماع لاجراء التصويت ، وقد صوت ١٨ ضده و ٨ معه وامتنع ٢ . ثم قيل أن موسوليني ذهب لمقابلة الملك ولكنه اعتقـل في الطريق بواسطة بعض الضباط . ويبدو أن بادوجليو كلف بتشكيل الوزارة الجديدة . ويقال أن هناك مطاردة عنيفة للفاشستيين بناء على أوامر بادوجليو .

حضر الجنرال فوبرشتاين والعقيد زيجل للانضمام الى الاجتماع . وفوبرشتاين يقود مجموعة القتال المكلفة بفتح ممر برنير في حالة حدوث متاعب .

وفي اليوم التالي عقـد مؤتمر بين والدي والجنرال فوبرشتاين ، وهو رجل

قوي البنيان أسود الشارب ، وكان الجميع يعتبرونه من أكفأ الاخصائيين في الحرب الجبلية وكان معهم هوفر محافظ البترول ، وقد سجل في محضر الاجتماع المواضيع التكتيكية الأساسية التي كانت تواجهها القيادة العليا الالمانية في هذا الحين .

هوفر : هذا ما أطلب منكم القيام به . فاليوم تستطيعون عبور ممر برنير إلى إيطاليا ، أما غداً فستضطرون لشق طريقكم قتالا ولو حدث هذا فستحدث عمليات نسف لخط السكة الحديد مما سيؤدي إلى تعطيله لمدة ستة أشهر :

فوبرشتاين : يريد المحافظ أن يرى الأمور وهي تجري بسرعة .

هوفر : نعم لأن الخط كله معد للتدمير والإسراع بالاندفاع مهم وليس المهم عدد قواتكم .

رومل : لقد احتفظت القيادة العليا لنفسها بحق إصدار هذا القرار .

هوفر : كان يجب عليكم ألا تحشدوا أي قوات على الحدود إلا إذا كنتم مستعدين للتقدم على الفور فقد لاحظ الإيطاليون كل هذا... ولو تدخلنا فيجب أن نتدخل بقوة والوقت الآن ملائم للغاية ، لأنه بعد يومين لن نتمكن من عمل أي شيء بسرعة لأنهم سيقومون بنسف الطريق واحتلال منات الدشم . وقد احتل الايطاليون منذ اليوم خطهم الثاني والثالث . وظلوا يعملون أعواماً في «حائط ليتوريو الألب» .

رومل : أنا أعرف كل هذا ، واليوم خير من غد ولكن يجب أن ننتظر لأنها ضرورة سياسية .

هوفر : أيها الفيلد مارشال أنا لا أطلب منك هذا لأنني مستهتر أو هاو ولكنني أظن أنكم لن تستطيعوا عبور ممر برنير إلا بالقوة . وأنا أتوسل اليك أن تتحرك .

رومل : يجب أن أنتظر أوامر الفوهرر . وأنا لا أستطيع اتخاذ أي قرار متهور .

رومل يوجه الكلام لفوبرشتاين بعد ذهاب هوفر :
أتعرف ما الذي أظنه سيحدث ؟ أعتقد أن تشرشل سيرفض عروض

الحكومة الإيطالية وانها ستضطر لطلب الصلح لتحاول إصلاح الأمور والموقف الداخلي في إيطاليا .

والخطابات التالية توضح أن والدي لم يعرف شيئـــاً في أول الأمر عن نوايا الحكومة الايطالية بالرغم من أنه كان يشك في أن بادوجليو يرغب في الحصول على صلح منفرد . وأكثر ما كان يخشاه هو تحرك الايطاليون فجأة بمساعـــدة قوات المظلات المتحالفة لأقفال الممرات والدفاع عنها حتى يحتل الحلفاء إيطاليا كلها . ولكي يتأكد من عدم تحقيق هذا الاحتمال أصدر في يوم ٢٣ تموز عـــام ١٩٤٣ أوامره للجنرال فوبر شتاين بعبور ممر برنير واحتلال الممرات المهددة أما هو شخصياً فلم يسمح له بالدخول الى الاراضي الايطاليـــة حسب تعليمات هتلر الشخصية .

٢٩ تموز ١٩٤٣

عزيزتي لو

أنا في ميونيخ الآن ومعي رئاستي لبضعة أيام . وهـذه الوظيفة أقرب إلى قلبي من قيادة الجنوب الشرقي ولكنها ليست أسهل . وأصبح من السهل معرفة ما يدور بخلد الإيطاليون بعد ذهاب موسوليني : ان في نيتهم الانضمام للجـانب الآخر بكل قواتهم . ولكن ليس من المؤكد أن يجـــدوا طريقهم إلى هناك . فالرجال الجدد لن يجدوا الأمر سهـلاً في الغالب . وستعم الفوضى أول الأمر . وفي الشرق يبدو أن الهجوم الروسي يضعف تدريجياً فيما عدا المنطقة المحيطـــة بأوريل حيث لا يزال القتال عنيفاً .

البابا يميل الى الالمان عن الحلفاء :

٣٠ تموز ١٩٤٣

عزيزتي لو

يبدو أن الموقف في الجنوب قد بـــدأ في الوضوح والاستقرار . وليس من المستحيل أن تستمر الحكومة الايطالية في القتال في جانبنا . وصحيح أن العناصر المعادية للفاشستية قد قوي ساعدها للغاية إلا ان البابا نفسه يريد الاتجاه

ناحيتنا .. اننا في نظره أهون الشرين . ولم أحصل بعد على اذن بالدخول .

٣ آب ١٩٤٣

لا أستطيع ترك عملي في الوقت الحاضر ، وفي الغالب لن أحضر في القريب العاجل لأن العمل في الوظيفة الجديدة قد بدأ والقوات تتحرك في الوقت الحاضر. وأنا شخصياً غير مسموح لي بالدخول الى إيطاليـــا ولا حتى عبور حدود عام ١٩٣٨ . والموقف ليس حسناً ولكن يجب أن أقبله على علاته .

وعلى أي حال فسوف يذهب كسلرينج للقتال في إيطاليا إن آجلاً أو عاجلاً. وقد كانت الأمور حرجة في الأيام الاخيرة الماضية وذلك بالرغم من أننا نجحنا في إرسال فرقة مدعمة عبر الحدود إلى التيرول في الجنوب وذلـــك بالرغم من الاحتجاجات الايطالية .

وأرجو الآن ان يصمدوا في مواقعهم ويساعدونا في الدفاع عن بلادهم . فانها ستكون مسرحاً للعمليات على أي حال وهذا لا يمكن تغيـيره . وانني أتساءل لماذا بدأوا الحرب بتسليحهم الضعيف ؟ والأفضل لنا أن نخوض غمار الحرب في إيطاليا على أن نقاتل هنا في بلادنا .

وقد قابلت شيرنر بالأمس في ميتانولد اثناء اجتماعنا هنا في المؤتمر . وهـــذا العجوز الملقب بـ « رعب الممر القطبي » لا يزال بخير وهو بدين ومليء بالحياة ويتكلم دون توقف . وفي ٣١ تموز استمرت العمليات في شمال ايطاليـا وانعقد مؤتمر آخر بين والدي وفوبر شتاين ومحضره يعطينا دلائل قوية على موقف القوات الإيطالية من القوات الالمانية المتقدمة .

فوبر شتاين : ان دخول قواتنا يجري في هدوء. وقد ساعدنا المحافظ الايطالي في بولزانو . ولكن لا يمكن أن نثق تماماً بهؤلاء الإيطاليين ويجب أن نستمر في احتلالا ممر برنير .

رومل : بالضبط – ولكن يجب أن نهتم بالدفاع الجوي والدفـــاع ضد التخريب .

فوبر شتاين : الثكنات الايطالية مزدحمة بالجنود ويستطيعون حشد فيلق بأسره وشعورهم تجاه الضباط الألمان أحسن من شعورهم تجاه ضباطهم . أما الضباط الأصاغر فلا فائدة ترجى من ورائهم .

روملز : ذلك يرجع لعدم فهمهم لجنودهم .

فوبر شتاين : بالمناسبة لم نجد أي تحضيرات أو معدات للنسف ولم نجد أي ألغام .

روملز : ... وهل سيظل موقف الايطاليين هكذا ؟

فوبر شتاين : ربما تحول في أي لحظة بأوامر من روما .

روملز : هذا شيء يجب ان نحمي انفسنا منه .

فوبر شتاين : لقد اقمنا مكتباً للمخابرات الألمانية لمراقبة تحركات القوات الايطالية في الشمال . وجزء من الفرق الجبلية في طريقها الآن إلى ميلانو ويقال ان ذخيرتهم وزعت بحيث كان نصيب الفرد عشر طلقات وذلك يرجع للعجز في الذخيرة لديهم .

روملز : هذا جائز لأن مصانعهم لم تعمل بطريقة صحيحة ابداً .

فوبر شتاين : لقد لاقينا مصاعب جمة من دبابات « النمر » على الطريق الاسمنت . وقد فقدنا اثنتين واحترقت واحدة وانقلبت اخرى ولقد طالبت بورش ومخازن ووقود ، والمخازن كلها ملأى ولكن يجب على المشرفين عليها استئذان روما اولا .

روملز : نفس التكتيكات والطرق التعطيلية القديمة . وهم لا يقررون شيئاً ابداً . وكيف يجري عبور ممر برنير ؟

فوبر شتاين : فتحنا الحواجز ولم نقفلها مرة أخرى بعد . ونحن لا نستخدم تصاريح المرور . والعبور يجري هناك بانتظام .

وبعد ان سمحت القوات الايطالية بمرور القوات الالمانيـــة مع احتجاجا ، ساءت العلاقات الإيطالية الألمانية في الأيام التالية ولكن الموقف عاد وتحسن مرة ثانية . وكان السؤال الذي يدور بخاطر جميـــع من في الجنوب هو : « هـــل سيقاتلون الى جانبنا ؟ »

وكان من المستحيل معرفة نوايا الايطاليين . وعندمـــا سيطر الألمان على كل الممرات على حدود إيطاليا توقف التقـــدم . وكان والدي لا يزال يشعر (على العكس من كل السلطات الألمانيـــة في روما) أن المفاوضات الإيطالية مـــع

البريطانيين والأمريكيين قد تعثرت وأن هذا هو السبب الوحيد في عدم مقاطعتهم لنا نهائياً . وزالت حدة التوتر تدريجياً. وفي وقت قصير كانت القوات الإيطالية والالمانية تلعبـــان كرة القدم سويا . وفي نفس الوقت ارتفت درجة الحرارة السياسية لحد الغليان ولكن دون أن يعرف الجنود والضبـــاط الموجودون في ايطاليا شيئاً . ولنقرأ مذكرات وخطابات والدي لنعرف ما كتبه عن الموقف كما كانت تراه رئاسة مجموعة جيوش «ب» .

٢ آب ١٩٤٣

يقول الجنرال فوبر شتاين أنه قد حدث بالأمس تطور محرج في الموقف في ممر برنير وذلك عندما حاول الايطاليون ايقاف تقدم الفرقة ٤٤ مشاة . وقد أصدر الجنرال جلوريا أوامره بإطلاق النار لو حاولت الفرقة ٤٤ استئناف تقدمها .ولم تقم الوحدات الايطالية في ممر برنير بتنفيـذ الأمر واستمر تقدم الفرقة ٤٤ في نظام بينما انسحب الايطاليون نحو الجنوب .

وفي المساء قامت القوات الإيطالية بطوابير سير للدعاية . وفيما بعـــد خف التوتر مرة أخرى وأبلغت وحـدات الاستطلاع الجنرال فوبر شتاين عن وجود حشود قوية في المنطقة الممتدة من فيرنا إلى بولزانو عددها حوالى ٦٠٫٠٠٠ فرد.

٣ آب ١٩٤٣

الموقف بدأ في التحسن ٠ وحتى بلاغات الصحف تبين ان الايطـــاليين على استعداد للتعاون. وبدأت فرقة العاصفة «أدولف هتلر» في اجتياز ممر برنير منذ الساعة السادسة صباحاً .

٤ آب ١٩٤٣

وصل رئيس الشئون الإدارية الجنرال واجنر وأبقيته لتناول الغذاء وقـــد قال لنا أن الانتاج سيتضاعف كثيراً ابتداء من الخريف وأن هذا سيخرجنا من المحنة . وقال ان استهلاك الذخيرة في الشرق كبير إلى حد مذهل (ونرجو أن يكون الأمر كذلك بالنسبة للخسائر الروسية) .

وقد حضر القفل العام البارون فون نوبراث بعد الظهر . وأعلن أنه علم بنوايا الإيطاليين فهم يريدون الخروج من الحرب ، ويعرف أيضاً المفاوضات القائمة بين ايزنهاور وبادوجليو . كما قال أن البريطانيين يريدون النزول في تريستا وجنوا .

وأثناء المفاوضات مع ايزنهاور رفض طلب الإيطاليين بالسماح للقوات الالمانية بالانسحاب ، وأصر على استسلام كافة القوات الألمانية والايطالية دون قيد أو شرط ومعها كل عتادها الحربي . ولم يقبل بادوجليوا هذا ولكن تمت اتصالات جديدة عن طريق البحرية التي تتميز بميولها الإنجليزية .

ويقوم كل من الأمريكيين والبريطانيين بهذه المفاوضات بطريقة مستقلة حيث يحاول كل منهما فرض سيادته . وفي حالة قيام ثورة في ايطاليا واستسلامها يمكن توقع عمليات إنزال في تريستا وجنوا ولكن المجهود الأساسي سيكون في تريستا .

ومن الوثائق التي عثرنا عليها ضمن مذكرات والدي وثيقة تقول أن العقيد كريست من أركان حرب الفيلد مارشال فون ريشتهوفن قد قدم نفسه لرومل في ٥ آب ١٩٤٣ ، وقال ان مجموع القاذفات وهي حوالى ٣٤٠ قاذفة ، الصالح منها حوالى ١٢٠ قاذفة ، كما توجد ٨٠ مقاتلة في مسرح العمليات الايطالي ...

وقال ان رأي الفيلد مارشال فون ريشتهوفن عدم الثقة بالايطاليين ولو أن لديهم نوايا طيبة بخصوص الالمان في الوقت الحالي . وفي الواقع انهم انتهوا وذلك لعدم وجود أي عتاد لديهم . ومع هذا فيمكن الاستفادة بهم لو أدخلناهم في صفوف الوحدات الألمانية .

ويقول والدي أن هذا كان يتفق تماماً مع آرائه وانه لا يعرف من الذي أعطاه هذه الشهرة الخطيرة بأنه يكره الايطاليين . ومن ناحية الموقف السياسي للايطاليين قال العقيد كريست أنهم مبتهجون لخلاصهم من الفاشية ومستاءون لأن هتلر تفاوض على الدوام مع موسوليني وحده وليس مع الملك .

فساد الحزب الفاشستي :

٦ آب ٩٤٣

عزيزتي لو

الآن تتقدم مجموعة جيوشي ببطء . وأهم ما في الموضوع أن هناك تحركات

دائمة عبر الحدود الايطالية مما سينزع من العدو أي رغبة في عمليات كبيرة .

ويبدو أن الايطاليين يرغبون في مشاركتنا . وليس من المنتظر عـودة موسوليني . وقد كان الحزب فاسداً جداً مما أدى لانتهائه خلال ساعات . وقد سمعت أن موسوليني فشل في كل شيء عند النهـاية ويناسبنا بالطبع في الوقت الحالي وجود رجل واحد كبير لإدارة الأمور في أوروبا .

٧ آب ١٩٤٣

قام الايطاليون بالأمس باستخدام المؤتمر المنعقـد في تارفيزيو (بين أبرز شخصياتهم والقيادة العليا الألمانية) لكسب الوقت فقط . وفي هذه الأثنـاء حركوا عناصر من فرقتي ترنتينا وجوليا وجزءاً من فرقة جبلية الى أماكن مختلفة على ممر برنير .

٨ آب ١٩٤٣

وقد أرسلنا مجموعة استطلاع منقوات العاصفة نحو لاسيزيا ولكنها لم تستطع اجتيازه بسبب سدادات الطريق . والظاهر أن الايطاليين كانوا يريدون منع القوات الالمانية من احتلال القاعدة البحرية في لاسيزيا .

٩ آب ١٩٤٣

وصل الجنرال فون فاينتجهوف قادماً من عند الفوهرر وسيتولى قيـادة الفيلقين الموجودين عند جنوب ايطاليا . وينوي الفوهرر إخلاء جنوب ايطاليا. « ولن نشعر بالسعادة حتى ترجع الفرق الموجودة في جنوب ايطاليـا وصقلية لتحتل مواقعها جنوب روما » . وهو لا ينتظر إنزال بريطاني في جنوب ايطاليا بسبب وباء الملاريا . وهو لم يعد يثق بالوعود الايطالية .

ولن يكون التعـاون بين كسلرينج وفاينتجهوف سهلاً لأن فكرة كسلرينج تقضي بدفع أكبر عدد ممكن من القوات الالمانية نحو الجنوب بقدر الامكان . ومـا زال الفوهرر يمانع في السماح لي بدخول ايطاليا لأنه يتخيل أن هذا يعني اعلان الحرب عليها وذلك لأن الايطاليين ينقمون عليّ شخصياً « لأنني القـائد الوحيد الذي قادهم للنصر » . وينوي الفوهرر عـدم الدخول في أي مناقشة بخصوص الفاشية في ايطاليا الى وقت يحدده فيما بعد . وقد تحدثت مـع جودل وطالبتـه بإرسال مدافع ثقيلة مضادة للدبابات . وقد أبدت البحرية الايطالية بعض النشاط وهاجمت الميناء في جبل طارق .

وعندما وصل العميد استندورف ، وهو رئيس أركان الفيلق الثاني المدرع من قوات الصاعقة (الذي يقوده الجنرال هاوزر) ، زودته ببعض المعلومات عن الموقف وأخبرته برغبة الفوهرر في دخولنا لإيطاليا على أساس من التفاهم .

٩ آب ١٩٤٣

عزيزتي لو :

يجب أن نذهب الى مقر قيادة الفوهرر عن طريق الجو بعد يوم أو اثنين ولكن لمدة وجيزة . والموقف مع القوات الايطالية غير مطمئن على الإطلاق ، ولا يمكن الاعتماد عليهم لأنهم أمامنا يدّعون الإخلاص التام لدعم قضيتنا ، ومع هذا فإنهم يخلقون كل أنواع الصعاب ويتفاوضون من وراءنا مع العدو . ولسوء الحظ لا يمكنني دخول ايطاليا والتحدث الى هؤلاء المنافقين بصراحة . وقد كتب لي برندت وأمامه عمل كثير لإخلاء هامبورج وبرلين . ويبدو أن الخسائر في هامبورج كانت كبيرة للغاية . ويجب أن يزيد هذا من قوتنا وخشونتنا .

٩ آب ١٩٤٣

عزيزتي لو :

أرسل رواتا رسالة وقحة جداً الى الجنرال فوبرشتاين بخصوص موقفة من الايطاليين وان هذا ليس بالموقف المعتاد بين حلفاء . ويعتبر هذا الموقف قلب ايطالي آخر للحقائق . ويمكن الحد من كل هذا الاحتكاك على الفور لو أنهم أرسلوا فرقهم الى الجبهة الجنوبية . وفي ذلك الوقت نستطيع تحريك فرقنا جنوباً بدون أن نقلق على خطوط مواصلاتنا .

وطبقاً للتقارير الامريكية فإن الروس يميلون الى الدخول في مباحثات للصلح ، ولو صح هذا فإن ذلك يفتح لنا آفاقاً لم نكن نحلم بها .

١٠ آب ١٩٤٣

ما زال الايطاليون يعارضون احتلال القوات الالمانية لممرات الألب وهم يشعرون بعدم الثقة تجاهنا ولا يعترفون بأهمية خطوط المواصلات لنا . ونحن لا يمكننا أن نخاطر بأن نفاجأ في يوم بالقوات الانجليزية والاميركية أو الايطالية وقد أقفلت هذه الممرات . لذلك لا نستطيع التخلي عنها . وأنا متأكد أن قنبلة

واحدة على هذه الممرات ستخرجهم من عنادهم هذا .

١١ آب ١٩٤٣

ذهبت لمقر قيادة الفوهرر بطريق الجو على الرغم من الإنذار المبكر بغارة جوية مقتربة . ووصلت في منتصف اليوم وكان الاجتماع (لبحث الموقف) على وشك الانعقاد . وقد حضر هـــذا الاجتماع كل من غورنغ ودونتز وشتودنت وهيملر .

القتال في الشرق على أشده بالقرب من خاركوف حيث يجري اخـــتراق روسي خطير غربي المدينة ، وتدور معركة تدمير مستمرة بالنيران طيلة اليوم بالقرب من لينتغراد .

أما عن موقف ايطاليا فقد اتفقت أنا والفوهرر على تقديرنا للموقف هناك ، ويبدو أن الفوهرر ينوي إرسالي الى ايطاليا قريباً . وهو لا يثق في إخلاص الايطاليين مثلي . وقلت له ان الأوان قد حان لكي نطالب ايطاليا بالإفصاح عن أهدافها ، لنضع أسس الاستمرار في الحرب على ضوئها .

ولم يقم الايطاليون بأي شيء يتعلق بالدفـــاع وقد حان الوقت لكي يبدأوا في استعداداتهم . وقال الفوهرر ان كل ما يقوم به الايطاليون الآن هو محاولتهم لكسب الوقت بحيث ينسحبون من الحرب في النهـــاية . وأعتقد في الغالب أن القصد من اجتماع تشرشل وروزفلت (مؤتمر كويبك) هو محاولة إقنـــاع الايطاليين بخيانتنا ، والذي يؤكد لنـــا ذلك اشتراك الايطاليين سراً في هذا الاجتماع ، وسيؤدي هذا الى فرض شروط أقل قسوة على ايطاليا .

هتلر يريد اعادة الفاشستية الى ايطاليا :

وينوي الفوهرر التمسك بالخطة القديمة أي إعاده النظام الفاشستي لأنـــه الضمان الوحيد (كما يقول) لإخلاص ايطاليا . وقد انتقد بشدة تصرفات ماكنزن وفون رينتلين وكسلرينغ الذي يقوم على أساس فهمهم الخاطىء للموقف في ايطاليا وعلى ثقتهم بالحكومة الايطالية الجديدة .

وقال غورنغ أن هتلر هو الشخص الوحيـــد الذي يستطيع ضمان تاج ملك

ايطاليا . وتكلم الفوهرر وقال: « انالملك الجديد لا ينوي ضمان تاجه بواسطتي، وعلى اي حال فالملك قد انتهى ، ولم يكن الا عميل للبريطانيين » .

وقبل العشاء عقد اجتماع مع جودل حيث وضعت خطة مبنية على اقتراحاتنا بحيث تمتد القيادة لتشمل ايطاليا كلها ، واقتراحي الجديد هو : أن تمتد القيادة لتشمل ايطاليا كلها ، ونضم الجيشين (الجنوبي والشمالي) الايطاليين تحت القيادة على أن تكون رئاسة مجموعة الجيوش قريبة من روما بحيث تسيطر بعض الشيء على القيادة العليـــا الايطالية والحكومة . ووافق جودل بعد أن تغلبت على اعتراضاته .

١١ آب ١٩٤٣

عقد اجتماع لتقدير الموقف عند المساء حضره فونريبنتروب . لقـد وضع القنصل العام فون نوبرات تحت أمري . صرحت أنني أخشى أن الاجتماع مـع الايطاليين لا يؤدي لأي حلول عملية لأنهم مصممون على خيانتنا. واقتراحي ان نقاتل قتـــالاً تعطيلياً في صقلية على ألا ننسحب الى ايطاليا إلا تحت ضغط من الأعداء . كما نقوم بإنشاء أربعة خطوط دفاعية هي : الخـط بين كوشيتزا وتارانتو ، والخط في ساليرنو ، والخط في كاسينو ، والخط خلف جبال الأبنين.

هتلر يقرر تخليص موسوليني من الاسر :

وقد تمت الموافقة على اقتراحي إلا أن الفوهرر اعترض لأننا سنضطر لدفع المطارات في كالابريا للأمام بسبب خط الدفاع المقـــام شمال كوشينزا . وبناء عليه يجب وضعها في منطقة كاتاتزارو . وهو يعتقد أيضاً أن الخطة لن تؤدي لأي نتيجة بسبب المعارضة الايطالية . وقد أصدر لي تعليماته بتمثيله في اجتماع مع القيادة الايطالية لتوضيح الموقف الايطالي. وطلب من جودل ايضاً الاشتراك في هذا الاجتماع. وفي هذا الاجتماع أخذ الفوهرر في دراسة صور جوية لفينتوتيني وهي الجزيرة المعتقل فيها موسوليني . وقـــد استبقى بعدنا دونيتز وشتودنت لدرس خطة لتخليص موسوليني من الأسر . وأرجو ألا أكلف بهـذه العملية . فأنا لا أرى نفعاً من ورائها .

وتبعاً لتعليمات هتلر ذهب والدي وجودل الى بولونيـــا في ١٥ آب لتوضيح

الموقف كله في اجتماع مع الجنرال رواتا رئيس أركان حرب الجيش الايطالي . ولم يبدأ الاجتماع بداية تبشر بالخير لان والدي علم ان الايطاليين عازمون على التخلص منه بدس السم له في الطعام أو باعتقاله بواسطة قوات ايطالية ، لذلك أخذ معه سرية مشاة ألمانيــة لاحتلال مبنى المؤتمر والمشاركة في حراسته مع الحرس الايطالي .

وقد نشب نزاع في بداية الاجتماع بين جودل ورواتا بخصوص سحب قوات الاحتلال الايطالية من فرنسا . وعندما سأل جودل عن قصد ايطاليـا من هذا التصرف أجابه رواتا : « لمجرد زيادة القوات للدفــاع عن ايطاليا . والموقف يتلخص في وجود ٢٤ فرقة ايطالية فقط من مجموع قدره ٦٢ فرقة في ايطاليـا نفسها ومن هذه الفرق الأربع والعشرين ، هناك ١١ فرقة فقط صالحة للدخول في العمليات . وعلى اي حال فجميع هذه القوات ستستخدم ضد العدو المشترك من البريطانيين والأمريكيين » .

وبعد أن بين رئيس أركان حرب القوات المسلحة الايطاليـة ضعف الجيش الايطالي طلب منه والدي وجودل شرح أسباب التحركات الكبيرة للقوات الايطالية نحو الشمال . وأجاب رواتا « أنه لا توجد سوى فرقة واحدة جبلية مشتركة في هذه التحركات . وهذه الفرقة وصلت من روسيا في حالة سيئة وقد أرسلت جنوباً لأسباب سياسية عندما تغيرت الحكومة . وهذه الفرقة ستعود في الوقت الحالي الى واجباتها الأصلية لاحتلال وحماية جبال الألب . ولكن بعد هذه الفرقة تحركت فرقــة أخرى لحماية الخط الحديدي من عمليات التخريب والهجمات البريطانية فقط » . واستمر الجنرال رواتا في حديثه قائلاً: «والهدف الوحيد لهاتين الفرقتين هو حماية خط السكة الحديدية . وعلى أي حــال فإن القيادة العليا (بغض النظر عن عدم وجود أي نوايا عدوانية ضد ألمانيا) ليست من الغباء بحيث تفترض أن هاتين الفرقتين اللتين تقومان باستكمال مرتباتهـا من الأفراد والعتاد قادرتان على الدفــاع عن الحدود الايطالية ضد الغزو الالماني » .
وقد هاجمنا الجنرال رواتا بقوله : « لا تستطيع القيادة العليا الايطالية أن تتحمل توجيــه الاتهامات الى سلامة التعليمات والأوامر الصادرة في ايطاليا ، وهذا يعتبر إهانة بالغة ، لذلك فالقيادة العليا لا ترغب في مناقشات أخرى من

هذا القبيل ، لأن الحماية المباشرة لأرض ايطاليا يجب تركها للايطاليين وحدهم ، كما أن أعمال الحرس في القصر الملكي لا يمكن أن يقوم بها إلا الايطاليين، ويمكن للالمان القيام بأعمال الدفاع الجوي ، اما الدفاع عن الحدود الايطالية فلن يتم احتلالها إلا حينمايلزم وجود فرقة أو اثنين للقيام بأعمال صيانة المنشآت الدفاعية. وعلى أي حال فأغلب هذه التحصينات غير مسلحة » .

وعندما حاول جودل التكلم عن الثورة في ايطاليا وأنها السبب في التدخل الالماني ، تدخل رواتا على الفور : « ليس هناك أي ثورة في ايطاليا وإنما الذي حدث هو تبديل في الحكومة ، لأن الحكومة القديمة قد انتحرت، « والظروف المحيطة بها قد زالت ولا يوجد أي أساس لانعدام الثقة » .

ومع ذلك فقد قرر الجنرال جودل أن ألمانيا عازمة على الدفاع عن خطوط مواصلاتها ولكنها يجب أن تكون في أيدي القوات الالمانية .

ولم يصل الطرفان الى أي اتفاق في هـذا الشأن لأن الجانبين كانا يعلمان تماماً الأسباب لهذه التصرفات .

وأخيراً بلغت المناقشة الى موضوع جمـع القوات الألمانية والايطالية للدفاع عن ايطاليا ضد البريطانيين والأمريكيين وقال رواتا أنه يجب إرسال فرقـة العاصفة « أدولف هتلر» الى سردينيا ، كما يجب دفـع القوات الالمانية الباقية في إيطاليا الى الجنوب بقدر الامكان . وان تبقى القيادة في أيدي القيادة العليـا الايطالية وهذا بالطبع يشمل الفيلد مارشال روميل الذي عليه ان يتبع القيادة العليا الايطالية ، ولكن والدي لم يوافق والجنرال جودل على هذه الاقتراحات وانتهى الاجتماع بفشل كامل ، وتحطم المحور ولخص والـدي نتيجة هذا المؤتمر في مذكراته كما يلي :

١٥ آب ١٩٤٤

الايطاليون يرفضون التنازل عن بعض مطالبهم ، وعلى سبيل المثال مطالبتهم بالانفراد بالدفاع عن السكك الحديدية والقيادة لكافـــة القوات الموجودة في إيطاليا . وهم يقولون ان مطالبنا تتم عن عدم ثقتنا بهم ويشعرون بأنها تنقص من كرامتهم .

وعند هذه النقطة يجب ان نعرف أن ايطاليا حاولت الاتصال بالحلفاء لأول

مرة في ١٥ آب للوصول الى شروط للهدنة . وقـــد أرسل روزفلت وتشرشل مذكرة الى ستالين في ١٩ آب ١٩٤٤ تتضمن ما يلي :

« في ١٥ آب أرسل لنا السفير البريطاني في مدريد يقول أن الجنرال كاستيلانو ممثل بادوجليو قد وصل الى هناك حاملا خطاباً من الوزير البريطاني في الفاتيكان، لتجديد رغبة إيطاليا في الاستسلام دون قيد أو شرط على ان تنضم بعدها للحلفاء . ويبدو أن هذا عرض أكيد لأن الوزير المفوض البريطاني في الفاتيكان قد أكد أن بادوجليو قد صرح في كتابه بأنه فوض كاستيلانو » .

ومن نتائج مؤتمر بولونيا كتب والدي في ١٨/٨/٤٣ ما يلي :

١٨ آب ١٩٤٣

« . . وصل خطاب من الجنرال رينتلـين يقول فيه إن رواتا قدم شكوى حول ما أسماه بحصار المبنى أثناء انعقاد المؤتمر في بولونيا . وسأرد عليه بأن هذا قد حدث بدون معرفتي . . »

ولم تكن خطط هتلر لفترة الحرب واضحـة لوالدي لأنه لم يعرف أكثر من الخطوط العريضة والمطموسة بالغيوم .

رومل يقترح على هتلر اشراك فرنسا في الحرب ضد الحلفاء :

ويبدو ان أفكار هتلر نفسه بهذا الخصوص قد تبدلت أثناء سير الحرب. لأن والدي قد شعر بعد هزيمة فرنسا في عام ١٩٤٠ أن هدف هتلر كان إيجاد حـل لمشاكل أوروبا . وأن ما قرأه الفيلد مارشال كيتل نيابة عن هتلر للجنة الهدنة الفرنسية في غابة كومبيجن في ٣١ حزيران ٩٤٠ يوضح أن الحكومة الألمانية تنوي اتباع سياسة معقولة ويتضمن التالي : « بعد مقاومة بطولية انهزمت فرنسا في سلسلة من المعارك الدامية التي انهارت بعدهـــا . وتجاه عدو شجاع فألمانيا تنوي ألا تعطي لشروط الهدنة او مفاوضات الهدنة شكل الاذلال ».

وقد علمنا من والدي انه اقترح على هتلر مراراً اثناء عمليات افريقيا إشراك فرنسا مع المانيا في الحرب ضد إنكلترا ويجب ان تبرم معها معاهدة صلح تضمن

ممتلكاتها فيما وراء البحار . ورفض هتلر بالرغم من ان الفرنسيين حسب معلومات والدي كانوا على استعداد للنظر باهتمام في مثل هذا العرض في ١٩٤١ ، ١٩٤٢ . ورفض الفوهرر هذا الاقتراح لانه اعتبر التحالف العسكري بين فرنسا وألمانيا قد يخلق صعاباً مع ايطاليا واسبانيا لأن الدولتين كانتا راغبتـــين في ضم اجزاء كبيرة من ممتلكات فرنسا في شمال فريقيا . ولم يقلل هتلر من قدر هذا التحالف ولكنه قرر انه لا يمكن إتمامه .

وأثناء نزهة على الاقدام مع والدي قبل وفاته بقليل اوضـــح لي آرائه في المسائل الأوروبية ، وقد قال ان من رأيه وانا اسرد هنا كلامه على وجـــه التقريب ان مأساة اوروبا ترجع إلى سياسة نابليـون التي لم تستطع الابقاء على الوحدة بين شعوب اوربا التي احتلها قتـالا . ولو ان الأمر اختلف لتفادت كل الدول الاوروبية عذاباً أليماً . وليس علينـا الآن الا ان نتذكر حروب أعوام ١٨٦٦ ، ١٨٧١ وحروب ١٩١٤ ، ١٩١٨ . اما مأساة المانيا الآن فترجع لعدم معرفتها كيف توحد اوروبا اثناء هذه الحروب ، لأن العالم كان سيواجه عندئذ بـ ٣٠٠ مليون اوروبي بدلا من ٨٠ مليون المـــاني ولن ترتطم اهداف ألمانيا العسكرية بمصالح الشعوب الأخرى الحيوية .

وقال والدي انه عرض لهتلر هذه الأفكار في وقت متأخر من عام ١٩٤٢ ، ولكنه الجواب كان سلبياً . واغلب الظن ان هذا هو ما تشير اليه مذكراتـــه التالية الخاصة بمؤتمر انعقد في مقر قيادة الفوهرر في ٤ ايلول ١٩٤٣ وهو اليوم التالي لأول انزال للحلفاء في جنوب ايطاليا .

٤ ايلول ١٩٤٣

وقد اظهر الفوهرر ثقته بنفسه . وهو ينوي بعد وقت قصير إرسـالي للملك إيطاليا . وقد وافق على افكاري الخاصة بإدارة العمليات في ايطاليا والدفاع على السواحل وذلك بالرغم من اعـــتراضات جودل التي لا تنطبق مع الحرب الحديثة . ويرى الفوهرر ان اتحاد الدول الأوروبيـــة لم يصل بعد الى مرحلة النضوج .

الموقف في الشرق قد وصل الى حد الأزمة . فقد استطاعت روسيا تحقيق اختراق ضخم .. ولن نهاجم البريطانيين في كالابريا وإنما سنخلي المنطقة .

الساعة الثامنة والنصف العشاء مع الفوهرر ، وقد نصحني بالحذر في مفاوضاتي مع ملك ايطاليا .

وخلال الاسبوع التالي اندفعت قوات الحلفاء في كالابريا متقدمة الى ان وصلت لنهر سانجرو وفي ٩ ايلول ١٩٤٣ (وهو اليوم الذي نزل فيه ايزنهاور على سواحل ساليرنو) عرفنا نبأ استسلام ايطاليا ، وقد انتشر في جميع ارجاء المانيا .

ولسوء الحظ ان مذكرات والدي التي تغطي هـذه الفترة فقدناها في فوضى ما بعد الحرب ولكن يمكن الرجوع لمصـادر اخرى ولخطاباته الخاصة لمعرفة الأحداث في هذه الفترة .

وأول ما نرجع اليه هو الجنرال ويستفال في كتابه «الجيش الالماني في الغرب» ويتكلم فيه عن زيارة الأدميرال دي كورتين وزير البحرية الايطالي لمقر قيادة القائد العام للجبهة الجنوبية في ٧ أيلول عام ١٩٤٣ .

« شرح الأدميرال دي كورتين أنه تبعاً لكل الظواهر أصبح نزول الحلفاء على أرض ايطاليا وشيكاً وأن البحرية الايطالية لا ترغب في البقاء على جمودها في الموانىء بينما يدور هــذا الصراع الحيوي . وهي لا تريد أن تصبح ضحية « لسكابافلو أخرى » . وعليه فإن وحدات البحرية الثقيلة ستخرج فجأة للشبيزيا وتلتف حول الطرف الغربي لصقلية وتحاول الاشتباك بالأسطول البريطــاني وسينتهي هذا الاشتباك إما بالنصر او بالنزول الى قاع البحر . وهذا التحرك يجب أن يظــل سراً حتى اللحظة الأخيرة ويجب عدم ظهور مجموعة الاتصال الجوية الالمانية فوق السفن إلا قبل أن تتحرك مباشرة . وأمــام الحماس الذي أعلن به دي كورتين أهدافه أمام دموعه وتذكيره لنا بالدم الالماني الذي يجري في عروقه من ناحيــة أمه ، قررنا ألا نبقى جامدين لأنه أثر فينا تأثيراً عميقاً . ولم أفكر أنا ولا كسلرينغ بأن كل هذا لم يكن إلا خدعة للقضاء على الشكوك الالمانية بشأن رحلة الاسطول الايطالي التي انتهت باستسلامه في مالطة » .

وفي ٨ ايلول دعى الجنرال ويستفال الى مؤتمر في رئاسة الجنرال رواتــا في مونتي روتندو . وما كتبه في كتابه يعطينا صورة عن هذا المؤتمر :

« في أثناء الحديث مع رواتا جاءت مكالمة تليفونية ألمانية من روما : (لقد أعلن نبأ الهدنة في الاذاعة) . وقال رواتا ان هذه خدعة من جانب الأعداء ،

وانتهت المناقشة بأن تمنى أن يرى التعاون بيننـــا في المستقبل أوثق وأمتن . وأثناء عودتنا مررنا أمام حشود من الايطاليين الفرحين . وقد علمنــا منهم أن ايطاليا استسلمت فعلاً » .

ويستمر ويستفال : « وفي الليلة أرسل لي رواتا اشارة تليفونية تقول أنه في وقت حديثنا لم يكن يعلم باستسلام ايطاليا . واقسم بشرفه ان كلامه صحيح ».
والآن نتحول الى خطابات والدي : —

استسلام ايطاليا :

٩ ايلول ١٩٤٣

عزيزتي لو
وهكذا أصبحت الخديعة الايطالية امراً حقيقياً وقـــد كان تقديرنا لهم صحيحاً . وخططي تسير بنجاح حتى الآن . ولكن هذا التحول في الاحداث جعل الموقف كله صعباً للغاية . ومع هذا سنفعل كل ما بوسعنا لانقاذ الموقف .
• ايلول ١٩٤٣

لقد توقعنا منذ زمن طويل كل هذه الاحداث الجارية في ايطاليا ولقد نشأ عنها الموقف الذي حاولنا تفاديه بأي طريقـة . وفي الجنوب انضم الايطاليون بالفعل للبريطانيين في قتالهم ضدنا . وفي الشمال نقوم بنزع سلاح القوات الايطالية في الوقت الحالي وسنرسلهم إلى المانيا كأسرى حرب . ويا لها من نهاية مخجلة لهذا الجيش !!...

وقبل نهاية العمليات مرض والدي فجأة بالزائدة الدودية كما جاء في خطابه التالي المرسل اليّ : —

٢٤ ايلول ١٩٤٣

عزيزي مانفريد
شكراً على خطابك المؤرخ في ٢٣ ايلول . وانا مذهول لمعرفتي انك ما زلت في اجازة . وارجو الا تنسى كل ما تعلمته . ولقد نجحت عملية الزائدة الدودية التي أجريت لي . وقد حدث الموضوع كله فجأة . ففي الساعة الثامنـــة مساء

كنت بتمام الصحة والعافية . وبعدها بساعة ونصف كنت اشعر بألم شديد في الجانب الايمن من معدتي وكنت في حالة اغماء . ولحسن الحظ ان الالم لم يتوقف ولكنني تحملته طوال الليل ، وأخيراً استطعت النوم بمساعدة احد الأطباء وأجريت لي العملية في الصباح التالي .

وكل شيء حسن هنا حتى الآن . وقد نزعنا سلاح الخونة وشحنا اغلبهم . وقد وضعت لك طابعي بريد في الظرف الأبيض السميك بين الخطابات .

وعندما أنتهت القوات المسلحة الالمانية من نزع سلاح الجيش الايطالي فكر هتلر في اسناد القيادة العليا في ايطاليا لوالدي ونقل كسلرينج للقيادة في النرويج .

وقد ناقش هتلر مع والدي احتمال القيام بهجوم مضاد لأستعادة جنوب ايطاليا وربما صقلية نفسها . ولكن والدي لم يعتقد في إمكان تنفيذ هذا على الاطلاق ، وإنما كان يرى أن الدفاع عن ايطاليا بالقوات المتيسرة كان موضوع يصعب حله . وكانت مخاوفه تنحصر في ان الحلفاء قد يثبتون أغلب القوات الالمانية المشتبكة معهم في وسط ايطاليا بالمواجهة ثم يقومون بانزال مفاجىء بمشاة الأسطول وقوات المظلات في وادي البو بغرض عزل القوات الالمانية ، مما يؤدي إلى انهيار القطاع الجنوبي من « قلعة أوروبا » بأكمله .

وعليه فقد اقترح والدي التخلي عن جنوب ووسط أيطاليا والقيام بوقفة اخيرة في خط الابنين جنوب وادي البو . وهذا سيقصر الجبهة الساحلية ويمكن الدفاع عنها بسهولة اكبر . اما كسلرينج فقد كان يظن من ناحيته انه من الممكن المقاومة جنوب روما لوقت ما . ونستطيع معرفة نظرة اركان حرب كسلرينج للموقف من مذكرات الجنرال ويستفال :

« ... وقد سألوا روميل عن رأيه . ولكنه كان يعتقد ان الامكانيات البرمائية للعدو كبيرة لدرجة ان اي خط بعيد نحو الجنوب معرض لخطر كبير وان هناك خطراً آخر وهو ان بمجموعة الجيوش كلها قد تقع في فخ بعملية إنزال بعيدة نحو الشمال . وهو لا يرغب في مواجهة مثل هذه المخاطرة بالرغم من اعترافه بأن الخط الجنوبي لروما يمكن احتلاله بنصف عدد القوات التي ستلزمنا في الابنين . وتردد هتلر فترة طويلة... ثم في منتصف تشرين اول أمر روميل باستلام

قيادة قوات كسلرينج بالإضافة إلى قوانه .

وبينما كانت البرقية ما تزال في مرحلة الارسال غير رأيه وأمر الفيلدمارشال كسلرينج بأستلام القيادة العليا لمسرح العمليات الايطالي اعتباراً من ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

وآخر خطابات ارسلها والدي من ايطاليا يتكلم فيها عن هذه الاحداث .

عزيزتي لو ٢٦ ت ١ ١٩٤٣

لم يتم التصديق على الوظيفة . وقد غير الفوهرر رأيه على أي حال ولم يوقع الامر المحدد للوظيفة . وبالطبع لا اعرف أكثر من هذا . وربما لا انجح في استثارة الآمال بالصمود في مواقعنا وربما كان تأخيري في استلام القيادة هو السبب . وربما كانت الاسباب مختلفة عن هذا تماماً . وعليه فكسلرينج سيظل في مكانه في الوقت الحالي . وربما نقلت بعيداً . وعلى أي حال سأقبل كل ما يحدث .

والموقف في الشرق حرج للغاية . ويبدو اننا سنضطر للتخلي عن المنحنى الكبير على نهر الدنيبر تحت ظروف صعبة للغاية . وفي هذه الحالة لن نتمكن من الاحتفاظ بالقرم هي الاخرى . ويبدو ان تفوق الاعداء هناك أيضاً كاسح . وانا اتساءل إلى اين سنذهب من هناك ؟؟!!

وقد قابلت المارشال جرازياني اليوم . وهو شخصية فذة ويختلف عن كل الضباط الايطاليين الذين عرفتهم . وبالطبع ليس لديه أي سلطة في الوقت الحاضر . بل حتى البوليس الايطالي نفسه لا يمكنه ان يفرض سلطته اليوم . وعلينا مساعدتهم . كما ان السفير الياباني كان هنا هو ايضاً . ويبدو ان هؤلاء القوم لا يقدرونني بالفعل ...

وخلال رحلتي الى ساحل الادرياتيكي بالامس قمت بزيارة الى دولة سان مارينو الصغيرة وهي دولة محايدة ، وبعد زيارة عاجلة للمدينة وشرائي لبعض طوابع البريد وكنت على اهبة الانصراف عندما جاء احد الوزراء نيابة عن الحاكم وقال لى ان الحاكم سيسر اذا قابلته ، فوافقت وعدنا سوية للحصن مرة اخرى .

... وبالطبع كانت الدولة ترغب في تأكيد من الرايخ الالماني بأحترام

حيادها . وسان مارينو لم تدخل في اي حرب منذ عام ١٦٠٠ . وكان نابوليون يطمع في توسيعها واعطائها ميناء وبعض المدافع ، ولكن الحكام في ذلك الوقت رفضوا وفضلوا ان تبقى صغيرة . كم يتمنى المرء ان يكتسب جنسية سان مارينو ...

وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣ ركب والدي طائرته من مطار فيلافرانكا ليغادر ايطاليا الى الابد ، ثم سافر لاستلام مهمة جديدة . وكان عائداً الى ارض نورماندي المغطاة بالتباب غير المستوية ، وقد مر بطريقه للشهرة بها في ١٩٤٠ ، وكان المقدر لها ان تكون مسرحاً لآخر هزائمه العسكرية .

الفصل الثاني

الغزو عـام ١٩٤٤

بقلم الفريق فريتز بايرلاين

اجتماع بايرلاين وروميل للمرة الثانية :

تقابلت مع الفيلد مارشال روميل لأول مرة بعد حملة افريقيا في مقر قيادة الفوهرر في بروسيا الشرقية في تموز ١٩٤٣ . وكان يسكن في منزل نصف خشبي كان يستعمله القائد العام السابق للجيش . وقد اشتركنا سوية في احد اجتماعات الفوهرر ، وذلك بعد انهيار الهجوم على خـــط بيلرجورود – كورسك بعدة أيام ، وقد تعطلت فيه قواتنا المهاجمة أمام الستارة الروسية المضادة للدبابات ، وقد خسرنا معظم دباباتنا الجديدة ، حيث انتهى بذلك كل أمل لنـا في هجوم صيفي جديد في روسيا .

وبعد هذا الاجتماع جلست مع روميل في مكتبة حيث بحثنا الموقف العسكري العام . وكان في هذه الأثناء قد أقلم نفسه على الموقف الاستراتيجي الذي تبدل تماماً ، وكان لدى روميل أفكار كثيرة في إدارة الحرب في المستقبل . وحيث أن هذه المحادثة هي الدليل الوحيد على آراء روميل عن الموقف العسكري في ذلك الوقت فسأحاول سردها بأقصى ما تستطيعه ذاكرتي :

قال روميل : « أنت تعرف يا بايرلاين أننا فقدنا فرصة المبادأة وليس في ذلك

شك ، علاوة على أننا تعلمنــا في روسيا أن الإقدام والتفاؤل الشديدين ليسا بكافيين ، ويجب اتباع أسلوب اقتراب جديد كل الجدة . وليس هناك أمل في القيام بهجوم في السنوات القليلة القادمة لا في الغرب ولا في الشرق .

وعليه فيجب أن نحاول الاستفادة بأكثر مما يمكن بالمزايا التي تنبع عادة من الدفاع . ووسيلة الدفاع الأساسية ضد الدبابـة هي المدفع المضاد للدبابات ، وفي الجو يجب أن تنتج المقاتلات اكثر فأكثر ونتخلى في الوقت الحالي عن أي عمليات قذف جوي من جانبنا .

وأنا لا أرى الأمور التي كنت أراها بنفس الضوء السيء في افريقيا ، ولكن النصر الشامل أصبح أمراً مستحيلاً » .

وسألته عن كيفية القيام بالعمليات الدفاعية وتطبيقها ، فرد قائلاً :

« يجب أن نقاتل معتمدين على الخطوط الداخلية . ففي الشرق يجب أن ننسحب في أقرب وقت الى خط معدّ من قبــل ومناسب . ولكن مجهودنا الأساسي يجب أن يوجه صوب إيقاف أي محاولة للحلفاء الغربيين لإيجـاد جبهة ثانية وهذا هو المكان الذي يجب أن نركز عليه مجهودنا الدفاعي ».

ولو استطعنا إحباط مجهوداتهم مرة واحدة لأصبح أملنا أكبر . ومنذ أيام قليلة قال لي الفوهرر أنه في بداية عام ١٩٤٤ سيتم إنتاج ٧٠٠٠ طائرة و ٢٠٠٠ دبابابة في الشهر .

رأي رومل في الجندي الروسي :

« ولو تمكنا من صدّ الأمريكيين والبريطانيين لمـدة سنتين إضافيتين فقط لأمكننا انشاء مراكز للنقل في الشرق مرة ثانية ثم تأتي الفرصة فنستطيع إنزال الهزيمة بالروس مرة أخرى فتتحول المبادأة الى أيدينا للمرة الثانية . وعند ذلك نستطيع الحصول على صلح مقبول » .

ثم بدأ رومل في الكلام عن تكتيكات الدفاع . (وأنا مرة أخرى أحاول ترديد كلامه من الذاكرة) :

« أتذكر يا بايرلاين الصعوبة التي صادفناهـــا في مهاجمة الستارات الدفاعية المعادية المضادة للدبابات في افريقيا ؟ لقد كان الأمر يتطلب قوات ممتازة مدربة

تدريباً عالياً لكي تحقق أي شيء ضدها .

ولقد قمت بدراسة دقيقـــة لتجاربنا في روسيا . والجندي الروسي عنيد وغير مرن ، وهو لا يستطيع الوصول للأسلوب المخطط بدقة والى المرونة التي يخوض بهـا الانجليزي معاركه . والروسي يهجم مباشرة مستهلكاً في ذلك كميات ضخمة من العتاد والذخيرة ويحاول أن يشق طريقه عنوة بتفوقـــه العددي الضخم .

ولو استطعنا اعطاء الفرقة المشاة الالمانية في أول الأمر خمسين ثم مائة وأخيراً مائتي مدفع مضاداً للدبابات عيار ٧٥ مم ونضعها في مواقع مختارة بعناية تغطيها حقول ألغـام عميقة لاستطعنا إيقاف الروس . ويمكن أن يكون المدفع المضاد للدبابات بسيطاً للغاية وكل ما يجب أن يتميز بـــه هو قدرته على اختراق دروع أي دبابـة روسية على مسافة معقولة وفي نفس الوقت يمكن استخدامه كمدفع ميدان لتدمير المشاة .

وليس هناك أمل في أن نتساوى مع العدو في انتاج الدبابات ولكننا نستطيع بالتأكيد مضاهاته في انتاج المدافع المضادة للدبابات حتى لو اضطر للاستمرار في انتاج الدبابات للقيـام بعملياته الهجومية . وفي مقابل كل دبابة تصنع ، يمكننا انتاج عشرة مدافع مضادة لها ..

والآن اذا افترضنا ان الروس قاموا بالهجوم علينا في قطـــاع ملغم بكثافة وقامت مدافعنا المضادة للدبابات بعمل ستارة (ونفترض أن عمقها ستة أميال) سنجد بالرغم من كل حشودهم من العتاد انهم سيتعطلون في الأيام القليـلة الأولى وسيضطرون بعدها لشق طريقهم بصعوبة وببطء . وفي هذه الأثناء سنتمكن من وضع مدافع مضادة للدبابات اخرى خلف الستارة .

ولو أن العدو استطاع التقدم ثلاثة أميال يوميـاً فسوف نقوم ببناء ستارة أخرى مضادة للدبابات عمقها ستة أميال ونتركه يتوقف امامها . وسنكون في ذلك الوقت نقاتل تحت ستر مواقعنا بينما سيكون العدو يهاجم في ارض مفتوحة . وسنخسر نحن مدافع مضادة للدبابات بينما سيخسر هو دبابات . ولكي نحرك هذه المدافع سنستخدم الخيـــول الروسية أو أي وسيلة اخرى يمكن ان نضع أيدينا عليها .

وهذا مـــا يفعله الروس الآن ويجب ان نستخدم أساليبهم . وبمجرد ان

يعرف الجنود انهم يستطيعون الصمود في مواقعهم فإن روحهم المعنوية سترتفع مرة اخرى .

وسنضطر لتخفيض انتاج الدبابات والمدافع المضادة للدبابات المصنوعة بعناية ودقة وكل انواع السلاح الأخرى وفرصتنا الاخيرة في الشرق تنحصر في تسليح الجيش للقيام بدفاع مستميت .

تأثير الاقتصاد على الحرب :

ولكن الغرب هو المكان الأهم . فلو نجحنا بدفع البريطانيين والامريكيين في البحر مرة آتية فسيمضي وقت طويل قبل ان يستطيعوا العودة ».

وقد عادت هذه المناقشة لذهني عندما سمعت أن الفيلد مشارل رومل قد كلف بتنظيم الدفاع ضد الغزو المنتظر في فرنسا . وفي فرنسا ايضاً كما في الشرق كان يعتقد رومل بأنه لم يعد في الامكان كسب النصر بواسطة الحرب الميكانيكية وليس هذا لمجرد حصول البريطانيين والامريكيين على السيادة الجوية ، وإنما ايضاً لأن الصناعة الالمانية أضحت غير قادرة على منافسة الحلفاء الغربيين في ميدان انتاج الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والعربات . وقد كتب رومل في تقرير رفعه لهتلر بتاريخ ٣١ ك ١ ١٩٤٣ بعد رحلته التفتيشية على ساحل الاطلنطي .

رومل يقدر الموقف بالنسبة لغزو الحلفاء المنتظر :

وقد بدأنا بمناقشة مكان نزول الحلفاء المحتمل ومن المهم الملاحظة ان رأيه الأول في هذه النقطة يختلف عن رأيه الذي صرح به فيما بعد . فقد كتب يقول :

« سيكون مركز إنزال العدو الرئيسي على الأغلب موجهاً ضد قطاع الجيش الخامس عشر (في منطقة كالية) وهـذا يرجع أساساً لأن أغلب هجماتنا بعيدة المدى ضد الانجليز ، ولندن نفسها ستوجه من هذا القطاع . ونظراً لهياج البحر فأغلب الظن أن مجهود العدو الرئيسي سيوجه لاحتلال سريع لميناء أو موانىء تستطيع إيواء السفن الكبيرة . ويضاف الى هذا انه سيحاول الاستيلاء بسرعة على المنطقة التي تجيء منها هجماتنا بعيدة المدى .

وأغلب الظن ان العدو سيوجه مجهوده الرئيسي ضد المناطق الواقعــة بين بولونيا ومصب نهر السوم وعلى جانبي كالية حيث يتمكن من الاعتماد على مساندة مدفعيته بعيدة المدى ، وهذا هو اقصر الطرق البحرية للقيام بالهجوم، بالاضافة الى انه يستطيع إحضار الامدادات والتموين مع كسب افضل الظروف لاستخدام سلاحه الجوي . أمـــا فيما يتعلق بقواته المنقولة جواً فنتوقع استخدامها في فتح جبهتنا الساحلية من الخلف ثم الاستيلاء بسرعة على المنطقة التي ستأتي منهــا قذائفها الموجهة البعيدة المدى .

أما توقيت هجوم العدو فغير واضح إلا انه سيبذل قصارى جهده للقيــام بالعملية قبل ان نبدأ في هجومنا الصاروخي البعيد المدى على انجلترا . ولو فشل العدو في هذا (نظراً لسوء الحـــالة الجوية او لسوء الظروف البحرية) ، فإنه سيشن هجومه إما عند ابتداء هجومنا او بعد ذلك بوقت قصير ، لأنــه كلما طالت مدة هجومنا على انجلترا كلما زاد تأثيره ،وسيؤثر خاصة في الروح المعنوية للقوات البريطانية والاميركية . أما اذا بدأنا الهجوم في اثنــاء فترة جوية غير مناسبة لعمليات الانزال فإن ذلك سيخلق ظروفاً صعبة بالنسبة لهجوم العدو .

وستسبق عمليات الإنزال في الغالب هجمات جويــة شديدة وستتم العملية نفسها تحت ستارة من الدخان وغلالة شديدة من مدفعية سفنه الحربية ترافقهـا هجمات شديدة من القاذفات الثقيلة . ويضاف الى الانزال البحري ان القوات المحمولة جواً ستسقط وراء الدفاعـــات الساحلية مباشرة في قطاعات الهجوم الرئيسي بغرض اختراق الدفاعات من الخلف وإنشاء رأس جسر في اقصر وقت ممكن .

وعلى الساحل سيتكبد خط دفاعنا الضعيف (في الوقت الحـــالي) خسائر فادحة نتيجة لقصف العدو وضربه الجوي .ومن المشكوك فيه أنه انه سيتمكن بعد هذا الضرب من صد العدو الذي ستقترب قواته في الظلام أو الضباب وعلى جبهة واسعة مع مئات من سفن الأنزال وقوارب الأقتحام المدرعة . ولكن إذا لم نمنع عمليات الانزال سيمكنهم أختراق جبهتنا الضعيفة بعد وقت قصير وسيتم أتصالها مع القوات المحمولة جوا خلف جبهتنا .

ويجب الا نتوقع بحال من الاحوال قدرة أحتياطنا الضئيل الموجود خلف الساحل على القيام بهجوم مضاد في هذا الحين لقلة عدد المدافع ذاتية الحركة وقلة

وسائل الدفاع المضاد للدبابات الموجود معه مما سيؤدي إلى عدم تدمير القوات الكبيرة التي سينزلها العدو .

ونحن نعرف من واقع تجاربنا أن الجندي البريطاني سريع في أعمال تدعيم مكاسبه ، ويقوم بعدها بالدفاع بعناد مع مساندة ممتازة من سلاحه الجوي المتفوق ومدفعيته البحرية التي سيقوم بتوجيه نيرانها ضباط المراقبـــة الاماميون في الخط الأول .

ونظر لأن خط دفاعنا الساحلي غير عميق (كما هو الآن) فالعدو سينجح على الأغلب في إنشاء رؤوس عديدة للجسور في عدة نقاط ثم يقوم باختراق دفاعنا الأساسي على الساحل . وبمجرد حدوث هذا فلن يمكننا القـــاءه في البحر مرة أخرى ما لم يتدخل أحتياطينا الأستراتيجي بسرعة . وهذا يتطلب وضع هذه القوات على بعد غير كبير خلف دفاعاتنا الساحلية .

أما إذا كان احتياطنا الرئيسي سيتحرك من مسافات كبـــيرة من داخل فرنسا فإن هـــذه التحركات ستتطلب وقتاً كبيراً سيستغله العدو في الغالب في تدعيم قواته في نقطة الأختراق ، إما بتنظيم وتدعيم قواته للدفاع أو بدفعهـــا للقيام بالهجوم للداخل ، وهذه التحركات من جانب قواتنا الأحتياطية ستكون عرضة بأستمرار لهجمات جوية خطيرة .

وإذا ما وضعنا في حسابنا التفوق العددي والمادي الكبير لقـــوات العدو الضاربة وتدريبها الجيد وتفوقها الجوي الضخم فإن النصر في هذه المنطقة أمر مشكوك فيه . وقد أثبت التفوق الجوي البريطاني والأمريـــكي مراراً مـــدى فاعليته لدرجة أن أي تحركات للتشكيلات الكبيرة في الجبهة وخلفها نهـــاراً وليلاً قد أصبحت في حكم المستحيل ، ولن تستطيع قواتنا الجوية مسانـــدة عملياتنا إلا في القليل النادر » .

والنتائج التي توصل اليها رومل من هذه البراهين مثيرة للأهتمام . فقد كان عليه بهذه الأمكانيات الموجودة أن يؤكد مقدره فرق المشاة التابعة له (الضعيفة التسليح والقليلة العتاد) على الحاق الهزيمـــة بالبريطانيين المزودين بالسلاح الحديث .

ويتابع رومل كلامه :

« وعليه فأنا أعتقد انه يجب علينا القيام بمحاولة لصد أي انزال معادي على

الساحل بكل وسيلة ممكنة ومحاولة خوض المعركة في الشريط الساحلي ، وهذا سيتطلب إنشاء منطقة محصنة وملغمة تمتد من الشاطىء للداخل بعمق خمسة أو ستة أميال ومدافع عنها في اتجاه البحر والأرض . اما حقول الألغام الموجودة حالياً والمحاطة بالأسلاك فانها لا تمثل عائقاً ذات اهمية ، ويمكن فتح ثغرات كبيرة فيها في وقت قصير للغاية . اما المنطقة الملغمة التي اقترحها فيجب ان تكون من حقول الغام عديدة تمتد عدة كيلو مترات في كل الاتجاهات وموضوعة حسب خطة مرسومة ما بين الساحل إلى الداخل ولمسافة ستة اميال . وأنا أدرك تماماً عدد الألغام الضخم الذي تتطلبه هذه الخطة ، وفي الوقت الحالي يكفي تلغيم الحقول على الساحل والحقول الموجودة في الطرف الآخر داخل الأرض مع ترك مسافة بينها مزروعة بحقول ألغام هيكلية .

ويجب الأحتفاظ ببعض الاماكن خالية من الألغام على ان تكون موازنة للساحل وعلى طول الطرق المؤدية اليه لأستخدامها في عمليات الهجوم المضاد . وقد تعلمنا من قتالنا مع البريطانيين ان الألغام الكبيرة إذا ما نشرنا فيها بعض المواقع المنعزلة القوية (مواقع ميدانية مجهزة) فانه من الصعب للغاية الأستيلاء عليها .ويضاف إلى هذاان القطاعات الملغمة بهذاالأسلوب ملائمة للغاية لإستخدام القوات الاحتياطية .

وعليه فان الفرق الموجودة على الساحل سيكون عليها واجبان : — الدفاع عن الساحل ضد أي انزال معادي من البحر والصمود في الأرض في جبهة عرضها خمسة أو ستة أميال ضد القوات المنقولة جواً . اما إذا حدث والقى العدو بقواته المنقولة جواً داخل المنطقة الملغمة ، فسيكون من السهل تدميرها هناك .

ومن النقط الضرورية زيادة عمق المنطقة المدافع عنها حتى ولو لمجرد تقليل أثر ضرب العدو الجوي والبحري . ويجب على القائد في أي تشكيل (يقوم بالدفاع عن الساحل) أن يضع نقطة قيادته داخل منطقته الملغمة لأنه سيكون بمثابة قائد القطاع .

وفي حالة عدم و قوع هجوم علىأحد هذه المناطق يمكن سحب الفرقة التي تدافع عنها بسهولة ، شرط ان يوضع مكانها قوات احتياطية لو سمحت الظروف . وحتى لو تم الدفاع عنها بقوة بسيطة فان تلك المناطق الملغمة ستكون ذات قوة دفاعية عظيمة .

وبما أن عدد الأسلحة المضادة للدبابات والمدافــع الرشاشة (ذات المجالات المرتفعة) في القطاع الأمامي لمنطقة القتال الساحليــة كانت قليلة للغاية ، وحيث انه يجب توجيه كل الامكانيات نحو تدمير قوات انزال العــدو أثناء وجودها على حافة الشاطيء أو اثناء الإنزال نفسه لذلك يجب زيادة القــوة الدفاعية في الجزء الأمامي من قطاعات الفرق المشتركة في القطاع الساحلي عما هي عليه في الوقت الحــالي (أو بعبارة أخرى زيادة قوة النسق الأول على حساب الانساق الأخرى) . لأن الدفاع يكون سهلاً نسبياً طالما كانت قوارب إنزال واقتحام العدو ما زالت في البحر . وبمجرد وصولها للشاطيء وإنزالهـا للقوات والأسلحة التي تحملها فإن قدرتها القتالية تتضاعف عدة مرات .

وعليه فيصبح من الضروري في القطاعات الاكثر تعرضاً ، وضع المدافـع المضادة للدبابات والمدافع ذاتية الحركة والمدافع المضــادة للطائرات في الجزء الامامي من منطقة الدفاع بحيث يمكن دفعها من هناك إلى الساحل للاشتباك مع العدو أثناء قيامه بعملية الإنزال .

وأنا اظن انه من الضروري الاحتفاظ بفرقتين احتياطيتين على مسافة قريبة من الجزء الشرقي للدفاعات الساحلية بحذاء أكثر المناطق تعرضاً للهجوم ، وهي ما بين بولونيا ومصب نهر السوم بحيث يمكنها التدخل لمساندة الفرق المدافعة عن الساحل بمجرد معرفتنا للمحور الرئيسي لهجوم العدو ، وبذا نمنع العدو من إقامة رأس كوبرى . ولن تكون المعركة بين التشكيلات الكبرى ، وإنمـــا ستكون عملية تدمير تدريجي لقوات العدو أثناء نزولها أو بعد نزولها بواسطة مجموعات قتال صغيرة . وستنتهي المعركة على الشاطيء في بضع ساعات ، وإذا رجعنا للتجارب فسنجد ان تدخل القوات القادمة من الخلف بسرعة سيكون حاسماً . ومن ضمن شروط النجاح لهذا الهجوم المضاد التي ستقــوم به القوات الاحتياطية ، ان تساندها كل القوات الجوية التكتيكية الالمانية ، وأهم من هذا كله ان تقوم بطرد تشكيلات قاذفات العدو » .

والاساليب التي استخدمها رومل في استغلال الموارد التي كانت بحوزتـه تظهر بوضوح موهبته وقدرته على التفاصيل الفنية . وقد أظهرت خطة الدفاع الجديدة مرة أخرى تخليه التام عن العقائد والنظم التقليدية ، لانه لم يسمح لنفسه قط بأن يجمد او يمجب بأفكاره الشخصية . وفيما يلي وصف مختصر للتفاصيل الفنية الرئيسية لخطته مبنياً على الوثائق التي قام بإصدارها بنفسه .

خطة رومل لمواجهة الغزو في فرنسا

(١) حقول الالغام :

كتب رومل مذكرة ضمنها ما يلي :

« لقد سنحت لي الفرصة في الحملة التي دامت عامين في أفريقيا لاختبار أهمية الالغام في كل الحرب المختلفة واصبحت معتاداً على الالغام التي يستخدمها العدو بكميات كبيرة . وكانت مواردنا قليلة في هذه الحملة . فبعد انتصار البريطانيين في القتال العنيف في برقة في شتاء ١٩٤١ – ١٩٤٢ قاموا باستخدام الالغام بكميات كبيرة في بناءخطهم الجديد الذي كان يمتد من عين الغزالة داخل الصحراء لمسافة ٥٠ ميلاً نحو الجنوب . وفي هذا الخط وفي المنطقة أمام طبرق بثوا ما يزيد عن مليون لغم في خلال شهرين وقاموا بزرع حقول الغام متصلة بعضها ببعض وصل عمقها في بعض المواقع لعدة آلاف من الياردات .

واثناء القتال الذي تلا هذا حول بير حكيم للسيطرة على طبرق نفسهاوجدنا انفسنا في موقف حاولنا فيه التغلب على عدو ثبّت أقدامه في مواقع قوية بها عدد كبير من المدافع للدبابات ، بل وفي بعض الاحيان بدبابات موجودة في داخل المنطقة الملغمة .

وكان هذا القتال صعباً للغاية بالرغم من اننا استطعنا إحراز النصر بشجاعة قواتنا وبتصميم ومرونة ضباطنا من جميع الرتب . وهذا علمني قطعاً قيمة الاسلوب البريطاني في التلغيم على نطاق واسع .

ولو ان القوات التي تدافع عن هذه المواقع كانت المانية لما أمكن الاستيلاء عليها .

وهكذا فنتيجة نجدة رومل في افريقيا كان يظن ان حقول الالغام الكبيرة تستطيع إيجاد الظروف التي يمكن فيها للقوات الالمانية السيئة التسليح ان تواجه القوات الامريكية والبريطانية .

المقتطفات التالية من خطاب صادر عن الجنرال مايزة قائد مهندسي مجموعة جيوش « ب » في ١٧ اذار ١٩٤٤ تبين مدى طموح خطة رومل لبث الالغام : –

« وفي الخط الممتد الى مسافة ألف ياردة بحـــذاء الساحل وفي خط آخر موازي لطول الجبهة المحتلة داخل الارض تطلب في المرحلة الاولى عشرة ألغـام للياردة الواحدة . وهذا سيؤدي ان يصير مجموع الألغام المطلوبة لفرنسا (لحوالي ٨٠٠٠ ياردة) ٢٠ مليون لغم . وستحتاج الجبهة كلها في فرنسا الى حوالي ٢٠٠ مليون لغم .. » .

وبالرغم من قيام رومل بجهود ضخمة لإتمام عمليات اللغم إلا أنهـــا جاءت متأخرة عن الوقت الذي قد تكون فيه ذات تأثير كامل . ومع هذا فلو ان هتلر عهد لروملي بتنظيم الدفاع عن ساحل الاطلنطي والقنـال الانجليزي في صيف ١٩٤٣ لأمكننا القول أن المانيـا كانت ستكسب معركة الغزو . وقد نظم روملي عملية إنتاج الألغام في فرنسا حيث كانت توجـد مواد أخذت من الغنائم تكفي لتجهيز ٢٠ مليون لغـم مضاداً للأفراد . والملاحظة التالية من مذكرات الحرب لمجموعة الجيوش « ب » تظهر ما حققه :

« حتى يوم ٢٠ ايار ١٩٤٤ تم زرع ٤١٫٩٣١٦٧ لغم على ساحل القنـــال الانجليزي منها ٢٦٫٧٢٩٠٠ على مسؤولية روملي معظمها بعد نهاية آذار ، وفي نفس هـــذه الفترة القصيرة تم إنتاج ١٨٫٥٢٨٢٠ لغم بناء على أوامر روملي ايضاً » .

وقد تصور روملي كيف ستتم عملية زرع حقول الألغام المذكورة والمقتطفات التالية من المذكرة التي كتبها توضح ذلك :

« سيصير زرع حقول ألغام عميقة بين الدبابات الثابتة والمنطقة حولها وحول مجموعات الاستحكامات وأوكار المقاومة . وهذه الحقول ستحتوي على ألغام من كل الأنواع ، وأغلب الظن ستكون ذات تأثير كبير .

واذا وضع العدو أقدامه على الارض فإن أي هجوم خلال حقول الألغـام على المواقع الدفاعية الموجودة داخلهـــا ستكون عملية صعبة للغاية . إذ انه سيضطر الى شق طريقه عبر منطقة القتال تحت النيران الدفاعية التي تصبها عليه مدفعيتنا . وليس هـذا على الساحل فقط وإنما سيتم زرع حقول ألغام ضخمة حول مواقعنا في المناطق الخلفية : وأي قوات محمولة جواً ستحاول اخـــتراق مواقعنا من الوراء نحو الساحل ستصطدم ايضاً بمنطقة ملغمة ايضاً .

العوائق امام الساحل :

فيما يتعلق بواجبات هذه العوائق كتب رومل يقول :

« منذ نهاية ك ٢ بدأ العمل في وضع العوائق أمام الشاطىء على طول ساحل الاطلنطي وقد شارفنا على الانتهاء بالفعل عند المواقع ذات الأهمية . وقد يوجه لنا سؤال عن السبب في عدم البدء بهذا العمل قبل ذلك الوقت حتى يمكننا الانتهاء من انشاء حاجزاً أشد قوة .

والجواب على السؤال أننا لم نفكر في مثل هذا النوع من العوائق قبل هذا ، بل كانت هناك ميزة لتأخرنا في البدء فيه ، لأن العدو سيضطر للتدريب على مواجهة هذا الأسلوب الجديد في الدفاع عند آخر لحظة ممكنة مما سيؤدي قطعاً لخسارته لعدد كبير من قوارب إنزاله . بل ربما كان الفضل في تأجيل العدو لهجومه كل هذه المدة يرجع لهذه العوائق الحديثة .

والقصد من هذه العوائق المغمورة تحت الماء ليس فقط لوقف اقتراب العدو من الشاطىء (لأنه بالطبع سيستخدم في هجومه مئات القوارب وسفن الإنزال والعربات البرمائية والدبابات البرمائية المعزولة عن الماء ، وكل هذا سيتم دائماً في الظلام أو الضباب الصناعي) ولكن ايضاً لتدمير العدو ومعدات إنزاله .

والعوائق المذكورة تتألف من تشكيلة كبيرة مجهزة بالألغام والمتفجرات . وسنبذل كل مجهود لزرعها بعمق وجعلها فعالة في جميع الحالات وكل مستويات المد والجزر . وقد لاحظنا أن التدريبات الانجليزية الامريكية الاخيرة قد صار توقيتها بحيث تتم بعد ساعتين من أقصى حد للجزر ، وذلك بعد قيام المدفعية والقاذفات بمحاولة لتدمير موانع الشاطىء الهيكلية . ونحن نعلم شدة الصعوبة في تدمير موانع الأسلاك الشائكة بنيران المدفعية ، لذلك سيكون فتح ممر داخلي في هذا الحاجز من الموانع أصعب بكثير .

وبذلك سيضطر العدو لاستخدام كميات كبيرة من الذخيرة والقنابل وسيحتاج الى وقت كبير للاستعداد . ولو ان العدو (على غير ما نتوقع) نجح بالفعل في تدمير هذه الموانع المغمورة في الماء ، فنعرف على الأقل محور تقدمه الرئيسي ونستطيع بذلك تجهيز دفاعنا وإحضار قواتنا الاحتياطية .

وكلما طال الوقت الذي يعطيه لنا العدو كلما ازدادت قوة الموانع . وأننا

نتوقع بعد مدة وجيزة ان تخطرنا كل الكتائب بأن الحواجز امامها كثيفة وعميقة ومسلحة (أي مزودة بآلاف من الألغام والمتفجرات) .. » .

وتبعاً لخطاب الجنرال مايزة بتاريخ ١٧ ايار ١٩٤٤ كان المفروض إقامة أربعة أحزمة من الموانع تحت الماء . وقد وصفها كما يلي :

١ – حزام في ست أقدام من الماء لأقصى حالات المد .
٢ – حزام في ست أقدام من الماء لنصف المد الذي أقصاه أثنا عشر قدماً .
٣ – حزام في ست أقدام من الماء في أقصى حالات الجزر .
٤ – حزام في اثني عشر قدماً من الماء في اقصى حالات الجزر .

وبحلول يوم الغزو كان أول حزامين قد تما في أغلب القطاعات وخاصة في نورماندي ولكن لم يتهيء الوقت الكافي لوضع الحزامين الاخريين السفليين بالرغم من قيام رومل باستعدادات ضخمة لإقامتها .

ويمكن تقرير ما حققه رومل من الملاحظات التالية في مذكرات الحرب لمجموعة الجيوش « ب » :

« حتى يوم ١٣ ايار ١٩٤٤ تم وضع ٥١٧,٠٠٠ مانع على الشاطيء وعلى طول جبهة القنال الانجليزي منها ٣١,٠٠٠ مجهزة بالألغام » .

الموانع ضد الانزال الجوي :

وهنا يشرح رومل ايضاً هدف الخطة وأسلوب التنفيذ :

« أبدأ الآن في الكلام عن التأمين ضد القوات المنقولة جواً . ومن الممكن ان يستخدم العدو كل ما لديه للحصول على نصر سريع وتأمين كبير مع تثبيت أقدامه عند اي مركز على الساحل . وتمتلك دول الأعداء عدداً كبيراً من التشكيلات القوية المنقولة جواً والمدربة تدريباً عالياً . وعلينا ان نكون مستعدين لاستخدام هذه القوات ضد مناطق الدفاع الساحلي ، إما في هجوم مفاجيء أو بعد قصف جوي شديد قصير ، وربما أسقط العدو قوات المظليين في أعداد كبيرة للغاية في ضوء القمر أو عند الفجر او عند آخر ضوء ، إما على الساحل وإما على بعد عدة أميال داخل الارض أو ربما أسقط قوات محمولة جواً في مجموعات فرق في طائرات شراعية ذات حمولات كبيرة وراء جبهتنا

الساحلية ليحاول اختراق الدفاع من الخلف . كما انه من الممكن ان ينزل العدو تشكيلاته المنقولة جواً داخل الارض على مسافة كبيرة ليستخدمها في عمليات استراتيجية أو ربما وزعها في مجموعات قتال صغيرة داخل فرنسا كلها لإحداث تعبئة سريعة للجيش السري الفرنسي (رجال العصابات) .

ولكن طالما سيستمر احتلالنا للشاطىء فأغلب الظن أننا سنتمكن من إبادة القوات المنقولة جواً سواء كانت مستخدمة في عمليات استراتيجية او تشكيلات ملقاة في مجموعات وراء جبهتنا داخل الارض .

... ولذلك فإن الشيء المهم هو التأكد من ان كل المناطق (التي ستكون معرضة لإنزال القوات المحمولة جواً) تجهز بحيث تتحطم فيها طائرات العدو وسابحاته الشراعية اثناء نزولها ، وبذا سننزل بالعدو خسائر فادحة في الرجال والعتاد بالاضافة الى الخسائر التي يتكبدها العدو بسبب نيراننـا الدفاعية ... وستقوم كل الفرق باتخاذ الخطوات اللازمة في اقل وقت ممكن لتجهيز المنطقة بين جبهتي الارض والبحر بطريقة كاملة » .

وكانت العوائق التي صممها رومل تتألف من قضبان ارتفاعها حوالي عشرة أقدام مدفونة في الارض على مسافة مقدارها ١٠ اقدام . وكان يعلم بالطبع ان القضبان وحدها لا تمثل مانعـاً مدمراً بالنسبة للقوات التي تنزل بالسابحات الشراعية ، لذلك فقد أمره بتجهيز رؤوس هذه القضبان بعدد كبير من القذائف (التي غنمناها) وتوصيلها فيما بينها بالأسلاك . وقـد اظهرت التجارب ان اي طائرة شراعية تنزل في ارض مجهزة بهذا الأسلوب تتعرض للدمار .

وفي الواقع لم تكن امامها اي فرصة في النجاة . وقبل الغزو بأيام قليلة نجح رومل في الاستيلاء على مليون قذيفة مدفعية من الغنائم ليسلح بهـا هذه الموانع ولكن لم يعد هناك وقت لوضعها في مكانها .

خطابات رومل من الغرب : (ك اول ١٩٤٣ - حزيران ١٩٤٤)

لقد توفرت لدينا آراء رومل بخصوص الدفاع ضد الغزو بتفصيل كبير ولكن لا يوجد لدينا لسوء الحظ وثائق تغطي هذه الفترة نفهم منها اتجاهاته الشخصية والمستندات الوحيدة التي يمكن الوثوق بها هي الخطابات التي كتبها لزوجته وابنه

أثناء هذه الشهور والتي نورد أهم ما جاء بها في شكل مختصر كما يلي :
١ – خلال رحلة رومل للتفتيش على الساحل الدانياركي :

٨ ك ١ ١٩٤٣

عزيزتي لو
سنسافر اليوم لأقصى الشمال مرة ثانية . وستنتهي الرحلة كلها خلال يومين ثم يبدأ العمل المكتبي . لا يزال القتال شديداً في الشرق والجنوب . وأنت لا تحتاجين لأن أصف لك مشاعري لما أتوقعه له من بعد .

وقد سمعت ان الاستدعاء للخدمة سيشمل كل من سنهم ١٤ سنة وسيرسلون للعمل في جماعات العمل والدفاع حسب حجمهم وقوتهم الجسدية .

١١ ك ١ ١٩٤٣

عدنا من العاصمة « كوبنهاغن ». بضعة ايام من العمل الكتابي ثم نستأنف العمل . ولا يزال باستطاعة المرء شراء كل ما يرغب فيه هنا في الدانيارك . وبالطبع لا يبيع الدانياركيون إلا لمواطنيهم فقط . وقد اشتريت بعض الهدايا لعيد الميلاد بقدر ما لدي من نقود .

« كان رومل مثله في ذلك مثل جميع الضباط الالمان مسموحاً له بمبلغ محدود من النقد الأجنبي ».

بعد الوصول الى فرنسا :

١٥ ك ١ ١٩٤٣

وصلت بالأمس سالماً وقد وجدت سكناً جميلاً في أحد القصور في «فونتنبلو» كانت تملكه مدام دي بومبادور في أحد الأيام ولكني لن أمكث هنا طويلا ، بل سأسافر غداً في رحلة ، كما أعلنت أنباء اليوم . ويبدو أنهم متلهفين ليخبروا البريطانيين والأمريكيين بأنني هنا .

تناولت غذائي مع «رونشتدت » اليوم . ويبدو عليه الرضى وأظن أن كل شيء مضبوط ولكن يجب أن أرى كل شيء بنفسي لأكون صورة عن الموقف .

والقصر القديم مكان جميل . ويبدو ان الفرنسيين كانوا يشيدون المباني بسخاء

وبذخ لطبقاتهم المترفة منذ قرنين من الزمان . ونحن ريفيون للغاية بالنسبة لهذا الوسط .

٢٥ ك١ ١٩٤٣

شيء عظيم أن تتم محادثاتنا التليفونية مساء أمس وأني أعرف الآن أنكما بخير أنتما الاثنين . والانباء العظيمة هي استدعاء مانفريد يوم ٦ ك٢ . وأنامتأكد أنه سيكون سعيداً ، ولكن بالنسبة لنا وبالنسبة لك على وجه الخصوص ، من المؤلم أن يغادر صغيرنا المنزل وسيمضي وقت طويل قبل أن نعتاد على هذا .

وأنا أتمنى لكما عيد ميلاد سعيد . وتتمتعا بالوقت الذي ستقضيانه سويا ... وقد أمضيت ليلة أمس مع ضباط أركان حربي ، وبعدها مع رجالي ، وطبعاً من الصعب أن نكون سعداء بالفعل في هذا الوقت .

١٩ ك٢ ١٩٤٤

عدت اليوم من رحلتي الطويلة . وقد رأيت الكثير وانا راض للغاية عن التقدم الذي حققناه . واعتقد اننا سننتصر في المعركة الدفاعية في الغرب شرط أن يتوفر لنا القليل من الوقت لكي ننهي استعداداتنا . وسيسافر جونثر غداً ومعه حقيبة . وأرجو أن يحضر معه بدلتي البنية المدنية والمعطف الخفيف والقبعة .. إلخ . فأنا أريد الخروج بدون عصا المارشالية ولو مرة .

..... الموقف في الشرق : متجمد ظاهرياً .
..... في الجنوب : قتال عنيف وهجمات أشد يجب مواجهتها .
..... في الغرب : أظن أننا سنتمكن من صد الهجوم .

٢١ ك٢ ١٩٤٤

ومنذ الأمس أصبحت من مالكي الكلاب فقد قامت منظمة تودت بإهدائي كلبين للصيد أحدهما عمره سنة وله شعر طويل وشارب مناسب ، والآخر عمره ثلاثة أشهر فقط . وقد تعودت على الاصغر بسرعة على عكس الأكبر ، وهما يرقدان الآن تحت مكتبي . أما الأكبر فينبح عندما يدخل أي شخص .

٢٦ ك٢ ١٩٤٤

يشعرني العمل بخيبة امل كبيرة . فالمرء يصدم المرة تلو الاخرى بالاشخاص البيروقراطيين المتحجرين الذين يقاومون كل جديد وكل تقدم . ولكننا سننجح بالرغم من كل ذلك . وقد قررت فصل الكلبين عن بعضهما بعد ان

كاد الكبير يقتل الصغير من شدة عطفي عليه .

٢٩ ك٢ ١٩٤٤

الموقف في الشرق لا يزال متوتراً وخطيراً للغاية بالرغم من اننا دمرنا عدداً من دبابات العدو بلغ ٨٦٠ دبابة في الثلاثة ايام الماضية وسيكون استبدالها عملاً شاقاً لهم .

أما عن الموقف في إيطاليا فقد تطور بالشكل الذي كنت أخشى وقوعه دائماً . فقد كانت الأجناب المكشوفة تعرضنا لخطر كبير ومع هذا فأنا أشعر بكل تأكيد أننا سننجح في اصلاح الموقف .

وقد أمرت بتفصيل بدلة جديدة لي في باريس . فالقديمة ضيقة وقصيرة للغاية ...

٣١ ك٢ ١٩٤٤

عزيزي مانفريد :

لقد سرني جداً أول خطاباتك كفرد في السلاح الجوي الاحتياطي لأنك تعمل بنجاح في وحدتك الجديدة . وليس من السهل على «الابن الوحيد» ان يترك المنزل . وربما حصلت على اجازة لبضعة ايام في شهر شباط ، في هذه الأجازة يجب عليك أن تقدم لي تقريراً شاملاً .

وأمامي عمل هنا لا نهاية له قبل ان استطيع ان اقول بأننا اصبحنا على استعداد للمعركة تماماً . والقوات تتكاسل وترضى عن نفسها بسرعة عندما يسود الهدوء لفترة طويلة ، ولكن التناقض بين أوقات الهدوء والمعركة سيكون شديداً وأنا أشعر بضرورة الاستعداد هنا للأوقات العصيبة التي ستحدث . وأنا في حركة دائمة وأثير غباراً كثيفاً أينما ذهبت – أحر مشاعري وأعمق تحياتي .

٣١ اذار ١٩٤٤

عزيزتي لو :

لا جديد . والظاهر أن ستالين قد أثقل بطلباته على حلفائه إذ طلب إمداده بأسطول مساو في قوته للاسطول الايطالي السابق في البحر المتوسط (من مصادر أمريكية – وبريطانية) ومنحه ثلاث مرافيء في البحر المتوسط (ترنتو) ومرفأ في فلسطين وآخر في شمال افريقيا وثلث البترول العربي وتاريخ محدود لفتح الجبهة الثانية غربي اوروبا . واذا لم ينفذوا هذه المطالب فإن ستالين

سيعتبر نفسه غـــير ملزم بتنفيذ اتفاقاته السابقة مع حلفائه . وهـــذا كله بديع لو كان صحيحاً ، وقد رأيت الكثير هنا بالأمس ، وبالرغم من وجود نقط ضعف كثيرة حتى الآن فنحن ننظر للمستقبل بكل ثقة .

٢٧ نيسان ١٩٤٤

يبدو ان البريطانيين والأمريكيين سيظلون بعيدين عنا بعض الوقت . وهذا سيكون له قيمة كبيرة لدفاعاتنا الساحلية لأننا نزداد قوة في كل يوم وذلك على الأقل في البر ، إلا أن هذا غير صحيح فيما يتعلق بالقوات الجوية ، ولكن حتى هذا سيتغير لصالحنا يوماً ما .

أما كلبي الصغير فيحبني جداً ويحب الأشياء الحلوة . وهو ينـام في غرفتي الآن تحت سريري وسيتم تلقيحه بعد وقت قصير ضد الامراض . وقـد ركبت بالأمس الخيل مرة أخرى ولكني أشعر بألم في مفاصلي اليوم .

ونحن في انتظار جوديريان عصر اليوم . وقد انتهى الخلاف مع جيرفون شفينبورج الذي اضطررت لأستخدام السخافة معه حتى اقنعه بخطتي . وقـد انتهى الموضوع بتدخل الجهات العليا وقررت تنفيذ كل شيء حسب مشيئتي .

٨ ايار ١٩٤٤

أرسلت لي منظمة تودت هذه المرة كلباً كبيراً بني اللون شعره ناعم جداً . وهو صغير وظريف ويتبعني بسهولة وقد اعتاد على الجو الجديـــد المحيط به بسرعة وقد انزعج ايلبو (ارسل روميل الكلب الكبير لزوجته ولكن قتلته سيارة) ، في اول الأمر ولكنه يستطيب صحبة زميله الجديد حالياً للغـاية . وقد تسبب في انزعاج ايلبو في وقت الأكل . ولكن الاثنـان ازعجاني للغاية أربع مرات بالأمس وانا اما ان اقوم بإرسال ايلبو اليك بعـــد وقت قصير او احضارك لتختاري احدهما بنفسك . ومن الغريب مدى طرافة هذه المخلوقات ومدى اجبارها لنا على نسيان متاعبنا .

١٥ ايار ١٩٤٤

نحن في منتصف ايار ولم تبلغ بعد نهاية استعداداتنا بالرغم من ابتداء حركة الكماشة الهجومية في ايطاليا وربما كانت افتتاحـــاً لعمليات أخطر واعظم في الربيع او الصيف .

وقد سافرت لمدة يومين لا تحدث مع الضباط والجنود . ومن المذهل الاعمال

التي حققناها هنا في الأسابيع القليلة الاخيرة . وأنا متأكد ان العـــدو سيلقي استقبالاً حاراً عند هجومه ولن يحقق أي نجاح .

١٩ ايار ١٩٤٤

تحدثت الى الفوهرر تلفونياً لأول مرة منذ يومين . وكانت حالته المعنوية ممتازة ولم يبخل علينا بالثناء لجهوداتنا في الغرب . والآن ارجو أن يكون عملنا أسرع مما كان عليه .

لا يزال الجو بارداً وقد انهمر المطر اخيراً . ويجب على البريطانيين الاعتصام بالصبر بعض الشيء . وانا في انتظار معرفة هل سأستطيع الهروب يومـــين في حزيران أم لا . وهو أمر مستحيل في الوقت الحالي . ولسوء الحظ ان الامور لم تكن على ما يرام في ايطاليا لأن تفوق العدو الهائل في المدفعية وتفوقه الاضخم في القوات الجوية قد حطم جبهتنا هناك .

٢١ حزيران ١٩٤٤

نشطت العمليات الجوية للغاية مرة اخرى بالأمس . اما نحن فقد بقينـــا في حالنا واليوم اكثر هدوءا . وانتصارات العدو في ايطاليا محزنة للغاية . وكانت للقوة البرية في صالحنا . ولكن الامر يرجع لتفوقهم الكاسح في الجو وفي كميـة الذخيرة المتوفرة ، كما كان الحال في افريقيـــا . وارجو ان تتحسن الأمور في الغرب . ولم تبدأ اي استعدادات جوية جدية حتى الآن . وقـــد اصلحنا كل التلفيات التي نشأت عن غارات العدو .

وقد زارنا رونشتدت هنا بالأمس . وفي فترة بعد العصر تحادثت مع ضابط بريطاني أسير وكان كلامه معقولا للغاية .

استعدادات القيادة العليا للغزو :

لقد أوضح هتلر وجهة نظره في دور مسرح العمليات الغربي في خطاب القاه يوم ٢٠ اذار ١٩٤٤ على قادة الأسلحة الثلاث وقال فيه : —

« ..... من المؤكد أنه سيحدث إنزال انكليزي اميريكي في الغرب ولكن كيف واين سيقع ، فهذا ما لا نعرفه . ويضاف إلى هـــذا انه لا يمكننا حتى الاستنتاج . ومهما كانت حشود السفن الموجودة في أي مكان فينبغي الا نعتقد

ان هذا سيكون اتجاه الغزو الرئيسي ، ويجب ان نتوقع هـــذا الغزو في اي منطقة وفي أي قطاع على طول الساحل الذي علينا حمايته من المروج إلى خليج بسكاي أو في البحر المتوسط على ساحل فرنسا الجنوبي أو عند ساحل ايطاليا أو البلقان . فمثل هذه الحشود يمكن نقلهـــا وتحريكها في أحوال جوية سيئة وستستخدم طبعاً في ذلك جميع انواع الخدع ولا يمكن ان نعتبر عملية الإنزال في أي مكان على طول ساحلنا مستحيلة فيما عدا المناطق التي تقـع على امتداد السهول الساحلية التي تتواجد بها المرتفعات . وأفضل المناطق وأكثرها تعرضاً لهجوم العـــدو هي شبه الجزر في الغرب في شيربورغ وبريست ، وهي ستغري الأعداء لأنها تعطيهم أحسن الفرص لتكوين رؤوس جسور هناك ، وسوف يتم توسيعها تدريجياً باستخدام حشود من القوات الجوية والأسلحة الثقيلة من جميـع الأنواع .

... ويجب عدم السماح لعملية إنزال العدو بالبقاء لأكثر من ساعات أو على اكثر تقدير لأيام (بنفس الأسلوب ألذي اتبع في الإغارة على دييب) . وبمجرد هزيمة الغزو فلن تتكرر عملية العدو مطلقاً . فإلى جانب الخسائر الفادحـة التي سيتكبدها ، فستمر أشهر قبـل أن يتمكن من استكمال الاستعدادات لمحاولة جديدة . كما ستكون هناك الضربة القاضية لروحـه المعنوية التي ستؤدي الى فشل الغزو .

ومن ناحية أخرى سيؤدي هـــذا أيضاً لعدم إعادة انتخاب روزفلت في أمريكا وبقليل من الحظ قد ينتهي به الأمر الى السجن. وفي انجلترا أيضاً سيحدث ارهاق كبير من شدة الحرب وسيكون له أثراً أكبر مما كان عليه من قبل ، ولن يتمكن تشرشل لكبر سنه ومرضه واضمحلال نفوذه من القيـام بعملية مماثلة جديدة . ويمكننا مواجهة قوات العـدو من الناحية العددية بقوات مساوية (يمكن حشد من ٥٠ الى ٦٠ فرقة) . وان محاولة تدمير العدو أثناء النزول يعني أكثر من مجرد نصر حاسم في الجبهة الغربية ، لأنه العـامل الحاسم الوحيد في الحرب كلها ، ونتيجتها النهائية ستحدد الحرب .

ونحن في حاجة للفرق الموجودة الآن في أوروبا لندفعها الى الشرق باستثناء الجبهة الشرقية وعددها ٤٥ فرقة . ويجب أن ننقلهـا الى هناك حتى يمكننا تغيير الموقف بمجرد القضـــاء على العدو في الغرب . وبذا فان نتيجة الحرب ومصير

الرايخ متوقفان على كل رجل يقاتل في الجبهة الغربية التي هي الجبهة الحاسمة في الحرب . ويجب أن تكون أهمية كل فرد بهذه الحرب الحاسمة مغروسة في كل ضابط وجندي بحيث تصبح جزءاً من تفكيرهم وأرواحهم » .

ومن أهم النقط البارزة في هذا الخطاب هي عدم قدرة هتلر على الحسم واتخاذ قرارات قاطعة ، وكانت هذه الروح السائدة في هـــذا الحين في مقر قيادته . وبالرغم من وجود أماكن كثيرة يحتمل حدوث إنزال فيها فانهم رفضوا في هذا الحـــين حشد القوات في هذه الأماكن . وكان هتلر نفسه مشتت الفكر بين مدرستين الأولى يمثلها الفيلد مارشال فون رونشتدت ومعه جيرفون شويبنبورج والثانية مدرسة رومل .

وكان الجنرال جيرفون شويبنبورج (الذي كان مسؤولاً في هـذا الحين عن تدريبات التشكيلات المدرعـة الالمانية في فرنسا) يريد تكوين مجموعة مدرعة حول باريس على أن تكون تحت قيادته وتضم كل فرق البانزر الموجودة، وذكر لتدعيم حججه فكرة احتمال إنزال جوي للحلفاء لأغراض استراتيجية في المنطقة المحيطة بباريس . كما كان يعتقد انه يجب ترك الحلفاء ينزلون على الساحل والسماح لهم بالتوغل بعمق بحيث تتمكن القوات الالمانية من تدميرهم عندئذ وإلقائهم في البحر بهجوم مضاد على نطاق واسع .

وبالرغم من رفض كل الخبراء لفكرته الأولى إلا أن فكرته الثانية وجدت صدى حسناً لأن معظم الضباط الالمان العظام قاتلوا في الجبهة الشرقية فقط ولم يشهدوا الحرب إلا في مجالها البري فقط . ولم يكن عندهم أي فكرة عن تأثير إحراز الحلفاء الغربيين للسيادة الجوية في المسرح الجنوبي . ويضاف الى ذلـك أنهم كانوا يعتبرون البريطانيين والاميركيين غير أكفـــاء نسبياً في الحرب الميكانيكية وكانوا يعتقدون ان الأعداء الغربيين ليسوا في درجة صمود محـاربي الجبهة الشرقية المحنكين .

وكما نرى في كتابات رومل نجد انه اكتسب ثروة من التجارب العمليـة في شمالي افريقيا عن أحدث وأكثر أساليب الحرب تقدماً . ولم يقاتل أي ضابط من الضباط (الذين عارضوا أفكار رومل في فرنسا بالنسبة للحرب مثل هؤلاء المحنكين) بمثـــل هذه البراعة التكتيكية التي استخدمها رومل لمدة عامين في افريقيا . أما ما قيل عنه أنـه يجهل النواحي الاستراتيجية بالنسبة لخطته التي

تقضي بتحريك كل فرق البانزر الموجودة الى اخطر أجزاء الساحل تعرضاً فانها تفتقر الى الدليل على صحتها .

وفي الواقع ان السبب الأساسي لانتصاراته في الحرب الميكانيكية في افريقيا يرجع لفهمه لفن حشد أقصى قوة ممكنة في كل مناسبة في المكان المناسب والوقت المناسب.

وكانت تجاربه في هذا المضمار اكثر من تجارب أي ضابط آخر وخاصة الجنرال جير فون شوينبورج .

اختلاف وجهات النظر بين قادة المحور :

ومن النقط التي تستحق الذكر أيضاً أن رومل طلب بالفعل ارسال ست او ثماني فرق بانزر اخرى وخمس أو سبع فرق محملة اخرى من المانيا لتعمل كاحتياطي استراتيجي في منطقة باريس .

وفي يوم ١٧ ايار تحدثت الى رومل في لاروش جويبون (مقر قيادة رومل في فرنسا) عن الخلافات بين القادة الذين اكتسبوا خبرتهم من الجبهة الشرقية في روسيا وبين هؤلاء الذين دربتهم التجارب في افريقيا . وأثناء سيرنا في الحديقة قال رومل ما يلي على وجه التقريب :

« ان أصدقاءنا القادمين من الشرق لا يمكنهم ان يتصرروا ما الذي ينتظرهم هنا . فليست هذه بالجموع المتعصبة التي تدفع للأمام ضد خطوطنا بدون اعتبار للخسائر وعدم اعتمادها على دهاء تكتيكي ، بل سنواجه هنا عدواً يطبق كل ذكاءه الغريزي في استخدام موارده التكنولوجية المتعددة ولا يهتم باستهلاك العتاد وكل عملياته تتم بطريقة توحي بأنها تكررت مراراً في مجال التدريب . وأنت تعلم يا بايرلاين :

أن الإقدام والعناد لا يصنعان الجندي في وقتنا هذا فيجب ان يكون على درجة كبيرة من الذكاء ليتمكن من استخدام معداته وآلاته المقاتلة بأحسن طريقة وهذه أشياء يمكن لهؤلاء القوم ان يفعلوها كما علمنا في افريقيا .

ومن الخبرة التي اكتسبتها اخيراً في الجبهة الشرقية لم يكن لدي سوى الموافقة على هذا الكلام . لأن الذي تسبب في هزيمتنا في روسيا هو ذلك الشعور المتزايد

بالنقص الناجم عن ضعف تسليحنا وسوء ادارة العمليات بواسطة القيادة العليا الالمانية مما كلفنا خسائر فادحة دون مبرر ، بالاضافة الى الخوف من الوقوع في الأسر الروسي والاستسلام لهذا العدو .

وبجانب هذه العوامل المخيفة (بالرغم من عدم استطاعتنا تجاهلها) فان مسرح العمليات الافريقي يتطلب دوماً قدراً اكبر من الثقافة والعلم العسكري .

وأنا اذكر حديث رومل : « لا تستطيع ان تتصور مدى صعوبة اقناع هؤلاء الأفراد ، ففي وقت ما كانوا يعتبرون أن الحرب الميكانيكية شيء يجب تفاديه بأي ثمن ، والآن بعد ان فقدنا حريتنا في المناورة والقدرة على الحركة فكلهم متلهفون عليها . وذلك بالرغم من انه من الواضح اذا ثبت العدو أقدامه هنا فانه سيقوم بوضع كل مدفع مضاد للدبابات وكل دبابة يستطيع العثورعليها في رأس الجسر ثم يتركنا ننطح رؤوسنا ضد جبهتهم القوية كما حدث في مدينين. ولاختراق جبهة كهذه يجب الهجوم ببطء وبأسلوب منظم تحت ستر حشود من المدفعية ولكننا بالطبع لن نستطيع دفع أي شيء هناك في الوقت المناسب نظراً لسيطرة الحلفاء الجوية . وقد مضى اليوم الذي كانت فيه الدبابة سيدة الميدان تقوم بهجمات جريئة مندفعة مخترقة الخطوط (كما حدث في أوائل الحرب) وهذا ينطبق ايضاً على الجبهة الشرقية وهو الأمر الذي سيفهموه عندما يحدث هنا .

آخر من يخرج من عند هتلر دائماً على حق :

وفي هذه الأسابيع عمل رومل كل ما بوسعه لاقناع القادة بآرائه . ولكن القيادة كانت مترددة بالنسبة لموضوع الاحتياطي العام ولم تقبل أي من الرأيين. وكانت موافقة هتلر على خطة رومل في الدفاع عن فرنسا ليست لأنه وافق واقتنع بأفكار رومل وإنما لمجرد حبه للتحصينات الضخمة جداً .

أما بخصوص موضوع الاحتياطي العام فكان هتلر ومعاونوه اكثر ميلاً لقبول اقتراحات جيرفون شوينبورج لأنهم لم يصدقوا ان قوات العدو الجوية تستطيع أن تؤثر تأثيراً فعالا على تحركات القوات .

والمقتطفات التالية من خطاب كتبه رومل في ٢٣ نيسان ١٩٤٤ للكولونيل

جنرال جودل وهو يوضح لنا هذه النطقة بالذات :

« لو أننا نجحنا (بالرغم من تفوق العدو الجوي) في تحريك جزء كبير من قواتنا الميكانيكية للاشتباك في قطاعات الساحل فإنه سينهار تماماً في يومه الأول. فحتى الآن لم يحدث قصف العدو الشديد إلا خسائر قليلة في تحصيناتنا من الاسمنت المسلح بالرغم من ان مواقعنا الميدانية وحفرنا وخنادق مواصلاتنا قد دمرت تماماً في بعض الأماكن . وهذا يظهر أهمية إنشاء كل مواقنا من الاسمنت حتى المواقع الموجودة في الخلف مثل مواقع المدفعية المضادة للطائرات ومواقع القوات الاحتياطية .

وقلقي الجدي الوحيد بخصوص قواتنا الميكانيكية . وبالرغم من القرار الذي اتخذ في مؤتمر يوم ٢١ اذار فانها لم توصع تحت قيادتي حتى الآن . وبعضها مبعثر في مناطق شاسعة داخل فرنسا ، وهذا يعني انها ستصل متأخرة ولن تقوم بأي دور فعال في المعركة على الساحل . ونظراً للتفوق الجوي المعادي الهائل الذي نتوقعه فأي تحركات كبيرة للقوات الميكانيكية نحو الساحل ستتعرض لهجوم جوي عنيف للغاية ، وسيستمر لمدة طويلة . ولكن فرقنا الموجودة على الساحل اذا لم تنجدنا الفرق المدرعة والوحدات الميكانيكية بسرعة فانها ستكون معرضة لهجمات عنيفة من البحر وفي نفس الوقت من القوات المحمولة جواً من الخلف والتي ستنزل داخل فرنسا ، وجبهتنا أضعف من أن تتحمل هذا لأنها ليست بالعمق الكافي .

ويجب أن تحدد أوضاع كل من قوات النسق الأول والاحتياطيات بحيث تحتاج لأقل تحركات ممكنة للقيام بهجمات مضادة في أكثر المناطق تعرضاً للغزو وسواء كانت في الأراضي المنخفضة أو في منطقة القنال الانكليزي نفسها أو في نورماندي وبذلك نستطيع تدمير الجزء الاكبر من قوات العدو التي تنزل من البحر والجو بالنيران أثناء مرحلة اقترابها .

وآراء الجنرال جير فون شو ينبورج على النقيض من آرائي وقد اعترف أنه ربما كان يعرف البريطانيين جيداً في أوقات السلم ولكنه لم يقابلهم مطلقاً حتى الآن في أي معركة ، ولذا فهو يرى أنه سيكون هناك خطر كبير لو تم إنزال جوي إستراتيجي عميق داخل فرنسا ولهذا يريد أن يكون قادراً على القيام بهجوم مضاد سريع. وقد وضع قواته بحيث تواجه هذا الاحتمال بالذات .ويضاف

الى هذا أنه لا يرغب في تحريك فرقه المدرعـة الى المنطقة الواقعة خلف جبهتنا الساحلية والتي ربما يستخدمها العدو بالفعل في الإنزال الجوي .

أما أنا فأرى أن أخطر ما نتعرض له أن يستخدم العدو لكل سلاح لديه وخاصة قواته المحمولة جواً لاختراق جبهتنا الساحلية على مواجهة واسعة، وبذا يثبت أقدامه على القارة . وفي رأيي أنه طالما استمررنا في احتلال الساحل فأي قوات محمولة جواً يلقيها العدو خلف خطوطنا بغرض استراتيجي ستنتهي إن آجلا أو عاجلا بالوقوع في قبضتنا وسوف نتمكن من تدميرها . ومن واقـع تجاربنا فنحن نعلم أن كل عملية إسقاط جوي للعدو بغرض أستراتيجي في منطقة تحتلها قواتنا انتهت على الدوام بتدمير هذه القوات . وأنا أعتقـد أن القوات المنقولة جواً يمكن تدميرها بهذه الطريقـة بثمن أقل بكثير من القيام بهجوم من الخارج على عدو نزل بالفعل ولديه عدد كبير من المدافع المضادة للدبابات المستعدة للضرب في خلال دقائق قليلة ويمكن لتشكيلاته من القاذفات الجوية مساندته في نفس الوقت .

وقد اختلفت بشدة مع الجنرال فون جير في هذه المسألة ولن أستطيع تنفيذ أفكاري إلا إذا وضع الجنرال جيرفون تحت قيادة مجموعة الجيوش التابعة لي في أسرع وقت ممكن .

وان أخطر معارك الحرب ومصير الشعب الألماني معلقة بهذا الأمر ، لانه إذا لم تتجمع قيادة هذه القوات في يد واحدة قوية لإدارة كل القوات المخصصة للدفاع ، واذا لم تشتبك قواتنا الميكانيكية في مرحلة مبكرة في معركة الساحل فان النصر سيكون مشكوكاً فيه للغاية . واذا كان عليّ الانتظـار حتى يتم نزول العدو بالفعل وان أتبع التسلسل المعتاد ، (حتى يمكنني الحصول على القوات الميكانيكية) ، فإن التأخير الناجم عن ذلك سيكون له عواقب خطيرة . وهـذا سيعني في الغالب وصولها متأخرة ولن تتدخل بنجـاح في المعركة على الساحل لمنع نزول العدو . ولن ينتج عن هذا سوى نيتونو ثانية وهو موقف يجب أن نتفـاداه بأي ثمن .

ومرة أخرى فشل رومل . وفي أيار وجه نظر القيادة العليا للتهديد الذي ستتعرض له نورماندي وطلب إرسال فيلق مدفعية مضادة للطائرات كاملاً إلى المنطقة الواقعة بين نهري الأورن والفير ، ولواء صاروخي الى الأرض الواقعـة

جنوب كارنتان ، والفرقة ١٢ عاصفة بانزر إلى شبه جزيرة كوتونتان وفرقة البانزر ليهر إلى المنطقة بجوار آ فرانش . ويضاف إلى هذا أنه طلب من البحرية أن تبدأ في تلغيم خليج السين على الفور (وكانت البحرية في هذا الحين تقوم بتلغيم خليج بسكاي) ولم يتم تنفيذ أي شيء من هذه المطالب التي كان يأمل في تحقيقها لتعويض صغر حجم القوات المدافعة وضعف التحصينات (النسبي) في نورماندي وتظهر ذلك المقتطفات التالية في مذكرات رومل في ٣ حزيران .

« بعد العصر مع القائد العام في الغرب (رونشتدت) . القائد العام لمجموعة الجيوش «ب» (رومل) يزمع القيام برحلة الى ألمانيا من ٥ إلى ٨ حزيران ١٩٤٤. خفت المخاوف من الإنزال في هذه الفترة بعض الشيء لأن حالة المد غير ملائمة على الاطلاق . الاستطلاع الجوي أبلغ عن عدم احتمال وقوع الغزو قريباً .

وأهم ما نحتاج إليه التكلم مع الفوهرر شخصياً في سالزبورج العليا لننقل إليه صورة العجز في القوى البشرية والعتاد الذي سنواجهه به في حالة نزول العدو ، مع طلب إرسال فرقتي بانزر وفيلق مدفعية مضادة للطائرات ولواء صواريخ إلى نورماندي ...

وبعد أن تلقى رومل تصريح رونشتدت له بالرحلة ، تكلم تليفونياً مع الجنرال شماندت ياور هتلر لإخطاره بقدومه . وفي صباح يوم ٥ حزيران غادر قصر قيادته في لاروش جوبيون بالسيارة .

يوم الغزو :

كانت ليلة يوم ٥ حزيران مظلمة . ولم يخترق القمر السحب المنخفضة إلا قليلاً ليشع ضوئه على ساحل نورماندي . وكانت الحرس في المواقع الدفاعية المنعزلة تذرع مناطق حراستها جيئة وذهاباً في هدوء .

وبعد حلول الظلام بوقت قصير سمع هدير القاذفات المتحالفة ، ثم أخذت القنابل المتفجرة تنهال على نقط مختلفة على طول الساحل ولم يكن القذف الليلي أمراً نادراً في نورماندي ولكنه في هذه الليلة زاد تدريجياً بمرور الساعات ، وأخيراً لدرجة لم يسبق لها مثيل في شدتها . وتلا ذلك مرور تشكيلات ضخمة بعد منتصف الليل وفجأة أضيئت مساحات ضخمة بالمشاعل التي ألقتها الطائرات

« الكاشفة » . وقد بدأ آلاف من رجال المظلات في النزول في مناطق كثيرة ، وفي نفس الوقت بدأت مئات من الطائرات الشراعية في النزول بهـدوء وهي محملة بالمدافع والعربات والرجال. لم تكن القضبان التي زرعها رومل ضدالهابطات الشراعية ذات قيمة لأنها لم تكن متصلة ببعضها بالأسلاك ولا ملغمة . وقد سببت بالفعل شيء من الدمار للطائرات نفسها ولكن أغلب الطائرات وصلت بحمولتها من الرجال والعتاد للأرض دون خسائر .

وهرع قادة النقط الالمانية القريبة إلى تليفونات الميدان ، وبعدها بدأ جهاز القيادة بالكامل في التحرك لمواجهة الخطر . وفي وقت قليل بلغت المعركـة الارضية درجة كبيرة من الشدة لأن رجال مظلات الحلفـاء تقدموا على الفور نحو الساحل لاختراق الدفاعات الساحلية ، وبعد قليـل سقط أول الجنود في في المعركة التي كانت ستحدد مصير الرايخ الألماني .

وكانت محطات الرادار في خليج نهر السين قو توقفت عن العمـل لتعرضها للضرب الجوي منذ أيام عدة. وبسبب سوء الاحوال الجوية لم يقم السلاح الجوي الألماني بطلعات استطلاعية على القنال مما أدى أن ظلت القيادة الالمانية علىجهلها بعبور الجيوش الضخمة للحلفاء لهذا القنال ، وقـد مرت هذه القوات بسفن الحراسة الألمانية منذ عشر ساعات دون أن تشعر بها ، ثم قامت باتخاذ تشكيلها في خليج السين .

وأخذت القذائف تتوالى ثم فتحت مدافـع ست بوارج وثلاثة وعشرون طراد و ١٤٠ مدمرة نيرانها بشكل لم يسبق له مثيـل ، بينما توالت أسراب القاذفات المتحالفة بإلقاء حمولتها من القنابل على نورماندي باستمرار . وقامت قوات الفـدائيين الأمريكيين والبريطانيين تحت ستر نيران سفنهم الحربية بالاقتراب من الشاطىء وقفزوا من سفنهم الصغيرة المدرعة ، وبدأوا في تدمير دفاعاتنا الساحلية التي كشفها الجزر . وكان هذا سيكون مستحيلاً لو أن العوائق المفروض وضعها تحت أقصى درجـات الجزر كانت موجودة لأنها ستكون في ذلك الوقت مغمورة في الماء . وبعد هـذا بقليل (وبينما استمرت السفن الحربية في مجهوداتها لإجبار المدافعين على خفض رؤسهم) انطلق عدد كبير من زوارق الإنزال نحو الساحل .

وبدأ الجنود الألمان الذين نجوا من هذا الجحيم في التعامل مع العدو متجاهلين

هذه العاصفة من النيران حتى سقط أغلبهم او دمرت أسلحتهم ، بل وفي بعض النقط نجحوا في منع الانزال بالرغم من ان الجزء الأكبر من الخط قليل العمق غير المحتل بقوة كان من الصعب الصمود فيه . وتحركت المشاة الأمريكية والبريطانية من الشاطيء وتغلغلت بين المواقع الدفاعية المنعزلة ، واتصلت قوات المظلات التي نزلت خلف الجبهة في عدة نقط . ووصلت الدبابات البريطانية ، التي نزلت من السفن إلى الساحل مما مكن المشاة من القيام بهجمات رئيسة بعد تدعيمها بقوة من المدرعات لم يكن لدى الألمان أي وسائل دفاعية لمقاومتها ، إلا بعض الألغام وعدة قواذف صاروخية (بانزر فاوست) وبعض المدافع القليلة المضادة للدبابات .

واستخدمت الفرق احتياطيها المحدود على الفور في النقط المهددة ونجحت في كل مرة القت فيها بهذا الاحتياطي في فترة الإنزال . ولكن القولات المتحركة تعرضت باستمرار لهجوم حشود من القاذفات المقاتلة . أما بالنسبة لقادة الفرق فقد كانت معركة ضد موجة من المد ، يعلم الجميع بكل تأكيد أنها في النهاية ستجتاح كل شيء وتنطلق في طريقها كالإعصار وفي وقت قصير كان الاحتياطي كله مشتبكاً ولم تعد هناك أي قوات متيسرة . وبدأت الجبهة في الانهيار في عدة نقط ، وفي فترة العصر وضح نجاح عملية إنزال الحلفاء .

وكان التشكيل المدرع الوحيد المتمركز بالقرب من شاطيء الغزو هي الفرقة ٢١ بانزر تحت قيادة الفريق فوختبنجر وكانت بالقرب من كان . وكانت قوة هذه الفرقة حوالي ١٥٠ دبابة و ٦٠ مدفعاً ذاتي الحركة وحوالي ٣٠٠ ناقلة جنود مدرعة . وفي صباح يوم ٦ حزيران قام فوختبنجر بتشكيل جزء من الفرقة للقيام بهجوم مضاد شرقي نهر الأورن ضد رجال المظلات البريطانية . وكانت قواته تتحرك بالفعل نحو مناطق تجمعها عندما وصل أمر من الجيش السابع يأمر الفرقة القيام بهجومها المضاد على الضفة الغربية من نهر الأورن . وبدل فوختبنجر أوامره على هذا الأساس على الفور ولكن ضاع وقت ثمين ، ولم يقم بالهجوم غربي نهر الأورن إلا بمجموعة قتال واحدة ولكنها نجحت بالفعل في شق طريقها إلى الساحل . وقد قام القائد البريطاني في مواجهة هذا الخطر بإنزال قوات المظلات في مؤخرة المجموعة واجبارها على وقف الهجوم والانسحاب لكي تتفادى تطويقها من العدو .

وعليه ففي ليلة ٦ حزيران لم يكن الموقف مشجعاً على الاطلاق . فعلى يمين الجبهة الالمانية استطاع البريطانيون إقامة رأس جسر عرضه ٢٠ ميلاً ويتراوح عمقه بين ثلاثة وستة أميال ، وعلى يسارها نجح الامريكيون في تثبيت أقدامهم في منطقتين . ولكن الأرض الواقعة بينهما ظلت في قبضة الألمان وأمكن ايقاف التغلغل الانجليزي الأمريكي . ولكن كل الاحتياطي المتيسر قد استخدم في المعركة ، وظل القادة يترقبون بلهفة وصول القوات المدرعة للقيام بهجوم مضاد لالقاء العدو في البحر مرة أخرى . ولكن لم يصل شيء . وكانت الذخيرة تتناقص مما اضطرنا لفرض قيود على استهلاكها على طول الجبهة ، وبدأ الشعور باليأس ينتشر بين الضباط الذين ظلوا على قيد الحياة وهو شعور كان في النهاية سيسود الجميع خلال المعركة .

ولكن ما الذي كان يدور في المؤخرة أثناء كل هذا ؟ ففي ليلة ٥ حزيران أنذر الفيلد مارشال فون رونشتدت فرقة البانزر ليهر وفرقة البانزر العاصفة (١٢ س س) « الشبيبة الهتلرية » ، (وكانت هاتان الفرقتان المفروض وجودهما على الساحل لو نفذت القيادة كلام رومل) ولكن القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية أخطرته بأنه لم يتأكد بعد أن الانزال في نورماندي هو الهجوم الرئيسي وعليه فيجب الانتظار . وحدثت تعطيلات أخرى ، وعناصر هاتين الفرقتين لم تبدأ في التحرك نحو الساحل حتى مساء يوم ٦ حزيران .

وقد قام الجنرال شبايدل باستدعاء رومل الى فرنسا على الفور ، كان الجنرال شبايدل رئيس أركان حرب رومل ، وكان يتعاون معه بتوافق نادر) .

ويمكن معرفة تقدير رومل الموقف في الأيام الأولى للمعركة من وثيقة كتبها في يوم ١٠ حزيران عام ١٩٤٤ .

رومل يوضح نوايا الحلفاء من عملية نورماندي .

ان سير المعركة في نورماندي حتى الآن يبين بوضوح نوايا العدو وتتضمن الآتي :

(١) اكتساب رأس جسر عميق بين نهري الأورن والفير كنقطة وثوب لهجوم قوي الى داخل فرنسا وأغلب الأمر ان يكون اتجاهه باريس .

ب) عزل شبه جزيرة كوتنتان والاستيلاء على شير بورج في أقرب وقت ممكن بغرض اكتساب ميناء كبير له طاقة تفريـغ ضخمة . وهناك ايضاً احتمال (من واقع تطور الأمور) ان العدو قد يستغني عن شبه جزيرة كوتنتان ، لو كانت المعركة أعنف مما توقع ، وربما انطلق مع دفع كل امكانياته المتيسرة الى داخل فرنسا مباشرة .

ونتيجة للدفاع العنيد الذي أبدته قوات الدفاع الساحلي والهجمات المضادة الفورية التي شنتها القوات الاحتياطية المتيسرة في هذا الحين فإن هجوم العدو (بالرغم من قوة مجهوداته) قد بطأ عما كان يأمل ، ويبدو ان العدو دفع بقوات اكبر مما كان ينوي في أول الأمر .

ويبدو ان العدو يقوم تحت ستر قواته الجوية الكبيرة للغاية بتدعيم قواته على البر ، ولا تستطيع قواتنا الجوية ولا البحرية ان تعرقل مجهوداته وخصوصاً اثناء النهار . وينتج عن هذا ان قوات العـــدو في رأس الجسر تزيد بمعدل أكثر بكثير من معدل وصول قواتنا الاحتياطية الى هناك .

ونظراً لقوة العدو الجوية المتفوقة فسيصعب احضار الفيلق الأول المدرع (عاصفة) واللواء ٧ صواريخ والفيلق المضاد للطائرات وفيلق « مايندل » الى نهري الاورن والفير بسرعة تكفي لتمكين هذه القوات من مهاجمة العدو بعد نزوله . وما يزال لواء الصواريخ والفيلق المضاد للطائرات وفيلق « مايندل » في طريقهما للأمام ، اما الفيلق الاول العاصفة المدرع فقد اضطر للالتجـــاء للدفاع بعد قتال عنيف .

وفي الوقت الحالي يجب أن تكتفي مجموعة الجيوش بتكوين جبهة متصلة بين نهري الأورن والفير باستخدام القوات التي تصل تدريجياً وعـــدم السماح للعدو بالوصول إلى هذا الخط. ولسوء الحظ لا يمكن تحت الظروف الحالية إعطاء راحة للقوات التي ما تزال صامدة في نقط عديدة على طول الساحل .

وتحاول مجموعة الجيوش إستبدال التشكيـلات المدرعة الموجودة في الخط الحالي بقوات من المشاة بحيث يمكن استعمال المدرعات كاحتياطي خفيف الحركة خلف الجبهة .

كما تنوي مجموعة الجيوش نقل مركز الثقل في عملياتها إلى نقطة بين كارنتان

ومونتبورج خلال الايام القليلةالقادمة بقصد تدمير العدو في هذا القطاع وإبعاد الخطورة عن شيربورج ، ولا يمكن القيام بأي هجوم على العدو بين نهري الأورن والفير حتى إتمام هذه العملية .

التفوق المادي الضخم للحلفاء :

العوامل الآتية ستعرقل عملياتنـا في نورماندي بدرجة كبيرة قد تبلغ في بعض الأماكن إلى حد الاستحالة وهي :

(ا) السيادة الجوية الساحقة لقوات العدو :

من خلال تحدثي أنا وضابط أركان حربي المتكررة (ومن تقارير القـادة الميدانيين ومن ضمنهم الزعيم الأعلى سبت ديتريـخ) .

كان العدو يتفوق في القوات الجوية فوق منطقـة المعركة إلى نقطة تبعد حوالى ٦٠ ميلاً خلف الجبهة . وتتوقف تحركاتنا أثناء النهار تماماً على وجـه التقريب على الطرق والخطوط الحديدية والمدقات والأرض المفتوحة وذلك لنشاط تشكيلات القاذفات المقاتلة وينتج عن هذا شلل حركة قواتنا في المعركة ، وفي نفس الوقت يستطيع العدو الحركة بحرية . وتتعرض كل المدقات في الخلف لهجوم مستمر ويصبح من الصعب للغاية توصيل الإمدادات الضرورية من الذخيرة والوقود للقوات المقاتلة .

علاوة على ذلك فجميع تحركات التشكيلات الصغرى نحو ميدان المعركة (كتحرك المدفعية إلى مواقعها وتشكيل المدرعات للهجوم وما إلى ذلك) أصبحت معرضة لهجوم فوري من الجو ، بآثار وخيمة . وفي النهار تضطر القوات المقاتلة والرئاسات للبحث عن سواتر في الأرض المغطاة بالغابات والاراضي الضيقة بغرض الهروب من الضرب المستمر من الجو . وفي ٩ حزيران كان الموقف في جبهة القتال خلف فيلق العاصفة كالآتي : توجد أعداد كبيرة من أسراب القاذفات المقاتلة المعادية تطير فوق ميدان المعركـة باستمرار بينما تقوم تشكيلات قوية من القـاذفات بإلقـاء حمولات ثقيـلة من القنابل على القوات والقرى والجسور وتقاطـع الطرق بغض النظر عن سلامـة السكان المدنيين . ولا تستطيع مدفعيتنا المضادة للطائرات ولا سلاحنا الجوي ايقاف التأثير المدمر

لسلاح العدو الجوي الذي تسبب في شللنا (وصلت طلعاتـــه حوالي ٢٧,٠٠٠ طلعة في اليوم الواحد) . وتقوم القوات التابعة للجيش أو لفرق السلاح الجوي الأرضية بالدفاع بقدر ما يمكنها بالإمكانياف المتوفرة لها ولكن الذخيرة في عجز مستمر ولا يمكن تعويضها إلا بصعوبة كبيرة .

(ب) تأثير المدفعية البحرية الثقيلة :

وقد استخدموا ضدنا حوالي ٦٤٠ مدفعاً ثقيلاً من المدفعية البحرية وكان أثرها بالغاً الخطورة علينا لحد أننا أصبحنا عاجزين عن القيام بأي عملية من أي نوع لا بفرق المشاة ولا بالدبابات في المنطقة الواقعة تحت تأثـــير هذه النيران الشديدة ، ومع ذلك فبالرغم من هذا القصف العنيف فإن الحاميات الساحلية والوحدات التي قامت بالهجوم المضاد في منطقـــة مونتبورج بقيت صامدة في مواقعها بعناد مستميت . ولكن يمكننا أن ننتظر استمرار سفن العدو الحربية في التدخل ما لم تهاجمها بحريتنا وطائراتنا وخاصة في شبه جزيرة كوتنتـــان مستخدمين في ذلك الذخيرة بسخاء بالغ .

(جـ) العتاد الأمريكي الذي يضم أسلحة حديثـة عديدة أقوى بكثير من تسليح فرقنا :

تصطدم تشكيلات العدو المدرعة (أخـبرني الزعيم الأعلى سبت ديتريخ) على مسافات تصل إلى ٢٥٠٠ ياردة ومن خلفهـــا دعم جوي ضخم . وهذا هو نفس الموقف في معركة العلمين . ويضاف إلى ذلك تفوقهم الضخم في المدافـــع وكمياتهم الضخمة من الذخيرة .

(د) استخدام العدو لقوات المظلات والقوات المحمولة جواً بأعداد كبيرة وبمرونة كبرى :

علمنا ان القوات التي تشتبك معها تلاقي صعوبة شديدة في القضاء عليهـــا . وأينما نزلت في أرض لا تحتلها قواتنا تقوم بالحفر على الفور ولا يمكن طردها منها بواسطة فرق المشاة مهما عاونتها المدفعية. وعلينا ان نتوقع عمليات إنزال أخرى خاصة في الاماكن التي لا تحتلها قواتنا ، ولسوء الحظ أن طائرتنا لم تتمكن من التدخل ضد هذه التشكيلات كما كنا ننوي أصلاً . وبمـا أن العدو يستطيـع بواسطة سلاحه الجوي تجميد تحركات قواتنا الخفيفة الحركة لبضعة أيام ، بينما يستطيع القيام بعمليات بقواته الميكانيكية وقواته الاستطلاعية لذلك يصبح

موقفنا صعباً جداً .

وتقاتل قواتنا من جميع الفئات بعناد مستميت وبشجاعة فائقة رغماً عن التفوق المادي الضخم الذي يتمتع به العدو وأرجو أعلام الفوهرر بكل هذا..»

ولكن هتلر اعترض على خطة روميل بالتحرك لمهاجمة رأس الجسر الأمريكي في منطقة كارنتان – مونتبورج ، وأصدر أوامره بدلاً من ذلك إلى مجموعة الجيوش « ب » بالهجوم على رأس الجسر البريطاني من منطقة كان . كما أمرها باستخدام الإمدادات التي أرسلها لها ، في هذه العملية . ومع هذا فان رأس الجسر الأمريكي في الكرنتان لم تكن أخطر من رأس الجسر البريطاني ، لأنه يمكن استعماله كقاعدة وطيدة لعزل شبه الجزيرة تماماً ، بالاضافة إلى أنه يضم قوات أقل عدداً في بداية الأمر ، ومع هذا فان الهجوم الذي أمر به هتلر في كان لم ينته إلى شيء لأن القوات البريطانية ساندت بأسرع مما ساندت قواتنا واستطاعت بذلك ان تحصل على المبادأة منذ البداية .

ويقول الجنرال شبايدل في كتابه : « دفاعنا عن نورماندي » لقد منعت القياده العامة للقوات المسلحة الألمانية القائد العام في الغرب والقائد العام لمجموعة الجيوش « ب » بعد الإنزال من سحب أي فرقة من فرقه من منطقة شمال نهر السين ، واحتفظت لنفسها بهذا الحق بالنسبة لأي فرقة . كما أنها أرسلت لقيادة مجموعة الجيوش « ب » وللقائد العام في الجبهة الغربية عدة تقارير للمخابرات تقول أن الحلفاء أحتفظوا بقوات الجزر البريطانية تكفي للقيام بانزال آخر . وقد قال روميل لإبنه قبل وفاته أنه يظن انه كان من الممكن لو سحبت أغلب القوات الألمانية من منطقة كاليه أن يحدث إنزال آخر للحلفاء هناك . وكانت خطة الحلفاء تقضي بالاشتراك بجمع القوات الألمانية في نورماندي وتحطيم الجسور على نهر السين بواسطة هجوم جوى عليها ثم النزول بعد ذلك في المنطقة والتقدم إلى وادي الروهر ، وهذا لا يمكن التغاضي عن احتمال وقوعه . ولكنه أدرك فيما بعد ان ترك القوات الألمانية في منطقة كاليه كان خطأً كبيراً .

وأثناء معركة الغزو أنعقد اجتماعين بين هتلر وفون رونشتدت وروميل ، أولهما في ١٧ حزيران ١٩٤٤ قرب سواسون . وقد أفتتح روميل الاجتماع بتقديم تقرير عن الموقف وصف فيه مدى استحالة التصرف وسوء الظروف التي يقاتل فيها الجندي الألماني مكرهاً وطلب من هتلر (وعاونه بذلك فون رونشتدت

ان يذهب إلى الجبهة ليكون صورة صحيحة عن الموقف بنفسه ويتحدث إلى قادة الميدانيين مباشرة . وكان الجيش قدعلم أن تشرشل كعادته قد زار القوات البريطانية في جبهة الغزو ، وكانت القوات الالمانية في الغرب تحس بخيبة أمل شديدة لعدم زيارة الفوهرر لها حتى هذا الحين . وأن تدوين كلمات رومل الأخيرة لتلقي ضوء مهماً على الخطة التي اقترحها كمحاولة أخيرة لتدمير الحلفاء . وقد قال فيما بعد لعائلته أن هذه المحاولة كانت ستفشل في غالب الأمر ولكن نجاحها كان مأمولاً بينما الاستمرار في هذه الحرب الثابتة كان سيؤدي حتماً إلى تدمير مجموعة الجيوش « ب » في مدة أسابيع قليلة .

« وقد حذر القائد العام لمجموعة الجيوش « ب » من القيام بأي عمليات في الجبهة بواسطة الهجوم لأن هذا سيستهلك قوة فرق البانزر . وأقترح وضع فرق من المشاة في قطاع نهر الأورن ، وتظل حالياً فرق البانزر القريبة غربي كان مع تجميع أحتياطيه على الأجناب . وبعد الانتهاء من سير الأقتراب تتم عملية انسحاب محدودة نحو الجنوب بغرض توجيه ضربة مدرعة إلى جنب العدو المتقدم في أعقاب هذا الانسحاب ، وبذلك نخوض المعركة خارج مرمى مدفعية العدو البحرية ... »

الصمود بعناد في كل شبر من الارض

وفي صباح اليوم الثاني بعد سقوط إحدى قنابل الطائرات الضالة بالقرب من مقر قيادة هتلر قفل عائداً إلى المانيا تاركاً الجبهة الغربية مع مصيرها . ولم يتم شيء من العملية التي اقترحها رومل ، وإنما قيل ان النصر يمكن تحقيقه فقط ، « بالصمود بعناد في كل شبر من الأرض » .

واخيراً في ٢٩ حزيران ١٩٤٤ ذهب فون رونشتدت ورومل مرة ثانية إلى هتلر وتقابلا هذه المرة في برختسجادن للاطلاع على آراء القيادة العليا بالنسبة للموقف في جبهة الغزو . والكلمة التي وجهها هتلر اليهم والتي سجلت في ملخص على شكل نقط تعطي فكرة عن افكاره المشوشة في ذلك الوقت :

« بعد تقدير دقيق للموقف وقد أشير فيه بالذات لسيطرة العدو الجوية ولآثار مدفعية العدو البحرية وأخيراً لإدارة العمليات المنظمة التي يشوبها الجمود

من جانب البريطانيين القائمين باستخدام كميات هائلة من العتاد ، أصدر الفوهرر تعليماته التالية ، للاستمرار في القتال مع اتباع الأسس الآتية .

(أ) أولاً حدد الفوهرر أن الغرض الأساسي هو وقف هجوم العدو كشرط أساسي ضروري لتحطيم رأس الجسر .

(ب) على السلاح الجوي الألماني أن يخلق ظروفاً من الإزعاج المستمر فوق رأس الجسر المعادي بإستخدام أحدث أنواع الطائرات (الطائرات النفاثـــة والصاروخية) وعليـــه ان يشتبك مع طائرات العدو فوق رأس الجسر وتدميرها .

(ج) الاستمرار في بث الألغام في البحر لشل خطوط مواصلات العـدو ولإزعاج سفن العدو الحربية الموجودة بالقرب من السواحل بقدر المستطاع .

(د) إستخدام قنابل خاصة للاشتباك مع البوارج . وفي هذه النقطة أوضح الفوهرر أنه يعتبر تدمير بوارج العدو هدفاً مهماً جداً .

(ه) إنشاء مراكز مضادة للطائرات على طرق المواصلات . ولهذا الغرض يجب وضع مدافع الطائرات القديمة والأسلحة المضادة للطائرات الأخرى المتيسرة في المراكز على طول خطوط المواصلات بين باريس وميدان المعركة ليصبح ضرب هذه الطرق من الجو مستحيلاً على العدو .

(و) الحصول على ١٠٠٠ طائرة مقاتلة على الفور من الإنتاج الجديد لتحقيق السيطرة الجوية فوق منطقة محدودة لمدة أيام محدودة من كل أسبوع على الاقل ، شرط ان تستخدم هذه الطائرات في عمل ثلاث جولات يومياً مع الطائرات المتيسره حالياً ، وبذلك يمكن الوصول لمجموع قدره ١٥٠٠ جولة في اليوم .

(ز) تستخدم البحرية كل وحداتها المتيسره بما في ذلك زوارق الطوربيد والغواصات وغواصات الجيب . وتبعاً لتقرير كبير أمراء البحار دونيتز كان عدد السفن التي يمكن استخدامها ضئيل للغاية . وفيما يلي تفصيلها : —

زورق طوربيد واحد في الهوفر ، و ١٢ زورق طوربيد في نفس الميناء (طراز ه) و ٨ غواصات مجهزه بجهاز التنفس تحت المياه (شنور كل) .

وقام بعد ذلك فون رونشتدت ورومل باعطاء رأيهما عن الموقف .

ثم سأل رومل هتلر كيف تتخيل بعد كل هذا أن الحرب يمكن كسبها ؟

ونتيجة لهذا السؤال توقع المارشالان إعفائهما من منصبيهما. ولكن من الغريب أن روميل بقي في قيادته ولم يستدع سوى رونشتدت الذي حل محله الفيلد مارشال فون كلوجه . وفي مقر قيادة الفوهرر قام كل من هتلر وجودل وكيتل بتحذير كلوجه من روميل لكونه مستبد برأيه وداعية للهزيمة ومتمرد . ويضاف إلى هذا أن الموقف العسكري قد صور لفون كلوجه على أساس أنه غير خطير. ونتج عن هذا أنه وصل لمقر قيادة روميل معبئاً بهذا التفاؤل المبالغ فيه الذي كان يظهره القادة القادمون من الجبهة الشرقية في أيامهم الأولى في مسرح العمليات الغربي . ووجه كلوجه تقريعاً عنيفاً لروميل . ولكن الأخير لم يكن مستعداً لقبول الاتهامات الموجهة اليه فقد أرسل الخطاب التالي لفون كلوجه :

من رئاسة مجموعة الجيوش «ب» في ٥ تموز ١٩٤٤

إلى القائد العام للجبهة الغربية :
الفيلد مارشال فون كلوجه
مرفق بهذا لحضرتكم تعليقاتي حول الأحداث العسكرية في نورماندي حتى تاريخه .

إن اللوم الذي وجهتموه إليّ في بداية زيارتكم بحضور رئيس أركان حربي ورئيس عملياتي على أساس أنه يترتب عليّ « أن أبدأ في التعود على تنفيذ الأوامر » قد آلمني للغاية . وأنا أطلب منكم أن تفسروا لي أسباب هذا الاتهام .

الفيلد مارشال
توقيع (روميل)

وفي الوثيقة التي أرفقها في هذا الخطاب والتي كان روميل قد أرسلها إلى هتلر من قبل ذلك قرر بكل وضوح انتقاداته على إدارة العمليات الحربية في نورماندي .

القائد العام لمجموعة الجيوش « ب »
قيادة المجموعة في ٣ تموز ١٩٤٤ .

مذكرة

فيما يلي توضيح لأسباب استحالة الصمود على ساحل نورماندي وفي شبه جزيرة شيربورج وحصن شيربورج .

١ – كانت القوات المدافعة عن نورماندي ضعيفة وفي بعض الحالات كان أفرادها من الكهول (مثلاً الفرقة ٧٠٩ كان متوسط الأعمار فيها ٣٦ سنة) وكان تسليحها غير مناسب للحرب الحديثة وكميات الذخيرة محدودة والإنشاءات الدفاعية غير كاملة اطلاقاً وكان الموقف الإداري سيئاً للغاية .

٢ – لقد رفضت كل طلبات الإمداد المقدمة من مجموعة الجيوش « ب » قبل الغزو وخاصة في نهاية شهر ايار عندما وضح التهديد الموجه لنورماندي . وأهم هذه الطلبات الطلب بتحريك الفرقة ١٢ س س بانزر عاصفة (الشبيبة الهتلرية) إلى منطقة بين ليساي و كوتانس ، لكي تتمكن من الهجوم القوي على أي عدو ينزل على أي من الساحلين الشرقي أو الغربي لشبه جزيرة كوتنتان .

وكان إحضار هذه الفرقة المدرعة من مواقعها جنوبي نهر السين في ظروف التفوق الجوي للعدو التي كنا نتوقعها سيستغرق يومين على الأقل ، وسيؤدي إلى تكبدها خسائر جسيمة . وكان الكولونيل جنرال جودل يعلم هذه الحقائق لأنه قبل غزو العدو بقليل سألني بواسطة الجنرال بوهلة عن الوقت الذي تقتضيه الفرقة لتتمكن من الدخول في العمليات في نورماندي . ومع هذا فإن طلباتي المتكررة لإرسال هذه الفرقة رفضت وكل ما تلقيته هو وعد بأنه في حالة أي هجوم معاد ستوضع تحت قيادتي على الفور .

٣ – لم ينفذ اقتراحي بوضع فرقة البانزر (ليهر) بحيث تتمكن من المشاركة بسرعة في معركة ساحلية في نورماندي ، وذلك يرجع لخوف القيادة من إنزال جوي للعدو في المنطقة المجاورة لباريس .

٤ – في نهاية شهر أيار طلبت مجموعة الجيوش قوات كبيرة من المدفعية المضادة للطائرات لتوزعها على القطاع وخصوصاً في المناطق التي كان العدو يهاجمها فيها دون أن يلقى أي مقاومة مثل مواقع مدفعيتنا وتحصيناتنا ، وبناء على نصيحة قائد الفيلق الثالث المضاد للطائرات اقترحت وضع الفيلق كله كتشكيل محشود فيما بين مصب نهر الأورن ومونتبورج (على بعد ١٨ ميل

جنوب شرق شيربورج) لأن هـــذه المنطقة بالذات كانت معرضة لنشاط العدو الجوي ولكن هـــذا الطلب لم ينفذ ايضاً ، وبدلا من هذا استخدم الفيلق في واجبات خفيفة الحركة مستقلة بحيث وضع آلايين منه على جانبي السوم وآلاي ضعيف بين نهري الأرون والفير . وهذا التقسيم لقـــوة الفيلق المضاد للطائرات أدى إلى إضعاف قوة الدفاع عن نورماندي ، وقد برره المسئولون على أنه بسبب النقص وبذا ظل آلايان في المنطقة المحيطة بقواعد إطـلاق الصواريخ (ف ٢) للقيام بحمايتها عندما بدأ القتال .

٥ — لقد توقعت أن تحريك النجدات للامام سيكون صعباً بعد بدء الهجوم ، لذلك اقترحت تدعيم دفاعات نورماندي بتحريك اللواء ٧ صواريخ إلى المنطقة جنوب كارنتان . ولم يوافق على الاقتراح ولم يوضع اللواء تحت قيادتي إلا بعـد الإنزال وعليه فلم يدخل المعركة في الأيام الأولى للغزو .

٦ — طالبت مراراً بوضع الألغام في خليج السين وباستخدام أحدث أنواع الالغام لحرمان العدو من الظروف التي تساعده على النزول بواسطة البحريـــة والطيران . وهذا الخليج بالذات مناسب للتلغيم نظراً لقلة عمقه . ولم يبـدأ بث الألغام إلى بعد نزول العدو وتحت ظروف صعبة جداً وخاصة من القوات الجوية المتحالفة .

٧ — صدرت الأوامر من رئيس هيئة الإمداد والتموين بتقليل كميات الذخيرة المخصصة لنورماندي كجزء من خطة سحب الذخـيرة جزئياً من الجبهة الغربية لزيادة احتياطي الخطوط الخلفية من القاعدة ومخازن الجيوش . وهـذا سيؤدي إلى خفض مرتبات الذخيرة عما كانت عليه . ولكن مجموعة الجيوش نجحت في مقاومة هذه الأوامر بسبب روح المبادأة التي أبداها الجنرال ماركس .

٨ — الرغم من وجـود شبكة للخطوط الحديدية والطرق البرية فقـــد اصبحت حالة الامدادات وخاصـــة في نورماندي صعبة وبالفعل قبل الغزو ، وذلك لضرب منشئات السكة الحديدية من الجو .

٩ — بعد نجاح العدو في تثبيت أقدامه على القارة كانت خطة مجموعة الجيوش « ب » تتضمن القيام بإبادة رأس الجسر شمال كارنتال بعد وصول تعزيزاتهـــا وبذا تقضي على أي تهديد لشبه جزيرة كوتنتان وحصن شيربورج ، على ألا يتم الهجوم على العدو بـــين نهري الآورن والفير إلا بعد إتمام هذا . ولكن القيادة

العليا للقوات المسلحة الألمانية لم توافق وأصدرت أوامرها بنقل مجهودنا الرئيسي إلى الضفة الشرقية لمصب نهر الأورن .

١٠ – لم تصل العناصر الأمامية من الفرقة ١٢ س. س بانزر عاصفة (الشبيبة الهتلرية) إلى المنطقة الواقعة شمالي غربي (كان) حتى يوم ٧ حزيران لأنها تكبدت خسائر جسيمة من الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض . ثم لم يتوفر لها لا الوقت ولا المكان اللازم للعمليات مما أدى الى عدم تحقيق القصد من هجومها .

أما فرقة البانزر (ليهر) فقد كان عليها قطع ١١٠ ميلاً ولذلك لم تصل وحدتها الأمامية إلى ميدان القتال غربي كان حتى يوم ٨ حزيران . وقد عرقل تقدمها هي أيضاً الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض وانفصلت العربات ذات العجلات عن العربات ذات الجنزير ونتج عن هذا عدم قدرتها على القيام بالهجوم بل لقد لاقت صعوبات كبيرة في المحافظة على مواقعها في مواجهة ضغط الأعداء الذين دعموا قواتهم في هذه الأثناء . ومن النتائج الخطيرة لكل هذا أن هذه الفرقة فشلت في الاتصال بوحدات الفرقة ٣٥٢ مشاة التي كانت مشتبكة في القتال في بابوكس وبالطبع لم تستطع معاونتها .

وقد وصلت الوحدات الأمامية من الفرقة ٢ بانزر (التي كان علينا إحضارها من مكانها على ضفتي نهر السوم) في يوم ١٣ حزيران بعد أن قطعت أكثر من ١٦٠ ميلاً . وقد لزمها سبعة أيام أخرى قبل أن تستطيع الدخول في القتال كفرقة منظمة .

أما الفرقة ٣ مظلات فقد لزمها ستة أيام لاقترابها (من بريتاني إلى منطقتها في جبهة القتال شمال شرق سان لو) وأثناء هذه المرحلة تعرضت لضرب مستمر من الجو . وعند وصولها كان من الصعب قيامها بهجوم على بابوكس لأن غابة سيريزي كانت قد سقطت في أيدي قوات كبيرة من الأعداء .

ولزم للفرقة ٧٧ ستة أيام قبل أن تستطيع التدخل بجزء من قوتها في القتال في شمال شبه جزيرة كوتنتان .

وكل هذه القوات الاحتياطية وصلت متأخرة جداً ولم تقوى على تحطيم إنزال العدو بهجوم مضاد سريع ، بل لدى وصولها كان العدو قد أنزل قوات أكبر وبدأ هو في الهجوم تحت ستر قوات قوية من الطيران والمدفعية .

١١ — لم يستطع سلاحنا الجوي مساعدتنا على النطاق الذي قدرناه قبل المعركة . وكان العدو محرزاً للتفوق الجوي على أرض المعركة وما وراءها إلى نقطة تبعد عنها حوالي ٦٠ ميلاً خلف الجبهة وقد قام بتحطيم تحصيناتنا الدفاعية في المناطق الساحلية بتشكيلات ضخمة وقاوم بفاعلية سير اقتراب قواتنا الاحتياطية وإمداد وتموين قواتنا ، بتدميره لشبكة السكك الحديدية .

١٢ — لم يكن نشاط سلاحنا البحري على المستوى المتوقع هو الآخر . (فقد استخدم ٦ غواصات فقط بدلا من ٤٠ وعدنا بها) ونظراً لسوء الحالة الجوية فلم تكن هناك أي سفن إنذار في خليج نهر السين في ليلة ٥ حزيران . وكان نشاط الغواصات ضد الأسطول المهاجم على نطاق محدود نسبياً . ونتج عن هجوم العدو الجوي على الهوفر في ١٢ حزيران أن فقدت البحرية جزءاً كبيراً من وحداتها التي كانت ستستخدمها ضد أسطول الانزال .

اما عملية زرع الألغام في خليج السين التي بدأ تنفيذها بعد الغزو مباشرة فإنها لم تظهر نجاحاً ملحوظاً . وما تزال عمليات الإنزال تتم على أوسع نطاق والقصف الجوي والبحري شديد « على نطاق لم يسبق له مثيل » (كما جاء في تقرير الفيلق الثاني بانزر عاصفة) مما سبب صعاباً خطيرة لجبهتنا .

(١٣) مجموعة الجيوش لم يكن لها يد في تنظيم الامدادات والتموين فليس لديها أركان حرب للشئون الادارية ولم يكن لديها السلطة (في البداية) لاصدار الأوامر لرئيس الشئون الادارية في قيادة الجبهة الغربية .

(١٤) تسلسل القيادة غير سليم . ففي بداية الغزو لم يكن لمجموعة الجيوش أي سلطة على التشكيلات الميكانيكية لمجموعة البانزر الغربية لواء الصواريخ . ومن حيث « إدارة » الفيلق المضاد للطائرات فقد اوضحت وجهة نظري قبل ذلك في تقرير لي . وان النصر النهائي لن يتأت إلا بقيادة موحدة مترابطة لكل الأسلحة على نحو قيادة مونتغمري وايزنهاور .

الفيلد مارشال

توقيع (رومل)

وعندما تفقد كلوجه الجبهة في نورماندي غير رأيه تماماً . كما انه اعترف بصحة التقارير التي بعث بها رومل لمقر قيادة الفوهرر في نهاية حزيران والتي جاء فيها :

« ان تفوق العدو الجوي يقيد كل التحركات من ناحية المسافة والزمن ويجعل قياس الزمن اللازم مستحيلا ، بالنسبة للقوات المدرعة او المحملة على مستوى فرقة فأكبر لأن احتمالات القدرة على القيادة والمناورة محددة بفترة الليل أو الفترات التي يسود فيها الجو الرديء .

وهذا سيؤدي إلى حصر قوتنا على القيام بعمليات محـــدودة ذات اهداف محدودة . أما العمليات النهارية فانها لا تزال ممكنة شرط ان توفر الدفاع المضاد للطائرات الكافي لمجموعة قتال مدرعة صغيرة » .

ولم نجد اي اوراق في حوزة رومل تبين لنا دوره في مؤامرة ٢٠ تموز وهذا يرجع لأنه أحرق جميـع الاوراق التي قد تدينه أو تدين قومـاً آخرين ولكن هناك نقطة أو اثنتين يجب توضيحها .

رومل يعتبر ان الانقلاب ضد هتلر قبل الغزو خطأ :

إن رأي رومل الخاص باحتمال ضرورة الوصول عند حـدوث أي طاريء لصلح معقول (ولو ضد رغبة هتلر) يرجع لصيف عام ١٩٤٣ . ولكن ممـا قاله فيما بعد لزوجته وابنه يبدو أنه كان يشعر بأن أي « انقلاب » ضد هتلرقبل الغزو كان خطأ ، وقد حدد النقط التالية لتوضيح رأيه :

١ — حتى بداية الغزو كانت الجبهة الوحيـدة التي تقاتل فيهـا المانيا هي الشرق . وأي انقلاب في ذلك الوقت سيؤدي لانهيار الجبهة الروسية مما يمكن الروس من اجتياح وسط أوروبا دون ان يتمكن البريطانيون او الأمريكيون من ايقافهم .

٢ — في ربيـع عام ١٩٤٤ كانت الظروف النفسية لتمرد عسكري غـير موجودة لأن القوات الموجودة في فرنسا واغلب الضباط (هناك) كانوا مقتنعين بامكانية دحر البريطانين والامريكيين ، وان المانيا في النهاية ستتمكن من قت وقف الروس بواسطة اسلحتها الجديدة (مقاتلاتها النفاثة واسلحتهـا السرية ودباباتها الجديدة) .

٣ — ولو ان المانيا نجحت بالفعل في صد البريطانيـين والأمريكيين فإنهم قطعاً سيتنازلون عن طلبهم بالاستسلام دون قيد او شرط ، لخوفهم من اجتياح

الروس لأوروبا بأسرها أو بقيام المانيا بالهجوم مرة أخرى في الجبهة الروسية وهذه الفرصة الأخيرة لقبول صلح بشروط لا يمكن لالمانيا ان تضيعه .

وكانت فكرة روومل في انه لو امكن وقف الغزو ، فان الغرب سيفكر في الاشتراك مع المانيا في قتالها ضد الشرق . وكان لا يعتقد على الاطلاق ان الحلفاء الغربيين قد يساندون البلشفية كما فعلوا بالفعل . وقد قام بمساعدة الجنرال شايدل (رئيس اركانه الكفء المخلص) للاتصال برئاسات مختلفة قبل الغزو بالفعل وتم مناقشة احتمالات مثل هذه الظروف .

وبالرغم من ان روومل قد علق على أحداث ٢٠ تموز لعائلته وضباط أركان حربه قائلاً : « إن شتاوفنبرج افسد العملية وان أي جندي مقاتل كان بوسعه القضاء على هتلر » ولكن يجب ان نتذكر ان كلامه هذا كان نابعاً من الغضب الذي تملكه عندما امر هتلر بشنق الجنرالات والسياسيين الذين اشتركوا في المؤامرة . وفي الواقع ان روومل لم يعرف طبعاً أي شيء عن محاولة اغتيال هتلر ولم يوافق عليها وقد علم بها قبل وفاته بقليل لأنه قال لأبنه ما نفرد :

« إن محاولة اغتيال هتلر تدل على الغباء . فان ما تخافه من هذا الرجل ليس أفعاله وإنما الهالة التي تحيط بشخصه في نظر الشعب الألماني . ويجب الا تكون بداية الثورة في برلين وإنما في الغرب . ولكن ما الذي كان يمكن ان نحققه بواسطتها ؟ سيتحول الاحتلال الأمريكي والبريطاني لألمانيا بالقوة ، إلى مجرد تقدم سلمي وإيقاف الهجمات الجوية ، ثم سيستطيع الأمريكيون والبريطانيون إبقاء الروس خارج المانيا . اما بالنسبة لهتلر فكنا سنواجهه بالأمر الواقع » .

وكانت هذه الحجج في الغالب هي التي دفعت بروومل وشايدل إلى تقرير البدء في محادثات منفصلة للصلح مع الحلفاء الغربيين بعد ان وصلا لإدراك ان الجبهة الألمانية في فرنسا ستنهار بعد اسابيع معدودة . وكان كل شيء معداً وفون كلوجة وكثيرون غيره موافقين عندما تدخل القدر في ١٧ تموز وجرح روومل جرحاً بواسطة طائرة معادية بالقرب من ليفاروت أخرجته من حلبة الصراع .

وقبل هذا الحادث بوقت قصير بعث الى هتلر بتقريره الأخير موضحاً موقفه وآرائه حتى لا يقال انه طعن أحداً من الخلف .

قيادة مجموعة الجيوش «ب» في ١٥ تموز

القائد العام لمجموعة الجيوش «ب» .

الموقف في جبهة نورماندي يزداد كل يوم سوءاً ويقترب مرحلة خطيرة متأزمة . ونظراً لصعوبة القتال وحشد العدو المخيف للعتاد وخصوصاً للمدفعية والدبابات ، ونتيجة لسيادته الجوية المطلقة فوق ميدان القتال فان خسائرنا قد تزايدت حتى اصبحت القوة المقاتلة لفرقنا في إنخفاض مستمر علاوة على ان التعزيزات القادمة من الوطن ضئيلة ، ونظراً لصعوبة نقلها التي تستغرق أسابيع للوصول للجبهة . ففي مقابل خسائرنا التي وصلت حتى تاريخه إلى ٩٧,٠٠٠ (منها ٢,٣٦٠ ضابط) أي بمعدل يومي يتراوح بين ٢,٥٠٠، ٣,٠٠٠ ، بينما كان الامداد بالقوات حتى تاريخه لم يصل إلى ١٠,٠٠٠ وصل منهم للجبهة بالفعل حوالي ٦,٠٠٠ .

اما الخسائر المادية فانها فادحة ايضاً ولم تستعوض حتى تاريخه الا على نطاق ضئيل للغاية ، ففي الدبابات مثلا لم يصلنا سوى ١٨ دبابة بدلا من ٢٢٥ وقد خسرناها جميعها حتى الآن .

وفرق المشاة التي وصلتنا اخيراً غير مدربة ، وضعيفة التسليح وخاصة بالنسبة للمدفعية والمدافع المضادة للدبابات والأسلحة اللازمة لقتال الدبابات على مسافات قريبة ، ولذا فهي في حالة لا تسمح لها بالصمود لوقت طويل في وجه هجمات العدو التي يقوم بها بعد ساعات من قصف المدفعية العنيف والقذف الجوي الشديد . وهذا الاسلوب الذي يتبعه العدو في قتاله وحشده واستهلاكه المخيف للعتاد سيحطم اشجع الجيوش امامه بالتدريج ويخسر رجالها وسلاحها والأرض التي تدافع عنها ايضاً .

ونظراً لدمار شبكة السكك الحديدية والتهديد المستمر من جانب سلاح العدو الجوي للطرق والمدقات إلى مسافة ٩٠ ميلا خلف الجبهة فان ظروف الامدادت والتموين وصلت لدرجة من السوء بحيث لا يصل للجبهة إلا ما يكاد يكفيها . وعليه فيجب علينا ان نفرض اقصى اساليب الاقتصاد في جميع المجالات وخاصة في ذخيرة المدفعية والهاونات. وهذه الظروف لا ينتظر تحسنها لأن نشاط العدو يقلل بالفعل من امكانيات النقل بالتدريج . ويضاف إلى هذا انه ينتظر ان يزيد من نشاطه الجوي بعد استخدامه لأراضي النزول العديدةالتي مهدها في رأس الجسر .

وإذا أرسلنا تعزيزات من القوات إلى جبهة نورماندي فهـذا سيؤدي إلى إضعاف الجيش الخامس الموجود على القنال الانجليزي أو جبهة البحر المتوسط في جنوب فرنسا . ومع هذا فإن جبهة الجيش السابع في مجموعها تحتـاج بشدة لفرقتين جديدتين لأن قواتنا في نورماندي مرهقة للغاية .

وتحت هذه الظروف يجب أن نتوقع أن العدو في المستقبل القريب سينجح في اختراق جبهتها المفتقرة للعمق وخاصة جبهة الجيش السابع ثم يشق طريقه بعمق لداخل فرنسا . وفيما عدا احتياطي قطاع مجموعة البانزر (المشتبك بالقتال على جبهتها بالفعل والذي لا يستطيع التحرك إلا ليلا بسبب تفوق العدو الجوي) فلا يوجد لدينا أي احتياطي خفيف الحركة للدفاع في مواجهة هذا الاختراق . أما عمليات سلاحنا الجوي فستظل ذات أثر ضئيل كما كانت في الماضي ، والقوات في جميع الأماكن تقاتل باستبسال . ولكن الصراع غير المتكافيء يقترب من نهايته . ومن الضروري للغاية الوصول للنتائج التي يجب الخروج بها من مثل هذا الموقف . وكقائد عام لمجموعة الجيوش أجد أن من واجبي أن أتكلم بوضوح في هذه النقطة .

توقيع (رومل)

مونتغمري يقوم بحركة كاشة :

وأكدت الأحداث السريعة كلام رومل وتحذيره من حدوث اختراق لجبهة الجيش السابع فبينما قام مونتغمري بحركة كاشة في منطقة (كان) زاد الضغط يومياً في قطاع (سانت لو) وقد توقعت قيادة مجموعة الجيوش « ب » هجوم الحلفاء من هذا القطاع ولذا حركت فرقة بانزر ليهر « التي كانت تحت قيادة الجنرال بايرلاين » إلى هناك من أمام القطاع البريطاني .

وفي ١٨ آب ١٩٤٤ رفعت تقريراً عن المعركة التي تلت هذا إلى مجموعة الجيوش . وقد وجدنا صورة من هذا التقرير ، كنت أرسلتها لرومل وكانت موجودة ضمن أوراقه وهي الأساس للكلام الذي يلي :

« فبعد القتال العنيف الذي خاضته فرقتي لم يبق من قوتها الأصلية إلا النصف ومما زاد الموقف سوءاً أني اضطررت لترك نصف ما تبقى من مدرعاتي في قطاعي

الأصلي كتدعيم لفرق المشاة التي حلت محلنا .

وفي حوالي ٢٣ تموز كانت القوات الأمريكيه قد وصلت لنقط وثوب ملائمة لهجومها واستولت على سانت لو . وكانت فرقة بانزر ليهر تحتل قطاعاً مواجهته ستة آلاف ياردة غرب المدينة ، وقد خصصت قوات ضئيلة للعمل كاحتياطي ، لذلك شكلت نطاقاً دفاعياً عمقه أربعة آلاف ياردة . وانتشرت ٦٠,٥٠ دبابة ومدافع ذاتي الحركة (كل ما تبقى للفرقة) في مواقع ثابتة لتعمل كمدافع مضادة للدبابات ، واحتلت مشاة البانزر مواقع محفورة جيداً .

وفي ٢٤ تموز هاجمت ٤٠٠ قاذفة أمريكية قطاعنا ولكنها لم تسبب خسائر جسيمة بل نجحت كتيبة مدفعيتنا المضادة للطائرات في إسقاط عشرة منها ، ولم يبدأ الهجوم الأرضي الذي كنا نتوقعه . ولكن في اليوم التـــالي وقعت أشد الضربات الجوية التي وجههـــا الحلفاء بقواتهم الجوية في المجال التكتيكي أثناء الحرب كلها . وقد علمت فيما بعد من مصادر أمريكية أنه في يوم ٢٥ تموز قامت قوة تقدر بحوالي ١٦٠٠ طائرة وأنواع أخرى من القاذفات الثقيلة بضرب قطاع فرقة البانزر ليهر من الساعة التاسعة صباحـــاً حتى حوالى منتصف اليوم . وأبيدت الوحدات التي تحتل الجبهـــة تقريباً وذلك بالرغم من تعزيزها في أغلب الحالات بأفضل وأحـــدث أنواع الدبابات والمدافع المضادة للدبابات والمدافع الذاتية الحركة .

وانهالت القنابل في كل مكان ودمرت مواقع المدفعيـــة ودفنت الدبابات وانقلبت ودمرت مواقع المشاة ودمرت الطرق والمدقـات . وفي منتصف اليوم كانت الأرض أصبحت كالقبور حيث تلامست فوهات الحفر التي احدثتهـــا القنابل ولم يكن هناك أي أمل في إخراج أي سلاح من أسلحتنا المدفونة في هذه القبور .

وقطعت كل وسائل الاتصال ولم يعـد من الممكن السيطرة على الوحدات . وكانت الصدمة التي أصابت قواتنا تفوق الوصف . وجن جنون عدد كبير من الرجال وانطلقوا يجرون على غير هدى حتى أبادتهم الشظايا . وفي نفس الوقت الذي ضربت فيه الطائرات مواقعنا قام عدد ضخم من المدافع الأمريكية بدق مواقعنا الميدانية .

وكنت موجوداً أثناء هذا الوقت في نقطة قيادة أحد الآلايات بالقرب من

لاشابيل أون جيجر ، وفي مركز الضرب ولكننا كنا نتمتع بشيء من الوقاية أكثر من غيرنا لوجودنا في قلعة نورماندي القديمة وكان سمك جدرانها عشرة أقدام . وتكرر اقتراب القنابل منا وبعضها سقط على بعد ياردات قليلة منا . وكانت الأرض تهتز والمنطقة كلها تغطيها سحابة من التراب،وفي وسطهانافورات من الطين تنطلق صاعدة في الجو . ولم نستطع ترك الملاجيء لساعات عديدة ولم أغادر القلعة إلا بعد العصر حيث انطلقت على إحدى الدراجات البخارية عائداً إلى رئاسة الفرقة .وقدتعلمت أن الدراجة البخارية افضل من السيارة لأن العدو دمر لي ست سيارات وقتل سائقيها . وقد أزعجتنا القاذفات المقاتلة عدةمرات أثناء عودتي .

وعند وصولي إلى رئاسة الفرقة بدأت أولى التقارير تصل عن تسلل الأعداء إلى المنطقة المضروبة . والوحدات القليلة التابعة لفرقتي التي نجت من الضرب قاومتهم بشدة . ولكن أغلب هذه الوحدات أبيدت بواسطة المعاونة الجوية التكتيكية القوية التي ساندت الهجوم بالضرب على أي أغراض أرضية حاولت الوقوف في طريقه . وحاولت بعض القوات الاحتياطية الضعيفة في قطاعات أخرى إيقاف هذا السيل بهجمات مضادة ولكن محاولتها تحطمت بواسطة طيران العدو ومدفعيته في مرحلة تشكيلها ولم تصل لنتيجة . وفي صباح اليوم التالي كان الاختراق الأمريكي قد تم بالفعل .

واستمر الأمريكيون طوال الصباح في تقدمهم جنوباً مستخدمين فرق المشاة التي تساندها القاذفات المقاتلة ، وفي فترة بعد العصر وصلت حشود دباباتهم لتقود التقدم . وفي خلال تحركهم اجتاحوا آخر ما تبقى من فرقتي التي كانت قد انسحبت مع قيادة الفرقة نحو الجنوب . وكنت موجوداً مع رئاستي في مزرعة نورماندية تحيط بها الجسور والتباب المنخفضة والطرق العميقة عندما علمت من دورياتي بتقدم الدبابات الأمريكية إلى المنطقة المحيطة بنا مباشرة . وبعد قليل كانت الدبابات تمر بنا فعلا . وعند رؤية رجال عرباتنا والتي كنا قد وضعناها في الأحراش على بعد قليل ، فتحوا عليها نيرانهم ودمروها كلها . وأصيبت الغرفة الأمامية لمنزلنا على الفور بقذيفة شديدة الانفجار . وكنت أرقد في الغرفة المجاورة مع خمسة رجال . وكان من المستحيل مغادرة المنزل لأن نيران المدافع الأمريكية الرشاشة كانت تزار أمام الباب مباشرة . وكانت النافذة الخلفية

مغلقة بقضبان حديدية وبذا وقعنا كالفئران في المصيدة . وتحركت الدبابات للامام ، وخفت حدة إطلاق النيران ، وأصبحنا وراء الخطوط الامريكية . وتيسرت لنا في المساء فرصة الافلات إلى خطوطنا . وتسللت مخترقاً الطرق إلى أن التقيت في حوالي منتصف الليل بعربة تائهة من فرقتي حملتني إلى الوحدات الخلفية من تشكيلي الذي أبيد عن آخره تقريباً .

وكان الامير كيون يقومون حينئذ باجتياح الارض المفتوحة وكان لا يمكن إيقافهم كما تنبأ رومل بالضبط . وبعد أن تحولوا غرباً إلى كوتانس طوقوا قواتنا الموجودة في شبه جزيرة كوتنتان وأبادوها محدثين ثغرة ضخمة في الجبهة الالمانية حيث انطلق باتون عبرها إلى قلب فرنسا ، وكانت هذه بداية النهاية وتحطم هجومنا على « آفرانس » وكانت القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانية قد وضعت هذه الخطة لعزل جيش باتون ولكن القوات الجوية الامريكية والبريطانية حطمت قواتنا في مناطق تجمعها ولم تسمح لها حق البدء في العملية ، ولولا تدخل السلاحين الجويين الامريكي والبريطاني لكان من الممكن لهذا الهجوم أن يبدأ قبل هذا بوقت طويل وكان سينتهي بنصر حاسم .

وقد كان هذا هو رأى رومل ومعظم ضباطه الكبار فلم نخسر هذه المعركة إلا بسبب السيادة الجوية المطلقة التي كان الحلفاء يتمتعون بها .

وكانت المسئوليات التي تحملها رومل والقادة والمسئولين الآخرين خلال معركة الغزو جسيمة للغاية لأن المصير النهائي للشعب الالماني كان سيتحدد على هذه الجبهة . فهناك كان سيتقرر ما إذا كانت الحشود السوفيتية ستقوم بعمل استعراض لقواتها في برلين أم لا . وهناك سيتقرر أيضاً هل ستنجو آخر المدن الالمانية أم تتحول الى تراب ورماد ؟. وخطابات رومل عن هذه الفترة التي أمكن انقاذها تروى لنا مشاعره :

بداية النهاية :

١٠ حزيران ١٩٤٤

عزيزتي لو :

... القتال الذي تلاقيه مجموعة الجيوش صعب للغاية . وقد ذهبت للجبهة

في الأمس وسأذهب مرة أخرى اليوم . وتفوق العدو الجوي مخيف جـداً على تحركات قواتنا ولا يمكن مجابهته . وأغلب الظن أننا سنذهب إلى اماكن أخرى بعد قليل ، ومع هذا فنحن نفعل كل ما بوسعنا .

١٣ حزيران ١٩٤٤

بالأمس كان الخط التليفوني في حالة سيئة للغـــاية ولكنه كان احسن من لا شيء، والمعركة تسير في اتجاه لا يبشر بالخير على الاطلاق ، والسبب الاساسي في هذا، تفوق العدو الجوي ومدافعه البحرية الثقيلة . وفي الجو نواجه ٢٧,٠٠٠ جولة للعدو مقابل ٣٠٠ او ٥٠٠ جولة من جانبنا . وقد ارسلت تقريراً للفوهرر وسيفعل رونشتدت نفس الشيء . ولقد حان الوقت لكي تتدخل السياسة في الموضوع . ونحن نتوقع ان تسقط الضربة التالية على رؤوسنا وسيزداد خطرها بعد أيام قليلة . فالقوة التي تم تدريبها لمدة طويلة لدولتـين متجانستين قد بدأت تظهر آثارها. وسينتهي الموضوع كله في وقت قصير . ونحن نفعل كل مانستطيع عمله . وانا أفكر فيك كثيراً وأتمنى لك الخير من كل قلبي وآمل ان نستطيـع الخروج بشيء معقول .

١٤ حزيران ١٩٤٤

كان القتال عنيفاً للغاية . وقد بدأ تفوق العدو الضخم (في الجو والمدفعيـة البحرية والرجال والعتاد) يظهر آثاره وانني أشك في ان الجهات العليا تدرك خطورة الموقف وانها ستتوصل الى النتائج السليمة . والإمدادات في عجز في كل مكان وكيف حالكما أنتما الاثنين ؟ لم تصلني بعد أي اخبار .

١٥ حزيران ١٩٤٤

بالأمس ذهبت إلى الجبهة . والحالة ما زالت سيئة . ويجب ان نعد انفسنا لأحداث خطيرة . وقوات العاصفة والجيش تقاتل ببسالة منقطعة النظير ولكن التوازن في القوى ينقلب ضدنا في كل يوم . وسلاحنا الجوي يلعب دوراً متواضعاً للغاية في ميدان القتال . وأنا بخير حتى الآن وعلى ان أرفع رأسي بالرغم من كل شيء حتى لا أضطر لدفن آمال كثيرة ، وتستطيعين أن تتخيلي صعوبة القرارات التي سنضطر لمواجهتها وستتذكرين محادثاتنا في ك٢ ١٩٤٢ .

١٨ حزيران ١٩٤٤

هناك فرصة لكي أرسل إليك رسالة بواسطة أحد رجالي . قابلت الفوهرر بالأمس وهو موجود في الجبهة الغربية حاليا . وقد قدمت له تقريراً مفصلا وأوضحت فيه كل شيء . وكانت الفكرة لدى القيادة العليا في أول الأمر ان القوات هنا لا تقاتل باستبسال ، ولكن بعد تقريري فلن تستمر في الاعتقاد في هذا الكلام . وقد أعطانا خصومنا انفسهم شهادة ممتازة عن كفاءة قواتي . وبالطبع خسرنا رجالا كثيرين بسبب الضرب الجوي والبحري ولكن كل رجل ظل على قيد الحياة قاتل بعدها كالشيطان .

ولو ان القوم استمعوا لكلامي وقمنا بهجوم مضاد بثلاث فرق في أول مساء لعملية الغزو لاستطعنا تدمير العدو. وحدث تأخير مخيف لاضطرار فرق البانزر للتحرك في مناطق على درجة كبيرة من السوء ولمسافات وصلت من ٢٥٠ إلى ٤٠٠ ميل للوصول للجبهة . وقد استطعنا الآن تحسين كل هذا وأنا أنظر للمستقبل بأمل أكبر عما كان عليه الأمر في الأسبوع الماضي . وقد أراحتنا كثيراً عمليات الضرب بعيدة المدى . وقد سقط عدد من الجنرالات في الأيام الاولى القليلة للقتال ومنهم فالى الذي قتل في الليلة الاولى (أي ليلة ٥ – ٦ حزيران) .

ولا يستطيع العدو الآن أن يحقق اختراقا سريعا لجبهتنا نحو باريس ، وسيصلنا مدد كثير . وكان الفوهرر راضيا للغاية . وهو يدرك أيضا خطورة الموقف .

٢٣ حزيران ١٩٤٤

من الناحية العسكرية الأمور ليست على ما يرام على الاطلاق. فقوات العدو الجوية تضرب امداداتنا بشدة وتخنقها تماما في الوقت الحالي . ولو حدثت معركة حاسمة فستكون بدون ذخيرة . وتستطيعين أن تتخيلي مدى قلقي لأن شيربورج نفسها لن تستطيع الصمود كثيراً تحت هذه الظروف . ويجب أن نكون مستعدين لأحداث خطيرة .

٢٤ حزيران ١٩٤٤

بدأت الاحداث في الشرق . وأرجو أن تسير الأمور على ما يرام هناك ولن تستطيع شيربورج الصمود طويلا رغم شجاعة مدافعيها . فبعد استخدام

العدو للكميات الكبيرة من قنابل الطائرات والمدفعية يمكنه اقتحام أي مكان. والمأساة أننا لا نستطيع الرد عليه بنفس الاسلوب . وسأذهب الى الجبهة الآن وانا أفعل ذلك كل يوم تقريباً .

٢٤ حزيران ١٩٤٤

أنا بالمستشفى وفي عناية فائقة . وبالطبع يجب أن أظل بدون حراك حتى يسمحوا لي بالحركة واعتقد انه يتم هذا بعد أسبوعين ولكن ما زالت عيني اليسرى مقفلة ومتورمة ولكن الاطباء يقولون انها ستتحسن ورأسي يسبب لي صداعاً أليماً أثناء الليل ، ولو أني أشعر بتحسن كبير بالنهار ، وان محـاولة اغتيال الفوهرر بالاضافة الى ما حدث لي قد هزني هزاً عنيفاً . ويجب ان نشكر الله على فشل كل هذا . وقد أرسلت آرائي عن الموقف قبل وقوع الحادث بوقت قصير وأنا حزين للغاية بشأن دانيل (سائق رومل) فقـد كان سائقاً بارعاً وجندياً مخلصاً .

محبتي وأحر تمنياتي لك ولمانفريد .

وبعدها بعدة أسابيع نقل رومل الى المانيا بعد أن سقط جريحـاً بواسطة إحدى طائرات الحلفاء . ولم يكن يعرف أنه بذلك قد قرر مصيره لأن هتلر قد قرر قتله بالفعل بالرغم من أنه أبرق لرومل في ٢٤ تموز الرسالة التالية :

« أرجو أن تقبل يا سيدي الفيلد مارشال أخلص تمنيـاتي لـكم بالشفاء العاجل » .

المخلص آدولف هتلر

وفيما يختص بالشهور الأخيرة من حياة رومل فلا توجد أي أوراق موجودة ولكن ابنه مانفريد الذي كان عمره خمسة عشر عاماً ، كان قد نقل الى المنزل لينضم الى رئاسة والده حيث علم الكثير عن آرائه في محادثاته اليومية بالطبع .



الفصل الثالث

الأفق المظلم

بقلم : الفيلد مارشال روميل

يعلق ليدل هارت فيقول :

« هذه الملاحظات الهامة كتبها روميل عن العمليات في افريقيا ونورماندي عندما كان في منزله في دور النقاهة بعد إصابته في نورماندي . وكانت عبارة عن مسودات غير منقحة ولم تتوفر له الفرصة لمراجعتها . وهذا ما كان سيفعله قطعاً لو أنه عاش . يجب أن نضع كل هذا في اعتبارنا عندما نجد ثغرات في التحليل أو تعليقات عابرة عن الأشخاص . وإن تقديره النهائي لكسلرينج مثال يدل على أنه كان يراجع رأيه ويصل الى حكم عادل عن الاشخاص الذين اختلفوا معه في يوم ما » .

ويبدأ روميل تعليقاته بقوله .

تفوق التسليح الانجلو ـ امريكي :

كان الاستسلام في تونس هو نهايــة حملة شمال افريقيا . وكما حدث في ستالينغراد فان تأثير غورنغ المدام كان هو السبب في القضاء على مجموعة الجيوش هناك . ونتج عن هذا وقوع مائة وثلاثين ألفاً من الجنود الالمان ومن ضمنهم رجالي الذين لم يكن من الممكن إيجاد من يحل محلهم ، وكنا محتاجين لهم

جميعاً بشدة في الدفاع عن جنوب أوروبا ضد الحلفاء .

وقد حسم الحرب في شمال افريقيا تفوق التسليح الانجلو – امريكي . وفي الواقع أنه منذ دخول امريكا الحرب أصبح أملنا في النصر النهائي ضئيلاً . وكان الأمل ما يزال يلوح طالما استمرت غواصاتنا في فرض سيطرتها على المحيط الاطلنطي لأنه مهما كان انتاج امريكا ضخماً في الدبابات والمدافع والعربات فانه لا يفيدها بشيء ما لم تستطع نقله عبر البحر . ولكن « معركة الاطلنطي » التي في الغالب حسمت الحرب ضاعت منا وخسرنا خسارات فادحة في الغواصات ، وكان كل الباقي متوقفاً على هذا الموضوع وأصبحنا معرضين للهزيمة في أي مكان تستطيع الأساطيل البحرية الانجلو – امريكية الوصول إليه .

ويضاف الى هذا انه في أي غزو انجلو – امريكي .

كان العامل الأساسي هـو قدرة « الغزاة » على تطهير رأس كوبري بعمق يكفي لانزال كل عتادهم فيه دون تدخل من جانبنا . وبمجرد نجاحهم في هذا لا يعد أمامنا أي فرصة في الحصول على النصر .

ولكن الحلفاء لن يستطيعوا إنزال عشرين فرقة بكل أسلحتها واحتياجاتها على ساحل مدافع عنه ، علاوة على انهم سيحتاجون لبعض الوقت ليحضروها الواحدة بعد الأخرى . وعليه ففي اي عمليات برمائيـــة تكون الايام الأولى حاسمة .

ومن كل هذا نخرج بأنه توجد طريقتان للقضاء على الانزال وهي :

أ – إيجاد تركيز للقوى في المنطقة المعرضة للخطر في الأيام القليلة الأولى وإلقاء العدو في البحر .

ب – مد الفترة الحرجـة للغزو لوقت يكفي لحشد القوات اللازمة لضربة مضادة أو بمعنى آخر تعزيز وتقوية القوات التي تدافع محلياً في منطقة الانزال بحيث تتمكن من منع العدو من توسيع رأس الجسر أثناء الأيام القليلة الاولى .

وحيث ان قواتنـــا موجودة في فرنسا لم تكن بالدرجة الكافية لتنفيذ الطريقتين معـاً (أي احتلال الشاطىء بقوة والاحتفاظ باحتياطي مناسب في الخلف) فقد كنا مضطرين لاختيار أحد الطريقتين ، فاما ان نقوي دفاعاتنا على الساحـــل في المناطق المهددة بسحب أجزاء من الاحتياطي الاستراتيجي أو نكون احتياطي استراتيجي قوي بسحب قوات من دفاعاتنا الساحلية .

وقد وضع الفيلد مارشال رونشتدت (وهو رجل ذو قدرات استراتيجية عالية للغاية) خطته على أساس مواجهة أي خطة وأي اجراء معاد ، وذلك بوضع قواته المدرعة والمحملة في فرنسا الوسطى بحيث يمكن ارسالها من هناك الى ميدان المعركة لتحقيق تفوق محلي ضخم خلال اليوم الاول او اليومين الأولين للغزو . وهذه الخطة بالرغم من انها أضعفت قوات الدفاع الساحلية إلا انها كانت صحيحة في الظروف العادية وكانت نسبتها في النجاح ١٠٠ ٪ .

ولكن الفيلد مارشال فون رونشتدت لم يكن لديه أي فكرة عن مدى التفوق الجوي الانجلو – أمريكي أو عن القيود التي سيفرضها هذا التفوق علينا تكتيكياً او استراتيجياً .

وبما ان القوات الساحلية ضعيفة فيجب اتمام سير الاقتراب لهذا العدد الكبير من الفرق المدرعة والمحملة في اسرع وقت ممكن ، ويجب الارتباط بالجداول الزمنية الموضوعة بمنتهى الصرامة . ومن واقع خبرتي في افريقيا كنت أشك (وأيدتني الأحداث في شكي فيما بعد) في امكان تنفيذ مثل هذه العملية في الوقت المحدد .

وقد توفرت لنا الفرصة الكافية أثناء معركة العلمين لدراسة تأثير تكتيكات الضرب الجوي الحليف على تشكيلاتنا المدرعة .

وكنا نتوقع ان الحلفاء يستخدمون قوة جوية أضخم من تلك التي قاموا باستخدامها في شمالي افريقيا أثناء غزوهم لأوروبا . ويضاف الى هذا ان الموقف في فرنسا كان على العكس من الصحراء الافريقية المفتوحة ، فلا يوجد سوى طرق قليلة للمرور عليها ، وهذه الطرق كانت تعبر عدة انهار وتخترق عدة مدن . وكان هذا يعني ان فرصة تأثير الضرب بالأساطيل الجوية المتحالفة اكبر بكثير مما كان عليه الامر في الصحراء .

وعليه فقد وجهت اهتمام الفيلد مارشال فون رونشتدت لهذه النقاط بالذات:

أ – ستقوم القاذفات المقاتلة الحليفة بتغطية طرق الاقتراب نهاراً وباستخدام المشاعل ليلاً لايقاف اي تحركات عليها .

ب – ستقوم أسراب القاذفات المتحالفة بتدمير كل الجسور بل والمدن أيضاً لو وجدت انها بهذا تغلق طرق الاقتراب لعدة ايام وهذا سيؤدي ان

الطرق الهامة لن نستطع استخدامها .

جـ – ستتكبد القوات المحملةخسائر فادحة اثناء تحركهامن الضرب الجوي.

د – سيستحيل تبعاً لهذا المحافظة على جداول التحرك الزمنية وسنضطر لاعادة التنظيم بالكامل وبالطبع فمن السهل نسبياً اعادة تجميع فرقتين او ثلاث ولكن إعادة تنظيم سير اقتراب لعشر فرق فالأمر يختلف تمام الاختلاف وخاصة اذا لم يكن الرجال معتادين على الابتكار والتصرف التلقائي .

هـ – ستمر عشرة ايام او اسبوعان قبل ان تصل القوة الضاربة الى ميدان المعركة ثم يعاد تجميعها للعمليات بعد ذلك . وخلال هذه الفترة سيتمكن الامريكيون من التغلب على قوات الدفاع الساحلية الضعيفة التي تقاتل دون معاونة من المدرعات ثم يتم الاندفاع للداخل ، وبمجرد حدوث هذا فان هجوم قواتنا الضاربة (التي ستكون معرضة للضرب اثناء تحركها بواسطة قوات العدو الجوية) سيصبح عديم الجدوى . وبالطبع يمكن سحب عدة تشكيلات وبعثها للجبهة بسرعة وسيتم ذلك بتحركات كبيرة مجهدة ولكن هذا سيقضي على فكرة الحشد الهجومي الموحد وهو أساس خطة رونشتدت الدفاعية .

خطة رومل للدفاع عن الساحل الفرنسي :

وعليه فقد التزمت خطتي التي لا يمكن اعتبارها اكثر من حل وسط وكانت النقطة الاولى تتضمن تحصين الشاطىء لأقصى درجة ممكنة بأن تحتل المشاة مواقعها على الساحل وتنتشر الدبابات خلفها عن قرب بحيث يمكن استخدام مدافعها للضرب على الساحل ايضاً . وقررت وضع اقوى القوات في الاماكن المهددة ، وكنت آمل ان احقق بذلك ما يلي :

أ – ان يستغل الدفاع اصعب الفترات في عملية الانزال من الناحية الفنية ، اي اللحظة التي تقترب فيها القوات الغازية من الساحل في زوارق إنزالها . وسيزيد من صعوبة عملية الانزال العوائق الموجودة تحت سطح الماء والالغام المدفونة على الشاطىء والنيران المركزة لكل الاسلحة .

ب – ستتمكن قواتنا المحلية بعد ذلك من منع الغزاة من توسيع رأس الجسر بدرجة تمكنهم من البدء في التعزيز والامداد . وفي هذه الاثناء نسحب

القوات المدرعة والمحملة من قطاعات اخرى وتحشدها خلف الجبهة المهددة على ان تقوم بهجوم مضاد لتطهير الشاطىء من العدو ، ولكي اعوض الوقت الذي سيضيع من القوات المحملة بسبب التدخـــل الجوي المعادي قررت زيادة عدد القوات الموجودة على الساحل .

ولسوء الحظ لم يحصن الساحل في الوقت المتيسر بالدرجة المطلوبة بالرغم من أننا فعلنا كل ما بوسعنا للاسراع في التنفيذ. ويضاف الى هذا أنه لا قيادة الفوهرر ولا القائد العام للجبهة الغربية كانا مستعدين لإدراك الخطر الموجه لنورماندي ، لأن الاثنين كانا يظنان أن الإمكانيات الاستراتيجية في كالية ستدفع العدو للنزول هناك بالفعل . وكان يتوقف تحقيق خطط العدو الاستراتيجية على نجاح عمليات الانزال نفسها ، وقد كان نجاحها غير متوقع في منطقة كالية ، لذلك كان النجاح محتملاً في نورماندي لقلة تحصين الساحل هناك . ولذا فان اهتمامهم أساساً كان موجهاً لنجاح عملية الانزال نفسها ، اما الأهميـة الاستراتيجية لكاليه بالنسبة لنورماندي فقد كان هذا الموضوع اقل اهمية فقد كان لدى الحلفاء الوقت والعتاد اللازمين .

وبذا حدث أن المطلبين الذين تقدمت بهما وهمـا تلغيم خليج السين وإرسال قوات تتكون من عدة فرق بانزر وفيلق مضاد للطائرات ولواء صواريخ وقوات مظلات إلى نورماندي لم يجابا قبل الغزو . ولهذا وضعنا في موقف سيىء منـــذ البداية .

ومع هذا فانني متأكد أنه حتى لو توفرت لنا هذه القوات في اماكن الانزال فإننا سنخسر المعركة لأن هجماتنا المضــادة كانت ستتحطم أمام مدافع الحلفاء البحرية وقواتهم الجوية كما أن مدفعيتنا ولواءنا الصاروخي كانت ستدمر الواحدة تلو الاخرى من قصف الحلفاء التمهيدي المخيف .

يضاف إلى هذا أننا كنا نفتقر إلى التلغيم واسع النطاق وللانشاءات الكبيرة للعوائق تحت الماء التي كنا قد خططناها لها . فلم يتوفر لنا سوى وقت قليل ، كما أن الدمار الواسع النطاق الناتج عن قصف الحلفاء الجوي لوسائل المواصلات وخاصة في نورماندي (قبل حدوث الغزو) لم يسهل لنا تنفيذ مشروعاتنا . وأخيراً فقد تبين لنا أن أي حل وسط لا يمكن أن يعوض التفوق المادي الضخم

في المدفعية والسلاح الجوي .

وبالنسبة للمواضيع الباقية فإن تنبؤاتي بالنسبة لتحركات قواتنا المحملة للجبهة قد تحققت . فبعد أيام من التحرك (وأغلبها كان في فترة الليل فقط) وصلت الفرق للجبهة بعد ان تكبدت خسائر فادحة في الطريق .

الاهمية الاستراتيجية للمسرح الافريقي والشرق الاوسط :

ومن المؤكد أننا بخسارتنا للمعركة في عملية الانزال خسرنا آخر فرصة لكسب النصر الاستراتيجي الذي كنا سنحققه لو انتصرنا على الساحل وكان سيعتبر ذا قيمة كبيرة للتطورات في الموقف السياسي .

ولكن الخسارة الكبرى الحقيقية كانت في شمالي أفريقيا وهذا يعود الى فشل سلطاتنا العليا في تقدير القيمة الاستراتيجية الحقيقية لمسرح العمليات الافريقي .

وقد انتهت هذه الأخطاء المخيفة باستسلام قوات المحور في تونس . وأنا أشعر أن من واجبي أن أوجز الامكانيات التي كانت سيوفرها لنا مسرح العمليات الأفريقي والأسباب التي أدت لعدم استغلالها . فأهم مظاهر هذه الحملة (وفي نفس الوقت أكثر أسبابها) كانت في تأخر إدراك المسئولين لأهمية هذا المسرح. وعندما أدركوا هذه الأهمية بالفعل رفضوا الاعتراف بأن هذا الادراك جاء متأخراً وأن الموقف الاستراتيجي في منطقة البحر المتوسط قد انهار لدرجة أن أي محاولة للحفاظ على مسرح العمليات الأفريقي قد أصبحت مستحيلة .

فلمدة سنوات عديدة بقي الشرق الادنى لا تحتله سوى قوات بريطانية ضئيلة نسبياً لم تزد مطلقاً حتى في اكبر توسع لها عن ١٢ فرقة . وقد أنزلت هزائم ساحقة بهذه الفرق مراراً ومع ذلك فان قوات المحور لم تبلغ درجة من القوة تؤهلها لاستغلال النجاح إستراتيجياً . وكانت مجموعة الجيوش البريطانية في الشرق الأدنى تعتبر الدرع الوحيد للاراضي الشاسعة التي كانت ذات أهمية للحلفاء كما سيظهر فيما يلي :

وكانت المناطق التي تحميها مجموعة الجيوش البريطانية في الشرق الأدنى في مواجهة المحور وتشمل الآتي .

(أ) قناة السويس ومصر وإفريقيا الشرقية . واعتبرت قناة السويس نفسها

ذات أهمية إستراتيجية في الحرب أقل مما هو شائع عنها لان ايطاليا تمكنت من غلق البحر المتوسط عند صقلية .

(ب) سوريا والعراق وإيران . وكان هناك ثلاثة عوامل لأهمية هذه المنطقة للحلفاء :

(١) استخرجت العراق وايران سويا في عام ١٩٣٩ حوالى ١٥ مليون طن من البترول (بالمقارنة بإنتاج رومانيا وهو ٦,٥ مليون طن) . والاستيلاء على هذه المنطقة كان سيمكننا من تحميل جزء أكبر من جيوشنا مما سيخلق الظروف للانتصار في سهولة على روسيا الشاسعة . كما أننا سنستطيع زيادة قواتنا الجوية بدرجة أكبر مع استخدامها بقدر أكبر من الحرية .

(٢) كان السيل الاكبر من العتاد والاسلحة الامريكية المخصصة لمساعدة روسيا يمر عبر طريق البصرة في الخليج العربي حيث كانت تنزل عشرات الألوف من العربات وآلاف الدبابات في طريقها إلى روسيا واحتلال المحور لهذه المنطقه كان سيؤدي لتوجيه القوافل البحرية الامريكية إلى مورمانسك وهذا الطريق تعرض فيه الامريكيون لاخطار جسيمة حتى بداية عام ١٩٤٣ من الغواصات والطائرات الألمانية لاضطرارهم للمرور بالقرب من ساحل النروج .

(٣) لو نجحت قوات المحور في الاستيلاء على ساحل البحر المتوسط كله والعراق لتهيأت لها قاعدة ارتكاز للهجوم على الجبهة الروسية وبذلك تفقد بريطانيا قدرتها على التدخل في التحركات الألمانية الإيطالية عبر البحر المتوسط أو تهددها ، وبذلك تنتهي أي صعوبات متعلقة بالإمداد والتموين .

هل كان هناك حل لانتصار المحور في افريقيا ؟ :

وسنستعرض فيما يلي الموقف الاستراتيجي في البحر المتوسط (كما بدا للبريطانيين) ، والامكانيات التي وفرها هذا الموقف لدول المحور .

وأهم الاسئلة التي تعرضنا لها بالنسبة للحرب في افريقيا هي :

هل كان من الممكن (بتوزيع افضل للقوات الالمانية) الحصول على السيطرة الجوية على البحر المتوسط مما يؤدي إلى تأمين خطوط مواصلات جيوش المحور في شمال افريقيا ؟

وسؤال ثان لا يقل أهمية عن الاول هو : —

هل كان من الممكن مرة أخرى بتوزيع أفضل للقوات الالمانية في مجموعها الموجودة في جميع ميادين القتال) إيجاد تشكيلات ميكانيكية من قطاعات أقل اهمية لإرسالها إلى شمال افريقيا ؟

وقد قال لي الكولونيل جنرال هالدر في عام ١٩٤١ ان القيادة العليا للجيش كانت تعتبر مسرح العمليات في شمال افريقيا قضية خاسرة وأنها لا تكلف القوات الالمانية بأكثر من ان تؤخر انهيار المقاومة الايطالية في ليبيا بقدر ما يمكنها . وقد حاول السير هالدر تبرير آرائه بقوله « بأنه من المستحيل تموين جيش يزيد في قوته عن فرقتين أو ثلاث فرق في شمال افريقيا لوقت طويل » . وقد صمم على هذا الرأي طوال استمراري في قيادة الجيش . وفي وقت مبكر من حزيران عام ١٩٤١ جاء الجنرال جاوزي إلى شمال افريقيا مبعوثاً من القيادة العليا للقوات المسلحة الايطالية لدراسة احتمال استخدام قوات اكبر في هذا المسرح تحت قيادة اخرى ولكن لم ينفذ شيء من هذه الفكرة .

وفيما يتعلق بالموقف الاستراتيجي العام في منطقة البحر المتوسط فقد اظهرت كل من القيادة العليا للقوات المسلحة وقيادة القوات البرية سلبية ، ولا يمكن اعتبارها صادرة من قيادات مسئولة .

لان مصاعبنا الادارية كانت اسهل بكثير في الحقيقة من مصاعب البريطانيين في نفس المجال لأنهم كان عليهم نقل كل احتياجاتهم عن طريق بحري طوله ١٢,٠٠٠ ميل حول رأس الرجاء الصالح .

والخطوات التالية كانت ستحقق كل ما يلزم من القوات كافية شمال افريقيا مع تأمين نقلها إلى ليبيا ثم امدادها فيما بعد : —

(أ) ايجادحشد جوي مناسب في منطقة البحر المتوسط بتحريك تشكيلات مع السلاح الجوي الالماني من فرنسا والنرويج والدينمارك . (واذا ادخلنا هذه العمليات ضمن المجهود الحربي الكلي فان إحراز التفوق الجوي فوق حوض البحر المتوسط كان سيكون تأثيره أكبر من أثر إضعاف القوات الجوية الالمانية في هذه البلاد)

(ب) نقل التشكيلات المدرعة والمحملة التي كانت موجودة بدون عمل في فرنسا وألمانيا إلى مسرح العمليات في شمال أفريقيا (ولم يكن هناك أي خطورة

جدية في هذا الحين لأي غزو للحلفاء لفرنسا أو أي دولة أخرى) .

(جـ) كان يجب مهاجمة مالطة والاستيلاء عليها.

(د) تعيين رجلا واحداً يكون مسئولا عن الامداد والتموين ويتمتع بسلطات مطلقة (بحيث يجب على كل السلطات في القوات الالمانية المسلحة تنفيذ جميع طلباته) لعمليات الشئون الادارية وحمايتها . وكان يجب توفير المساندة الكافية له في كل الأوقات في المجالات السياسية .

وهذه الاجراءات ليست بها شيء غريب وكانت هى الطريق الطبيعي للامور ومع هذا فقد كانت ستحسم الحرب لصالحنا في شمال أفريقيا .

ولم يبدأ القوم في إدراك أهمية أفريقيا إلا عند وصول أنباء الانهيار في افريقيا وفي ذلك الوقت فقط زادوا مجهوداتهم كما يفعل صغار العقول عادة في الازمات والاخطار لكي يروا أبعد من أفقهم .

وعلى الفور أمكن شحن حمولات وصلت الى اكثر من ستين الف طن شهرياً إلى تونس بالرغم من أن البريطانيين والامريكيين كانوا قد زادوا مجهوداتهم كما كما يفعل صغار العقول عادة في الازمات والاخطار لكي يروا أبعد من أفقهم .

وعلى الفور أمكن شحن حمولات وصلت الى اكثر من ستين الف طن شهرياً إلى تونس بالرغم من ان البريطانيين والامريكيين كانوا قد زادوا من قبضتهم على البحر المتوسط عما كان عليه الامر عام ١٩٤١–١٩٤٢ ولكن الاوان كان قد فات.

وقد وجهنا النظر مراراً وتكراراً لامكانيات مسرح العمليات الافريقي ولكن القيادة العليا صدتنا في كل مرة بحجج تافهة للغاية . ولم نضيع أي فرصة لنشر أفكارنا ولكن هذا كله ذهب هباءاً .

كيف يمكن القضاء على العملاق الروسي :

ولو توفرت لنا تشكيلات ميكانيكية أكبر وخط مواصلات مؤمن لاستطعنا تحقيق ما يلي تقريباً (في الفترة ما بين بداية عام ١٩٤١ وصيف عام ١٩٤٢) :

(أ) كنا نستطيع سحق وتدمير الجيش البريطاني الميداني مما سيفتح الطريق

لقناة السويس وسيضطر البريطانيين على إحضار قوات جديدة للشرق الادنى وهذا يتطلب شهرين على الأقل . وكنا نستطيع فيها القيام بأي عمليات نختار القيام بها . (مع العلم بأنه كان من الممكن افتراض أن البريطانيين لن يغامروا بإرسال قوات أخرى جديدة للشرق الادنى) .

(ب) وبعد وقوع ساحل البحر المتوسط كله في أيدينا يمكننا شحن الامدادات الى شمال أفريقيا دون اى خطر عليها . وكان من الممكن عندئذ الاندفاع قدماً إلى ايران والعراق بغرض عزل الروس عن البصرة والاستيلاء على آبار البترول وانشاء قاعدة للهجوم على روسيا من الجنوب ولن يستطيع الروس على الاطلاق من الناحيتين التنظيمية والتكتيكية حشد قوة ميكانيكية بسرعة تستطيع الصمود في وجهنا في السهول المفتوحة .

(ج) أثناء فترة الاستعداد في العراق تمهيداً لهجوم كبير على الجبهة الروسية الجنوبية كان من الضروري عزل مورماسك عن بقية الاراضي الروسية ومن الافضل اذا أمكن الاستيلاء عليها بهجوم من فنلندا . وكان هذا سيؤدي لاستخدام قوات محملة ومدرعة في أقصى الشمال وهذا سيفرض أعباء ثقيلة على وسائل النقل التابعة لنا ومثل هذه العملية تستحق كل هذا العناء لان روسيا كانت ستنعزل تماماً عن أمريكا ، وكان اليابانيون سيتكفلون بأساطيل السفن الامريكية في المحيط الهادي وفي نفس الوقت نقوم بغلق أهم ميناءين وهما البصرة ومورماسك في وجه الامريكيين . والميناء الوحيد الذي سيبقى في أيدي الروس هو أرشانجل وهذا المرفأ تقفله الثلوج عدة أشهر كل سنة وموقعه رديء على أي حال .

(د) وسيكون غرضنا الاستراتيجي النهائي هو الهجوم على الجبهة الجنوبية للقوقاز للاستيلاء على باكو وحقول بترولها . وهذا كان سيعتبر بمثابة ضربة قاصمة للروس في نقطة حساسة ، لان قسماً كبيراً من مدرعاتهم التي تحمل العبء الاكبر في قتالهم ضدنا كانت ستتوقف بسبب النقص في البترول . كما ان سلاحهم الجوي كان سيصاب بالشلل . ولم يكن امامهم بعد ان يتوقعوا أي مساعدة امريكية جدية وبذا كانت ستتوفر لنا الظروف الاستراتيجية بالإحاطة بالعملاق الروسي من كل ناحية ثم القضاء عليه .

وعندما قمت بعرض هذه الخطة في خطوطها الرئيسية رفضها المسؤولون اصحاب الآفاق الضيقة واعتبروها خيالية وغير واقعية . ولكنني لم اضع في هذه الخطة اي نقط واقبراحات خاطئة او نظريات خيالية . بل كانت هذه ستعطيهم نسبة نجاح قدرها ١٠٠ ٪ وهو ما يطلبوه عادة في مثل هذه الخطط .

ويعلق ليدل هارت فيقول :

« الحجج هنا غير كاملة وتفرض علينا عدداً من المشاكل الاخرى فمثلا كان يحتمل نزول الحلفاء بالفعل في فرنسا لو ان التشكيلات الميكانيكية سحبت من هناك لافريقيا . وكنا سنضطر في الغالب لسحب ما يوازيها من الجبهة الشرقية واللجوء للدفاع هناك . والاهمية النسبية التي كان الحلفاء يعلقونها على هذين المسرحين يمكن تقديرها من مذكرة كتبها روزفلت لهوبكينز في ١٦ تموز بعد سقوط طبرق (شيروود في كتابه « مذكرات البيت الابيض » :)

« يجب الاحتفاظ بالشرق الاوسط بجميع القوات الممكنة سواء انهارت روسيا ام صمدت . وانا ارغب ان اضع في اعتبارك النتائج المترتبة على خسارتنا لقناة السويس » .

ويتابع رومل كتابة مذكراته فيقول :

واي دولة تقاتل العالم كله يجب ان تفكر على مستوى القارات . فليس المهم كسب ملايين الاميال المربعة التي كانت ترقد خلف الجبهة الرقيقة التي اقامها الجيش الثامن في صحراء ليبيا . وإنما المهم هو اختراق هذا الحاجز والاندفاع عبره لاجتياح الارض المفتوحة فيما وراءه .

وقد انعكست طريقة تفكير القيادة العليا للقوات المسلحة بخصوص هذا الموضوع على اقسام معينة من قيادة القوات المسلحة الالمانية وخاصة هيئة الاركان العامة .

فهؤلاء القوم كانوا يتصرفون على الدوام كما لو كان الميدان الاستراتيجي بأسره ملكاً خاصاً لهم . وحذرهم لم يكن كحذر مونتغمري الذي كان يظن ان الضمان للنجاح بنسبة ١٠٠ ٪ افضل من اسلوب يتم بالجرأة وهذا صحيح في المجال التكتيكي . وحذر هؤلاء القوم كان مبنياً عن خوفهم من المسؤلية .

فمن ناحية كانوا على استعداد للتخطيط لعمليات لا تقل في جرأتها عن

كونها مجازفات استراتيجية وحظها في النجاح ضئيل ، طالما كان هذا بناء على توقيع شخص آخر . ومن ناحيـــة اخرى لم يكونوا مستعدين على الاطلاق لاقتراح أي عمليات من جانبهم حتى لا تكون فيها أي مخاطرة وحتى لو كانت فرصة نجاحها عظيمة . وحيث أني أعتقد بأن هذه العقلية قد سببت مصائب في مجالات أخرى فاني ان أتعمق في هذا الموضوع بالذات بطريقة تفصيلية اكثر مما سبق .

القيادة العسكرية الحديثة :

في الربع الاخير من القرن التاسع عشر بدأت كل الدول الأوروبية الكبرى في ملء هيئات أركانها العامة بضباط من النوع المثقف الذي تعلم وينظر للحرب على انها نوع من العلوم ، أما فكرة شلايفين عن أن القائد العام هو عقـل الجيش المفكر ، فقد وجدت قبولاً عامـاً لدى الجميع ، وبدأوا في تقدير الضباط على أساس صفاتهم العقلية والثقافية وحدها . وهذا التدريب الثقـافي للضباط كان ضرورة وجاء نتيجة للعوامل الآتية :

أ – تعميم التجنيد الاجباري مما أدى الى زيادة ضخمة في حجم الجيوش .

ب – كان عدد المستحدثات التكنولوجية الحديثة في زيادة مستمرة ، وهذا ينطبق على مجال الشؤون الادارية والعمليات ممـــا أوجب إيجاد تخطيط أكثر تعقيـداً بكثير في فكرته وفي أعداده ، وبالرغم من أن الأسلوب الأساسي للمعركة ظل بسيطاً إلا ان العبء الاكبر للقتال ظل يتحمله الجندي وحده ، بينما كان تعقيده في زيادة مستمرة من ناحية التعقيد .

جـ – تحول ادارة الحرب في الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية الى العلم .

وان فكرة « القـــائد العسكري العظيم » والأفكار الشائعة عن الحرب الـتي كانت مغروسة بعمق في مجموعات الضباط أرضت تمامـاً كل المطالب المفروضة على طبقة الضباط في الحرب العالمية الاولى . وكل دولة اوروبية تميـل بقوة للارتباط بالتقاليد حتى في مجالات العلم . وعليـه فلا نندهش ان أصبحت كثير من هيئات الأركان العامة الاوروبية (بعد الحرب العالمية الاولى) متعصبة لعقائدها التكتيكية ، ويجب ان نذكر هنـــا ان القيادات المختلفة في الحرب

العالمية الاولى استغلت امكانيات الحرب الموجودة في هذا الحين لأقصى طاقتها ومداها ، بينما قامت هذه الهيئات بقبول آراء القادة العظام دون نقاش من حيث المبدأ ، إلا انها تاهت في التفاصيل وعقدتها بدرجة مفزعة وحولت الحرب الى تبادل للمذكرات ، وفي النهاية جمدت على عقائدها في جميع الظروف .

وبعدها بقليل أصبحت عاجزة عن رؤية أبسط الامكانيات لأي موقف ، علاوة على انها وجدت من يرضى بتنفيذ أفكارها البالية من المفكرين ومرددي الأبواق .

أما في المانيا فقد أوقفت معاهدة فرساي تقدم السلاح الجوي والمدرعات وهذه كانت نقطة تحول لأن نظرياتنا تقدمت في جو اكثر حرية مما لو كانت قد وجهت في اتجاهات ثابتة بسبب وجود وحدات مدرعة ذات تنظيم ثابت ودور تكتيكي محدد . ويضاف الى هذا ان المانيا أعطت للوجوه الشابة في هيئة الاركان العامة اليد العليا في كثير من المسائل الاساسية. أما في الدول الاوروبية الاخرى (في فرنسا وانجلترا) على سبيل المثال لم يتوقف التطور العسكري أو يتعرض لثورة بسبب انقلابات اجتماعية وانتفاضات عنيفة ، ولذلك كان الموقف مختلفاً وساد هناك جمود هائل وارتباط بأسلوب لا يمكن بحال ان يواجه مطالب الحرب الحديثة .

ونحن من ناحيتنا لم يكن بمقدورنا التفوق على الفرنسيين والبريطانيين في عام ١٩٤٠ حتى في وجود دباباتنا وسلاحنا الجوي الحديث ما لم يقابل هذه الأسلحة (من ناحية أخرى) تنظيم وتدريب حديث وعقائد تكتيكية مستحدثة .

ومع هذا فان الضباط الالمان لم يكونوا متحررين من العقيدة القديمة . فقد كانت هناك عصابة تقاتل بمرارة ضد أي تطوير في الأساليب وتتمسك بأن المشاة لا بد وأن تكون الجزء المهم في أي جيش . وربما كان هذا صحيحاً بالنسبة للجيش الالماني الذي يقاتل اليوم في الجبهة الشرقية روسيا ولكنه لن يكون صحيحاً في المستقبل حيث يجب ان نوجه كل اهتمامنا صوب هذا المستقبل عندما ستصبح الدبابة مركزاً لكل التفكير التكتيكي . وان الحرب في افريقيا والأساليب المستحدثة في الحرب التي ابتدعت هناك لم يفهمها مطلقاً القادة أمثال الجنرال هالدر .

فقد تمسكوا بأساليبهم البالية والعتيقة بالرغم من عدم جدواها . ونتج عن ذلك أن جورينج وهيملر ظنا أنهما يعرفان إدارة الحرب بطريقة أحسن،وسببوا أضراراً كثيرة بجهلهما هذا ، وأدى هذا انهم تجاهلوا في أحيان كثيرة القيادات العسكرية العليا (بكل أركانات حربها المحترفين) في مسائل عسكرية بحتة .
ولم أهتم ولا هيئة أركان حربي مطلقاً بكل هذه السفسطة العسكرية الفطرية التي قضت عليها التطورات التكنولوجية .

ونتج عن هذا أن كثيرين من الضباط المتمسكين بنظرياتهم الاكاديمية والتائهين في النظريات العتيقة فشلوا في فهم مرادنا واعتبرونا مغامرين أو هواة وما الى ذلك .

وأنا لم اهتم بهذا مطلقاً إلا أن أثر هذا تأثيراً هداماً على الحرب في افريقيا .
وأن عملية اختراع آلة الاحتراق الداخلي التي أدت الى تحميل كل القوى البشرية تنطبق ايضاً على العلوم العسكرية .

فسيكون القائد التكتيكي في المستقبل هو الذي يتخذ القرارات في المعركة لأن أهم العوامل في المستقبل ستكون في تدمير قوات العدو تكتيكياً ، وهذا سيحتاج لامكانيات عقلية عالية علاوة على قوة شخصية اذا اراد القيام بواجبه بنجاح . وسيكون في المستقبل من الصعب تقدير سير المعركة بدقة نتيجة لفتح آفاق كبيرة في التحميل الميكانيكي وبسبب الامكانيات التكتيكية الكثيرة التي ستتوقف نتيجتها على مدى تمتع القادة بالمرونة العقلية وتحمل المسؤولية وخليط من الحذر والجرأة بدرجات مناسبة ومدى سيطرته على القوات المقاتلة.
وأنا أورد هنا عدة نقط هامة يجب وضعها في الاعتبار عند تدريب الأجيال القادمة من الضباط :

ا — من الأمور الرئيسية عند تدريب الضباط العظام ان يتم تعليمهم تعليماً شاملاً على الموضوعات الفنية والتنظيمية . وغرض هذا التعليم هو إدخال شيء من الاستقلال في الرأي بحيث يستطيع الضباط ان يتعلموا التفكير الناقد البناء للموضوعات الرئيسية . ويجب عليهم احترام رأي القادة العظام ، ولكن هذا لا يكون غير قابل للمناقشة والتحليل . ويجب إذكاء شعورهم بالواقع . ويستطيع أي قائد منهم يتمتع بعقلية متزنة ومنطقية ويلم بالمواضيع الاساسية إلماماً شاملاً

ان يضع تفاصيل أي خطة بنفسه طالما كان تفكيره غير متجمد في اتجاه واحد.

ب – الأفكار المعنوية يجب ان يعقبها تنفيذ فوري . وهذا موضوع يتعلق بالطاقة الشخصية وروح المبادأة . فالجندي يحتاج الى خليط من الثقافة الواقعية والطاقة الجسمانية والعقلية . والضابط الصغير يجب ان يدرك منذ بداية تدريبه ان المطلوب منه هو نسبة من الطاقة الجسمانية مضافاً اليها القدرة العقلية . وان الانتصارات الباهرة في كثير من الاحيان مـا هي إلا انتصار لطاقات الضباط والجنود .

ج – من النقط التي يتجاهلها الكثيرون من واضعي النظريات العسكرية هي نفسية الجنود ، فالأعمـال العادية تقبل على الدوام على انهـا مرضية ، وهي المطلوبة . ومن المهم جداً ادراك شعور الجندي تجاه الحرب . فالرجـل الذي يترك منزله وعائلتـه ليقوم بواجبه تحت ظروف مخيفة في الجبهة ينتابه شعور رائع للبحث عن المثالية ، ولذا يجب على قادة الرجال ألا يهملوا هذا الموضوع . فيجب على الضباط ان يفعلوا كل ما بوسعهم ليحتفظ جنودهم بهذه المثالية .

وبواسطة القيادة النفسية الماهره (التي يلعب فيهـا الدور الشخصي أهم الادوار) يمكن زيادة مجهود القوات زيادة باهرة . يزود القائد بقوة نفسية متفوقة تجعله يحقق اغراضه التكتيكية اكثر مما هو يتوقع وبهذا يكون دائماً في مركز متفوق طوال العملية .

ويجب على القائد ان يحاول قبل كل شيء خلق الصلات الشخصية بينه وبين رجاله ولكن بدون ان يتنازل عن ذرة من سلطاته عليهم . وعنـد اصدار الاوامر بالهجوم يجب ألا يشعر الرجـال مطلقاً على سبيل المثال بأن خسائرهم محسوبة مقدماً تبعاً للقواعد المدروسة لأن هذا يقضي على الشعور بالحماس.ويجب على الجندي ان يرى مظاهر تؤكد ثقته بقادته وإلا فانها ستضيع في وقت قصير . ويجب ان يدخل المعركة وهو مرتاح عقلياً وليس لديه ادنى شك في القيادة التي يقاتل تحت لوائها .

وهذه الاعتبارات تجاهلناها كثيراً في روسيا حيث قمنا بالتضحية بجيوش وفرق كاملة . ونتج عن كل هذا بالطبع ان الضباط والجنود لم يدخلوا المعركة بنفسية مرتاحة وانما كانوا دائمي النظر لجيرانهم ولم يخاطروا بشيء مطلقـاً . وعندما نقاتل في مثل هذه الظروف يجب ان نهتم للغاية بألا نترك اي وحدة

ولو صغيرة لمصيرهـــا . وبهذا فقط يمكن تقليل آثار الخوف والقلق . ويجب باستمرار الاهتمام بهذه النقطة الخاصة بالقيادة المعنوية السليمة للقوات في تعليمنا للضباط .

د – عندما يتقابل جيشنا في ميدان المعركة فكل من القائدين يكون لديه خطة معدة ليشتبك بمقتضاها مع عدوه ، وتنتج المعركة من الخطتين. ولم يحدث طوال التاريخ العسكري (إلا في النادر) ان دارت المعركة تبعاً لخطة جانب واحد من الجانبين وفي الحالات التي حدث فيهـا هذا فانه يرجع لتفوق المنتصر الكاسح من ناحية النوع والعدد او بسبب جهل افراد الخصم الفاضح. وفي الحرب الميكانيكية الحديثة التي تقع على ارض منبسطة لا تحسم المعركة في ايام وانما قد يستمر الصراع للحصول على المبادأة في منطقة واحدة من الارض لأسابيع كاملة. وتحت هذه الظروف فمن المهم للغـاية ان يعرف القائد عدوه ويستطيع تقدير ردود الفعل النفسية التي يتعرض لها القائد أثنـــاء المعركة ويجب تسليحهم بالاستعدادات النفسية اللازمة لكي يتمكنوا من استخدام هذه المعرفة لصالحهم .

هـ – يجب ان يبذل مجهودات كبيرة في مجالات التدريب للقضـــاء على الميول الانفصالية للاسلحة المختلفة للقوات المسلحة . فأحياناً يبدأ الجيش او السلاح الجوي في دور سياسي بغرض محدود ، وهذا الصراع على السلطة مـــا هو الا عملية نشر فرع في شجرة يجلس عليها ناشرها . ويجب الإنتباه والقضاء على أي روح للطموح في استقلال سلاح معين بالسلطة في القوات المسلحة .
ويجب القضاء على الفور على أي موضـع يحيد عن وحدة الغرض وعن إرادة التماسك .

التعليق على الحروب في افريقيا :

إن النصر في المعركة لا يرجع مطلقـاً لخطة المنتصر فقط الا في حالة التفوق العددي الكاسح حيث تضيع أي عوامـل أخرى مثل شجاعة القوات المشتركة في العمليات وما إلىذلك. ونجد أيضاً أن مزايا المنتصر ليست فقط هي التي تحدد النتيجة ، وانما أيضاً اخطـاء المهزوم . وهذه القاعدة يمكن تطبيقها على مسرح العمليات الإفريقي ، فأخطـاء البريطـانيون التي ترجع أحيانـــاً الى ما قبل

الحرب هي التي مكنتنا من إحراز النصر وفيما يلي ملخص لأسبـــاب هزائم الجيش الثامن .

١ – لقد تطورت قبل الحرب مبادىء الحرب المدرعة الحديثة في ألمانيا إلى أن اصبحت عقيدة تكتيكيـة ووجدت طريقهـــا العملي في تنظيم وتدريب تشكيلاتنا المدرعة والفضل في هذا يرجع أساساً للجنرال جوديريان ، بينما نجد أن البريطانيين ظلوا على المحافظة في جمودهم ورفضت الجهـات المسؤولة عقيدة الحرب الميكانيكية التي أوضحها بكل براعة بعض مواطنيهم . وفي بداية الحرب لم تكن بريطانيا من الناحية العملية قد اجتازت مرحلة « دبابة المشاة » بالاضافة الى دبابة الاستطلاع الخفيفة ولم تهتم بتدريب قواتها بما تتطلبه الحرب الميكانيكية (التي كانت لا تزال في مراحلها النظرية) من سرعـة التحرك ومرونة واتصـال قريب بين القيادات والقوات . والاستثناء الوحـيد من هذه القـــاعدة كان في وحدات الاستطلاع البريطانية التي كان تدريبها ممتازاً .

٢ – كان في وسع القادة الانكليز معرفة مكامن الخطأ بسرعة ولكن التحميل الميكانيكي وحده مهما كان جيداً لا يستطيع اصلاح الموقف ، لأن اعادة تدريب الضباط والقادة وتهيئة القيادات للعمليات السريعة ؛ وكان تنظيمها قديم للغاية في بريطانيا) لا يمكن أن يتم في هذا الوقت القصير .

٣ – كان مرمى مدافع الدبابات البريطانية ومدافعهم المضادة للدبابات قصيراً للغاية وظل هكذا حتى صيف عام ١٩٤٢ . بل ان دبابات المشاة لم تزود في بداية الأمر بذخيرة قوية الانفجار وانما بداثات مصمتة .

٤ – كما انني أعتقد ان أغلب القادة البريطـــانيين الكبار كانوا ملتزمين في تفكيرهم بخطوط ثابتة لا تتبدل . والوحيد الذي أظهر شيئاً من العبقرية كان ويفل . أما أوكلنك فقد كان قائداً بارعاً للغاية ولكنه كان يترك إدارة العمليات التكتيكية لقادته المرؤوسين الذين الحقت بهم مراراً الهزيمة لأنهم كانوا يكتفون بالرد على ضرباتي دون أن يقوموا بأي عمل فيه روح المبادأة . ولم يكن كننجهام أو ريتشي خبراء في المدرعات مما جعلهم عاجزين عن إدخـــال أي تحسينات جذرية على تدريب قواتهم . وأهم من ذلك فشلها في استخدام قواتها بالطريقة الصحيحة تبعاً للمطالب التكتيكية للحرب الميكانيكية . أما أوكلنك فقـــد

أمسك زمام القيادة بين يديه ونفذ عملياته بتدبير وجرأة يستحقان الاعجاب . وفي كل مرة عندما كنت على وشك اختراق خطوطه بتشكيلاتي الألمانية الميكانيكية كان يهاجم الايطاليين في مكان آخر ويطردهم ويتوغل بخطورة نحو الغرب إلى أن يقترب من منطقة اعاشة قواتي أو يهددني باختراق جبهتي في الجنوب ، وقد اضطررت في كل مرة لايقاف هجومي لأسرع لنجدة القطاع المهدد .

٥ – كان مونتغمري في موقف يسمح له بالاستفادة من أخطاء الذين سبقوه . ويضاف الى هذا أنه بينما قلت إمداداتنا الى حد العجز ، كانت القوافل البحرية الأمريكية والبريطانية تقوم بنقل كميات ضخمة من العتاد الحربي الى شمالي أفريقيا ، وهذه الامدادات كانت تزيد بكثير عما كان يصل الى ويفل أو أو كلنك .

وقد تجاهل مونتغمري كل النظريات الأكاديمية ولم يسمح لغير التجارب بتوجيهه . وقد أظهر براعة في التفكير عندما وصل للعلمين وقرر اقامة الجبهة الدفاعية الأساسية هناك ، ثم بدأ في تشكيل أساليبه الهجومية تبعاً لها . ومن مبادئه ألا يدخل معركة ما لم يتأكد من انتصاره فيها ، وبالطبع هذا اسلوب لا ينجح الا اذا صحبه التفوق المادي مع احرازه لهذا التفوق بالفعل.

وكان حذراً للغاية بل اني اعتقد انه كان مبالغ في حذره ولكنه استطاع استخدام هذه الصفة لمصلحته. واكثر ما نحسده عليه هو حشده لكل امكانيات قواته المادية والمعنوية ليلقي بها في أتون المعركة ويحولها لمصلحته .

وقد كان مونتغمري يتمتع بصفات استراتيجية اكثر منها تكتيكية . الا انه لم يكن ممتازاً في قيادة القوات في المعارك الميكانيكية بالرغم من معرفته لأهمية تطبيق هذه المبادىء تماماً . اما في مجال التخطيط الاستراتيجي فقد كان رائعاً وخاصة في معارك الغزو التي قادها . ومن الصعب ان نجد لمونتغمري خطأ استراتيجي واحد .

٦ – وفي الحقيقة كانت القاعدة العامة بالنسبة للقادة البريطانيين الكبار ان اغلبهم كانوا يفكرون بأسلوب استراتيجي اكثر منه تكتيكياً .

ونجم عن هذا ان معظم ضباطهم المسؤولين عند وضعهم للخطط وقعوا في

خطأ وهو انهم كانوا يهدفون للحصول على ما يأملون فيـــه استراتيجياً وليس للحصول على ما يمكنهم القيام به تكتيكياً .

٧ – وبوجه عام فقد كان من الخطأ ان تبدل بريطانيا القائد العام في افريقيا باستمرار ، فقد كان هذا يضطر القائد الجديد ليتعلم نفس الدروس المريرة مرة اخرى . وقد كان البريطانيون جنوداً اكفاء ، ولم يكن الامر يزيد عن تعلقهم بأفكار ثابتة كالتي احضرها معهم الكثيرون من القادة الألمان الى افريقيا وكانوا يتخلون عنها قطعاً بعد هزائمهم الأولى . ولكن القادة البريطانيون كانوا يعفون من القيادة قبل ان تسنح لهم هذه الفرصة .

التعليق على الغزو في اوروبا :

لقد ذهلنا للسرعة التي تعود بها الامريكيون على الحرب الحديثة وتجاهلهم التام لأي تقاليد او نظريات عديمة الفائدة مما ساعـــدهم على الإدراك السريع للنواحي العملية والمادية . وقد تضافرت الثقافة الموجهة للنواحي العملية ومعها روح المبادأة والثروة المادية فجعلت امريكا اقوى دول العالم اقتصادياً . لأن المهم اليوم ليس في ان يكون للدول تقاليد عريقة ومستعدة للتضحية وانما يكون لديها اكبر انتاج من الفحم والصلب .

لقد قام بعض الأفراد في اوروبا يبذل قسم كبير من طاقتهم ليشعروا بالرضى في اعماق انفسهم ، ولكن هذا كان عديم الفائـــدة مادياً لأنهم اصبحوا غير قادرين على التعـامل مع الحيـــاة ولم يستفيدوا اطلاقاً من ثقافتهم . واذا تواجدوا هؤلاء الأفراد داخل صفوف أي جيش سيصبحون عقبة خطـــيرة في طريق تقدمه وافضل شيء هو التخلص منهم

٣ – ويقدم لنا كولين روس في كتابه « نصف الكرة الغربي » الذي يمكن اعتباره دراسة مفضلة للزعماء . فقد قال :

« ان الصراع من أجل البقاء لن يدور في أبراج المفكرين العاجية وإنمـا في المناطق الصناعية ومعامل الابحاث وميدان المعركة ولذا يجب ان يتزعم هؤلاء العالم » .

٤ – وقد حقق قادة الاقتصاد الامريكي وهيئة الأركان الحرب الأمريكيون

الكثير وذلك يرجع لتنظيم وتدريب وتسليح القوات الأمريكية وقوة الخيال والقدرة على الابتكار ، بالاضافة إلى التصميم على العمل في اتحاد ، وخلق قوة عسكرية تتمتع بقدرة فعالة على الضرب . وقد ابتدؤا من الصفر ، وجهزو في أسرع وقت جيشاً كفء في عتاده وتسليحه وتنظيمه . وبالرغم من تفوقنا عليهم في بعض انواع العتاد إلا ان التوازن الناجم عن التنظيم الأمريكي والتطور المنتظم الذي حققوه في عتادهم وتسليحهم لم نستطع مجاراته مطلقاً .

٥ – ومن الناحيتين الفنية والاستراتيجية فعملية الإنزال في نورماندي كانت عملاً رائعاً . فقد استخدم عدداً كبيراً من المخترعات التي لم يسبق تجربتها في ميدان العمليات . وكان قادة أوروبا من المدرسة القديمة ويستطيعون تنفيذ الغزو بالقوات المتيسرة بالطبع ولكن من المستحيل ان نفترض قدرتهم على الأعداد له من الناحية الفنية والتنظيمية والتدريبية . اما معدات القتال المتحالفة فقد اذهلتني أنا شخصياً رغم انني كنت أعرف عنها الكثير قبل هذا وأقدرها حق قدرها .

التعليم اسهل من اعادة التعليم :

وقد دفع الأمريكيون ثمناً غالياً لتجاربهم ، ولكن النتيجة التي خرجوا بها كانت ضخمة جداً. وقداظهر الجنرالات الأمريكيون تقدماً في القيادةالتكتيكية لجنودهم بالرغم من ان اعظم ما حققوه جاء فيما بعد على أيدي جيش الجنرال باتون في فرنسا . وقد استفاد الأمريكيون من تجاربهم في أفريقيا أكثر من البريطانيين قطعاً ، وبذا حققوا صحة القول القائل :

« بأن التعليم أسهل من إعادة التعليم » .

وفي عام ١٩٤١ كان يتميز جيشي عن جيش العدو بملاءمته للموقف مع استفادته من التدريب على فنون الحرب الحديثة بأكثر مما كان عليه موقف البريطانيين ، لان ضباطي (وخاصة القادة الاصاغر وضباط الاركان حرب) كانوا يفكرون بأسلوب يتلاءم مع العصر الحديث لا تعرقله روح التقاليد الجامدة الموجودة عند الضباط البريطانيين .

ومنذ البداية جاهدنا لتحويل جيشنا إلى أداة تنفيذ سريعة مستخدمين كل

انواع الابتكارات مع التعود على السرعة الكبيرة في التحركات. وقد قمنا بإبعاد اي ضابط (وبدون شفقة) ممن لا يتمتع بروح المبادأة لدفع قواته للامام أو يتمسك أكثر من اللازم بأفكار عتيقة ، وإرسالهم على الفور إلى أوروبا . أما بالنسبة للضباط ذوي الرتب الصغيرة القائمين بأعمال اركان الحرب فلا يهمني معلوماتهم عن الاستراتيجية (لماذا نطالب الضابط الصغير بالتفكير في الاستراتيجية ؟) وأهم ما كنت اتمسك به هو معلوماتهم التكتيكية لكي يتمكنوا من التغلب على المشاكل التكتيكية العديدة التي كانت تواجهها على الدوام في الحملة الافريقية . وحاولت قدر استطاعتي إيجاد وسائل إتصال لاسلكية مع كل القوات المقاتلة وكنت اعتقد بأن أي قيادة قريبة من الجبهة ومعها وسائل إتصال كافية وقوات حراسة قرية تستطيع الحصول على أفضل النتائج. وطالبت ضباطي بإنكار ذاتهم وضرب المثل بأنفسهم للجنود على الدوام ونتج عن هذا ان « روح الفريق » كانت ممتازة . فلم تنهار القوات المقاتلة الألمانية معنوياً مطلقاً ولم تستسلم مطلقاً للكآبة والخمول . وحافظنا على الضبط والربط دوماً ولم نضطر إلى فرضه بالقوة ولا حتى في احلك المواقف .

وقد حافظت هذه الروح الرائعة على الأمل والاخلاص بين الضباط وجنودهم حتى في احلك ساعات الحرب في افريقيا . حتى في تونس احتفظت القوات بثقتها الكاملة في قيادتها ، وهذا مظهر فريد في نوعه بعد انسحاب لمسافة ١٢٠٠ ميل . ولكن مصيرهم المظلم منعهم من الانسحاب إلى اوروبا . ولدي دليل مادي على انه حتى من وراء قضبان معسكرات الأسر ظل رجالي يحافظون على روح الود ويتحلون بنفس الإخلاص الذي يتميز به جيش البانزر خلال مدة الحرب في افريقيا .

لقد اضاعت القيادات العليا في المانيا وإيطاليا كل فرصنا في النجاح في شمال افريقيا . ونتج عن ذلك تضحيتها دون سبب وبأعداد ضخمة من القوات الالمانية والايطالية في تونس مما جعل من المستحيل وقف عمليات إنزال العدو في جنوب ايطاليا . وكانت تجربة الحلفاء هناك ناجحة فزودتهم بالثقة التي كانوا يحتاجون اليها للمخاطرة بالقيام بانزال في فرنسا . ولم تصمد قواتنا في ايطاليا إلا لشجاعتها ولقيادة كسلرينج ويستفال الممتازة فأدى هذا إلى عدم انهيار الجبهة

هناك . ولكن الكارثة في تونس اضعفت من هيبة الدوتشي فانهارت احلامه بالنسبة لانشاء « الامبراطورية الرومانية » مرة أخرى .

وقد امكن وقف البريطانيين والامريكيين في جبال ايطاليا ولكنهم بعد قليل انزلوا قوات كبيرة في نورماندي وحطموا تشكيلاتي بمدفعيتهم ومدرعاتهم وسلاحهم الجوي .

ولقد لقى رجالي حتفهم بالألوف دون تردد في معركة لا يمكن ان نكسبها.

ولم يعد بمقدورنا الاستمرار في القتال على ثلاث جبهات . وقد اخترق الروس خطوطنا في الشرق وحطموا عدداً كبيراً من فرقنا واندفعوا نحو الغرب . ولن نستطيع إقامة جبهات جديدة إلا بصعوبة بالغة وباستخدامنا لآخر قواتنا الاحتياطية في الشرق والغرب ، واخيراً ساد في السماء فوق المانيا ظلام حالك .

الفصل الرابع

الايام الاخيرة

بقلم مانفريد رومل

في منتصف آب ١٩٤٤ خلال وجودي خلف المدفع الذي أعمـل عليه على مشارف مدينة أو لم تلقيت مكالمة هاتفية من قائد فرقتي :

« لقد وصل والدك إلى هرلينجن ولقد نقلوك لتعمل كأحد أركانات حربه وسيتم نقلك اليوم » .

ونقلتني سيارة القيادة إلى هرلينجن ، واجتزت الحديقة وتوقفت أمام المنزل الذي فتحت الخادمة لي بابـه والقيت مهماتي على الارض فأحدثت محتوياتهـا المعدنية ضوضاء ، وغسلت يدي بسرعة ثم ذهبت إلى غرفة المكتب وكان والدي يجلس في مقعد ضخم بجوار منضدة وعينه اليسرى مغطاة برقعة سوداء وكان النصف الأيسر من وجهه مشوهاً من الإصابة التي اصابته ونهض على قدميـه بصعوبة ثم تبادلنا التحية . وقال رداً على سؤالي للاستفسار عن صحتـه « حتى الآن أنا في تحسن واحياناً تنتابني نوبات صداع وعيني اليسرى مقفلة وغير قادرة على الحركة . ولكن هذا كله سيتحسن » .

وجلست انا ووالدتي معه ثم استأنف حديثه عن تجـاربه في نورماندي . وسأورد كلامه هنا بقدر ما تسمح به ذاكرتي .

« لقد قيد هتلر مهمتي في نورماندي إلى حد ان أي ضابط صف كان يستطيع تنفيذها . فقد تدخل في كل شيء ورفض كل اقتراح قدمته . وفي البداية لم يكن

لدى البريطانيين والامريكيين سوى رأسي جسر أحدهما ضعيف في شبه جزيرة كوتنتان والآخر اكثر قوة بالقرب من بايوكس . وبالطبع كنا نريد مهاجمة الأضعف اولاً ، ولكن هتلر رفض ذلك . وبالطبع إذا قمنا بالهجوم على رأس الجسر الضعيف استطعنا وقف رد الفعل المعادي العنيف منذ بدايته . وحينما حاولنا تحريك إحدى الفرق امرنا هتلر بإعادتها إلى مكانها . وعندما أمرنا بالدفاع لآخر طلقة غيرتها القيادة العليا إلى « الدفاع حتى آخر قطرة من الدماء » وفي النهاية عند سقوط شيربورج أرسلوا لنا مستشاراً للمجالس العسكرية المنوي عقدها ، وهذه هي كل المعاونة التي تلقيناها . وقد كان سلوك القوات رائعاً . فخلال الايام القليلة الاولى تنازع الجنود فيما بينهم على استخدام بانزر فاستة (قاذف صاروخي مضاد للدبابات) ثم سادالشعور باليأس لأنه لا يوجد مانستطيع عمله . وبعد ايام قليلة تعمد أحد قادة الفيالق البقاء في سيارته أثناء هجوم الطائرات البريطانية التي تحلق على ارتفاع منخفض . وبالطبع سقط في مقعده مصاباً إصابة خطيرة . وحاول مساعده إخراجه قبل الهجوم التالي ، ولكنه تمسك بمقعده وقال :

– دعني هنا . فأنا افضل ان انتهي هكذا . وقتلته الدفعة التالية من النيران .

ووقف والدي على قدميه بصعوبة ونظر من النافذة لمدة طويلة ثم استأنف حديثه :

« ولكن كل هذه الشجاعة لم تفد . فهي لم تكن الا مذبحة رهيبة . وأحياناً وصلت خسائرنا في اليوم الواحد نفس الرقم الذي بلغته خلال كل حملة الصيف في افريقيا في عام ١٩٤٢ ، وبالرغم من ان اعصابي كانت قوية جداً إلا أنها في كثير من الاحيان قاربت على الانهيار . ولم يخرج ما كان يعرض علي من اوراق عن تقارير خسائر ... ثم تقارير خسائر وهكذا في كل مكان . ولم نقاتل قط وبالرغم من ذلك نتكبد كل هذه الخسائر !!! ولولا ذهابي للجبهة كل يوم لما استطعت احتمال كل هذا ، لانني كنت أضطر يومياً لشطب ما يوازي قوة لواء كامل » .

وبحركة عنيفة تحول فجأة لحافة النافذة واستند عليها ثم قال :

« واسوأ ما في الامر ان كل هذا كان دون معنى أو هدف فليس هناك ما

نستطيع عمله . وكل طلقه نطلقها لن تؤذي سوانا لان العدو سيرد عليها بمائـــة ضعف . وكلما اقتربت النهاية كلما كان هذا أحسن لنا جميعاً » .

ونظرنا لبعضنا ثم قلت :

« ربما كانت هناك أسلحة جديدة نستطيع بها قلب الموقف لصالحنا » .

ورد عليّ قائلاً :

« هذا هراء . فلا يملك أحد مثل هذه الاسلحة . والقصد الوحيد من هــذه الأشاعات هو دفع الجندي العادي للصمود لوقت أطول . فنحن قد انتهينـــا وأغلب السادة الكبار يعلمون هذا جيداً إلا أنهم لا يريـــدون الاعتراف فهم ليسوا من الغباء بحيث لا يفهموا الاحداث التي يستطيع أي إنسان ان يحسبها على أصابعه » .

وتوسل الاطباء لوالدي ان يلزم فراشه لبضعة اسابيع . ولكنه لم يستمع لنصائحهم لأنه لم يكن مرتاحاً نفسياً على الاطـــلاق . وفي وقت مبكر من كل صباح كنت أسمعه ينزل ببطء إلى الدور الارضي ثم اتبعه لاقرأ له . وفي العادة كان موعد الافطار عبارة عن ابتداء مناقشة طويلة . وكان شخص هتلر بالنسبة لي ما يزال تحيط به هالة من المجد بالرغم من كل الذي سمعته لانـني كنت مجرد جندي عادي في احتياطي القوات الجوية عمره خمسة عشر عاماً فقط . وعليه فكلما بدأ والدي في انتقاده كنت أحاول دائماً ان أقول شيئاً للدفاع عنه . وكان يحلل حججه لي بصبر أثر في كثيراً فقد قال لي في إحدى المرات :

« إن الحرب دائماً لا تنفع الافراد الذين أشعلوها إلا النادر . ولكن في العادة لا يدلوا الافراد بآرائهم . وبمجرد ابتداء الحرب يجب الاستمرار في القتال لمجرد الخروج منها بأكبر نفع . ولكن ما الذي امامنا لنكسبه ؟ وعليه يجب ايقاف الحرب في هذه الحالة . وهذا هو موقفنا اليوم فيما عدا الشرق فإننا نقاتل عدوا لا يمكن ان نستسلم له . فهناك نشعر بأننا نقاتل للنجاة بأرواحنا فقط . والذي يجب ان نفعله الان هو ان نسمح لأعدائنا الغربيين في احتلال وسط أوروبا كله ليبقى الروس خارج حدودنا » .

وقد انفجر والدي غاضباً عندما سمع ان القوات تسحب من الجبهة الشرقية لترسل للجبهة الغربية ، وقد صرخ قائلاً عندما سمع بأن إحدى فرق البانزر

أرسلت من بولندا إلى هولندا : —

« هؤلاء الاغبياء ! أنهم لا يفكرون إلا في انقاذ جلودهم . ما الذي سيفيدهم من إطالة حياتهم التعسة لبضعة شهور قليلة أخرى ؟ ستنهار الجبهة الشرقيـــة وسيواصل الروس الهجوم الى داخل الأراضي الالمانية . ونحن جميعـــاً نعرف معنى هذا » .

وحتى هذا الوقت لم اكن قد سمعت شيئاً عن محاولات والدي لإتمام صلـح منفصل مع الغرب ولم افكر مطلقاً في انه قد يكون هناك أي صله بينـه وبين الضباط الذين قبض عليهم بعد مؤامرة ٢٠ تموز . ودهشت ذات يوم عندمـــا سمعت ان بعض رجال الغستابو يحومون حول منزلنا ويهتمون بكل ما يدور في داخله . وفي هذا الوقت كنت قد اعتدت أنا ووالدي ان نتنزه يومياً في الغابة القريبة من منزلنا .

اقتراب الكارثة

وذات صباح كنت اجلس معه في غرفته عندما قال لي فجأة :

« اسمع يا مانفريد من الممكن ان يكون بالقرب من هنـــا افراد يرغبون في القضاء عليّ بدون ضجة ، فهؤلاء الافراد لايستطيعون الاصابة من الطلقة الاولى . وعليه فسنكتفي في الوقت الحالي بأخذ المسدسات معنا . ويمكنك أخـــذ مسدسي عيار ٨ مم ولو بدأ اطلاق النيران فيستحسن الضرب صوب مـــكان خروج الطلقات وبدون تنشين وبعدها اما انهم سيلجأون الى ساتر او يختـــل تنشينهم » .

ولم افهم في اول الامر مغزى هذه التعليمات ، الى ان قال لي ذات يوم :

« قل لي يا مانفريد ما الذي يشعر به الشبان الصغار أمثالك تجـــاه هتلر عندما تروه يشنق عدداً كبيراً من الرجال الذين اقتنعوا بأن الحرب قد انتهت ويجب ان ننهيها ؟ »

وأجبته : « انني أعرف ان الجميع قد سأموا الحرب ولكن أغلبهم ما يزال يظن أننا نستطيع الانتصار بطريقة أو بأخرى » .

وقاطعني والدي : « ولكننا خسرنا الحرب بالفعل . ومـــا هو شعورك لو

أني أعلنت انني أرغب في إنهاء الحرب حتى ولو كان ذلك ضد إرادة هتلر ؟ » .

فسألته : « لماذا تسألني عن هذا ؟ »

وقال : « لنترك الموضوع في الوقت الحالي . ولكن أؤكد لك أنه لا يمكن أن يتوقف مصير أمة بأسرها على نزوات مجموعة صغيرة . فيجب أن تكون هناك حدود لأن أخطر الأحداث تقع فجأة بدون ان نتوقعها » .

ومنذ هذا اليوم بدأت أشعر اننا نقترب من الكارثة .

وفي هذا الحين كان والدي متأكداً أن الحرب ستقع بعد عدة سنوات بين روسيا والدول الغربية ، بينما كان على النقيض من ذلك أغلب الضباط الميالين لآرائه الذين كانوا يترددون علينا ، فقد كانوا مقتنعين بانتصار العالم الغربي ولو في المستقبل البعيد .

وفي هذا الصدد أذكر بوضوح حديثاً دار بعد شهر من عودة والدي من فرنسا . وكان الوقت حوالي العاشرة مساء في مكتبه الكبير في هرلينجن . وجلس والدي أمامي في مقعد مريح وكان يرتدي بذلته المدنية وقد عاد له نشاطه مرة أخرى وامتلأ بالحيوية بالرغم من تورم عينه اليسرى نتيجة للجراحة التي تمت بها ، بينما كان يشكو من طول النظر بالعين الأخرى منذ وقت طويل ، ولذا قد نقلت للمنزل لكي اقرأ له . وفي هذا المساء اهتم بكتاب في الاحصاء يتضمن توزيع المواد الأولية ، وبعد الانتهاء من قراءته وضعت الكتاب على المنضدة وتكلمنا عن المستقبل الذي كان يبدو مظلماً للغاية في هذا الحين .

ماذا سيحدث بين روسيا والحلفاء بعد الحرب :

وقال والدي : « ان روسيا والغرب مثل النار والماء وسيحدث احتكاك بينهما وربما حرب . وربما لن يحدث هذا بعد انهيارنا مباشرة لأن العالم كله متعب من الحرب . ولكن الخطر سيأتي بعد أعوام قلائل .

وسألته : « هل تظن ان فرصة الانجليز والامريكان ستكون ضئيلة ، لأن قوات روسيا البرية اكبر وعلى نطاق يختلف تماماً عن حجم قوات الغرب ؟ » .

وأجابني والدي : « لن يكون هذا هو الأساس لحسم الموضوع . هل نفعتنا دباباتنا الأفضل وفرقنا الممتازة في نورماندي ؟ لا يا صغيري ، إن الامريكان

لديهم التفوق الجوي وسيحتفظون به . وهذا حكم بالاعدام على أي جيش بري مهما كانت ضخامته اذا لم يتوفر له سيادة جوية أو تعادل جوي » .

وسألته والدتي مقاطعة :

« ربما انتظر الروس الى ما بعد الحرب حتى تنزع امريكا سلاح جيوشها . لأن الشعوب الغربية تحتاج الى مستوى عـال من المعيشة مما سيؤدي الى تحويل صناعاتهم الى الانتاج المدني » .

وأجابها :

« بالرغم من هذا ستصمد امريكا وبريطانيا حتى لو سقطت أوروبا في وجه العاصفة القادمة من الشرق . فيجب ألا ننسى أن بريطانيـــا وامريكا لديها السيادة البحرية وتستطيعان نقل عتادهما الحربي الى اي مكان على وجه الأرض يمكن الوصول اليه بحراً . (وهنا أشار للخريطة التي أحضرتها له بناء على طلبه). وقال : « توجد في شمال افريقيا الفرنسي عدة موانىء كبيرة وخطوط حديدية ممتازة . ولكن فيما بين القوقاز ومصر توجد خطوط متقطعة للسكك الحديدية وحتى هذه تختلف في مقاييسها عن النظام الروسي مما لن يفيدهم في شيء . وفيما بين ليبيا وتونس لا يوجد هناك سوى خط حديدي طوله ٢٠٠٠ ميل تقريباً . وبذا سيضطر الروس لنقل امداداتهم لجيوشهم الضخمة بواسطة العربات لمسافات تمتد عدة آلاف من الأميال ، وهذا مستحيل عملياً . فمثل هذه العربات تحتاج الى جالون واحد من الوقود لكل سبعة أميال . أي حوالي ٢٨٠ جالوناً لرحلة مسافتها ٣٠٠٠ ميل علاوة على ٢٨٠ اخرى لرحلة العودة أي حوالي١٢٠صفيحة ويضاف إلى هذا ان محركات الدبابات الحديثة لا تتحمل مثل هذه المسافات . فهل يصبح الروس خطيرين حقاً بعد الفين او ثلاثة آلاف ميل ؟ بالطبع لا » .

ورد على نفسه بذلك ، ثم تابع حديثه :

« وفي افريقيا يمكن لقوة صغيرة حديثة التجهيز والتدريب ان تقوم بعمليات تعطيلية لمدة شهور » .

واستمر قائلاً :

« يجب ان نضع في الاعتبار اننا سمعنا أخيراً ان بريطانيا والولايات المتحدة تنتجان اربعة أضعاف انتاج روسيا . ولا شك انه في حالة أي طوارىء يمكن لجيوش الدولتين حشد قوة في غرب افريقيا الفرنسي دون اي تدخـــل . ومن

هناك تستطيعان بالتدريج انتزاع التفوق الجوي وتزداد قوته بمرور الوقت ، ثم تبدأ في التحرك الى الامام كما تفعل حالياً في الغرب .

وتستطيع اساطيل قاذفاتها عزل الجيوش الروسية عن قواعدها الإدارية وتثبيتها في اماكنها ثم تدميرها . ثم تقوم بعد ذلـــك بالتحرك خطوة فخطوة وتحمل لها السفن الامدادات بدون مجهود الى أي مـكان على وجه الأرض ، الى طبرق والسويس والبصرة تبعاً لتطورات العمليات . وبمجرد ان تصبح مناطق البترول عند بحر قزوين في مدى ضرب قاذفاتها تكونان بذلك قد وصلتـــا لمقتل روسيا » .

وبينما كان والدي يشغل نفسه بهذه الافكار كان كلاب صيد هتلر مشغولين بتتبع الخيوط التي تربط بين بنـدلر شتراس (مبنى وزارة الحربية) ورئاسة القوات في الجبهة الغربية . وسقط الجنرال فون شتولبناجل (الحاكم العسكري لفرنسا) في أيدي الجستابو وقد حاول الانتحار ولكنه فشل .

وقد اختفى قبل ذلك بأسابيـع الفيلد مارشال فون كلوجه الذي حل محل فون رونشتدت كقائد عام للجبهة الغربية بعد اعفاء الأخـــير بسبب آراءه الأنهزامية . وذات يوم تحادث والدي طويلاً مع ضابط يحمل أنباء من فرنسا . وعندما تحركت سيارة الضابط مبتعدة ، دخلت مكتب والدي . وكان يجلس على مكتبه وظهر على وجهه الحزن .

وقال : « كلوجه قد مات ونحن نعرف الآن ما الذي حدث له . فقـــد طرده هتلر وأصدر له الأمر بالعودة الى المانيا . وفي الطريق تنـاول السم في سيارته وبعد وقت من بدء الرحلة تحول السائق نحوه فوجده جثة هامـــدة في المقعد الخلفي » .

واستمر والدي في كلامه : « عندما وصل فون كلوجه لفرنسا قابلني بقوله (والآن ستتعلم أنت الآخر كيف تطيع الأوامر) فقد ملأته قيـــادة الفوهرر ضدي وبالطبع اختلفنا سوياً ولكن بعد زيارة قصيرة له للجبهة اقتنع بصحة كلامي وتحول هو الآخر للاقتناع بوجوب انهاء الحرب بمعرفتنا . ولكن في ٢٠ تموز لم يكن يعرف شيئاً عـن الثورة حتى تكلم عنها هتلر في خطابه الذي اذاعه في الراديو . وكان الاوان قد فات بالطبع » .

وليس هناك شك في ان والدي خامرته فكرة انه قد يسقط هو الآخر فريسة لارهاب هتلر ولكنه لم يكن يشك على الاطلاق في ان الأسلوب الذي سيموت به لن يختلف عن ميتة فون كلوجه .

وفي بداية ايلول تلقينا أنباء تتضمن ان الجنرال هانز شبايدل قد أعفي من منصبه كرئيس لأركان حرب مجموعة الجيوش « ب » . وبعدها بأيام قليلة جاء لزيارة والدي هرلينجن . وتحادثا سوياً ساعات عديدة . وكان على الجنرال شبايدل ان يقدم نفسه لمقر قيادة الفوهرر بعدها بيوم او يومين واتفقا على القيام بمحاولة اخرى لطلب الصلح بواسطة الجنرال جوديريان الذي كان رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة في هذا الحين . ولكن هذا لم يقدر له الحدوث .

الفئران تهجر السفينة الغارقة .

وكانت حالة والدي تؤرق هتلر لأن انتشار الأنباء بأنه حتى الفيلد مارشال رومل يعتبر الحرب منتهية وينصح باتمام صلح منفصل ، فهذا يوازي اعلان افلاس امكانيات المانيا العسكرية . وهذا هو السبب في انه كبح جماح نفسه بعد أن عرف أن والدي حاول اتمام الصلح بمفرده من وقت طويل . وفي يوم ٧ ايلول أمر بالقبض على الجنرال شبايدل ، وبدأ الفصل الاخير من المأساة . وانتقل نبأ القبض على شبايدل همساً وبدأ أصدقاء والدي يصمتون بطريقة ملحوظة . وابتسم والدي عندما لاحظ هذا التحول وقال : « الفئران تهجر السفينة الغارقة » ولكنه كان قلقاً للغاية على مصير شبايدل ، وبالرغم من أنه لم يكن قد تم إخطاره رسمياً بالقبض عليه ، فإنه حاول بكل وسيلة ممكنة الحصول على العفو عنه . وأخيراً جلس ليكتب آخر خطاباته لأدولف هتلر .

أول تشرين الأول ١٩٤٤

سيدي الفوهرر

لسوء حظي أن صحتي ليست على ما يرام حتى الآن . فان الكسر الرباعي في الجمجمة والتطور السيء في الموقف في الجبهة الغربية منذ جرحت ، وأخيراً إعفاء أركان حربي السابق الجنرال شبايدل من منصبه والقبض عليه وهو شيء

علمته بمحض الصدفة ، كل هذا قد فرض على اعصابي أعباء ثقيلة ممـــا لا استطيع تحملها .

لقد عين الجنرال شبايدل كرئيس أركان حربي في منتصف نيسان عام ١٩٤٤ خلفـا للجنرال جاوزي . وقد امتدحه لي كل من الكولونيل جنرال زايتزلر وقائده السابق الجنرال ويهلر . وقبل تسلمه وظيفته في مجموعة الجيوش بقليـل قمت بنفسك بتقليده وسام الفارس ورقيته الى رتبة الجنرال. وقد أثبت شبايدل في الاسابيع الاولى في الجبهة الغربية على أنه رئيس أركان حرب كفء للغـاية وممتاز . فقد سيطر تماماً على هيئة الاركان وأظهر فهماً كاملاً للقوات وساعدني باخلاص في انهاء التحصينات الدفاعية للحائط الاطلنطي بأسرع مـا يمكن في حدود الامكانيات المتوفرة . كنت أعتمد دوماً على شبايدل عند ذهابي للجبهة يومـاً على وجه التقريب ، وكنت اعتمد عليه ايضاً في نقل أوامري التي كنا نناقشها قبل اصدارها والقيام بكل المحادثات اللازمة مع القيادات والتشكيلات الاخرى على الأسس التي كنت أرغبها .

وعندما بدأت المعركة في نوماندي لم يأل شبايدل جهداً في سبيل انتصارنا على العدو الذي فرض علينـــا عبئاً ثقيلاً وخاصة لحصوله على السيادة الجوية ومدافعه البحرية الثقيلة وتفوقه المادي في كل المجالات . واليوم الذي جرحت فيه وقف شبايدل بجواري بكل اخلاص . وكان الفيلد مارشال كلوجه راضياً عنه هو الآخر . وأنا لا أستطيع تخيل السبب في إعفاء الجنرال شبايدل والقبض عليه ، ومما هو جدير بالذكر ان الزعيم الأعلى سيب ديتريخ كان صديقاً لشبايدل وكانا يتقابلان كثيراً .

ولسوء الحظ أننا لم نخض معركة نورماندي اثنـاء وجود الأعداء في المـاء أو على اكثر تقدير في اللحظة التي نزلوا فيهـــا وكنا بذلك استطعنا تدميرهم . وأسباب هـذا ضمنته التقرير الملحق والذي قدمته اليك عندما كان الجنرال شماندت معك .

وعندما تسلم الفيلد مارشال فون كلوجـه القيادة العامة في الجبهة الغربية دار حديث مؤسف بيني وبينه في مقر قيادة مجموعة الجيوش « ب » في حضور رئيس أركان حربي ورئيس عملياتي . وقبلت في صمت الاتهامات التي وجهها

إليّ ولكنني كلمت الفيلد مارشال فون كلوجه على انفراد وطالبتـــه في اليوم التالي بأن يفهمني الاسباب التي دفعته لاتهامي . وقد سحب الاتهامات شفهياً في خلال حديث حثثت فيه الفيلد مارشال فون كلوجه بكل قوة على ان ينقـل اليك دواماً الموقف في الجبهة بصراحة وألا يخفي عنك الحقائق غير السارة لأنه بهذا الأسلوب تستطيع يا سيدي الفوهرر ان ترى كل شيء بوضوح وتتخذبذلك القرارات الصائبة . وآخر تقاريري عن الموقف أرسلته للقائد العـام للجبهة الغربية في اليوم السابق لإصابتي وأرسله كلوجه اليك فيما بعد كما قال لي ومعه مذكره اضافية منه .

أنت تعرف يا سيدي الفوهرر انني بذلت كل قواي وطاقتي في حملة فرنسا في عام ١٩٤٠ ، وفي افريقيا ١٩٤١ — ١٩٤٣ . وفي ايطاليا في عـــام ١٩٤٣ ، وأخيراً في الغرب مرة اخرى في عام ١٩٤٤ . وفكرة واحدة تسيطر عليّ دائماً وهي اني اقاتل وأنتصر لالمانيا الجديدة تحت قيادتك .

وليحيا سيدي الفوهرر .

ا. رومل

روميل يتوقع بطش هتلر :

ولكن ظل مكان الجنرال شبايدل مجهولاً .. وبعد القبض عليـــه بقليل ذكر اسمه مع اسم والدي امام لجنة الضباط العليا (لجنة الشرف) . ولكن « قضية رومل » لم تناقش رسمياً .

وفي ٧ تشرين الاول وصلت اشارة الى هرلينجن. وطلب فيها الفيلد مارشال كيتل من والدي الذهاب الى برلين لحضور مؤتمر هـام في ١٠ تشرين الاول على ان يسافر في قطار خاص من أولم . وقـال والدي عندما عرض عليه الامر : « انا لست غبيـاً لهذا الحد ونحن نعرف هؤلاء القوم الآن . ولن اصل لبرلين على قيد الحياة » . وتكلم في الموضوع بصراحة مع الاستاذ آلبريخت أخصائي المخ في جامعة توبينجن وكان يعالجه ، وعليـــه كتب له البروفسور شهادة أنه لا يستطيع تحمل الرحلة . وقال والدي انه سيفكر في هذا العرض . ولكن الاحداث تحركت بسرعة ، لأن رفض والدي الذهاب لبرلين لم يطـــل حياته لأكثر من اربعة ايام .

وكان أوسكار فارني صاحب المنزل صديقاً لوالدي منذ كانا ضابطين صغيرين سوياً في واينجارتن . وكان فارني كنائب سابق لحزب الوسط في الرايخستاج يكره النازيين ، وفي النصف الثـــاني من الحرب كانت له احاديث طويلة مع الوزراء السابقين فيهر وجيسلر بخصوص احتمال انتهاء الحرب والنظام النازي .

وقـــد القي القبض على فيهر وجيسلر في يوم ١٣ تشرين الاول ١٩٤٤ وفي نفس اليوم زار والدي فارني وكان يتوقع وصول الغستابو للقبض عليــه في اي لحظة وقال لوالدي :

« ولكن هتلر لن يجرؤ ان يفعل لك شيئاً لان لك شعبية كبيرة وستجذب الانتباه على الفور » .

ورد والدي عليه وكان يحس بقرب منيته :

« انت مخطىء فهتلر يريد التخلص مني ولن يتردد في تنفيذ ذلك » .

وعند عودة والدي الى هرلينجن بعــد رحلته الطويلة بالسيارة وجد رسالة تليفونية تنتظره وتتضمن ان جنرالين سيحضران في اليوم التالي للتكلم معــه بخصوص «مهمته المنتظرة» .

وقبل ذلك بعدة أسابيع كنت قد عدت لبطاريتي، ثم منحت بعدها اجازة عن يوم ١٤ تشرين الاول ، وتركت موقع المدفع في وقت مبكر من الصبـــاح ووصلت هرلينجن وكان والدي يتناول إفطاره بالفعل . وتناولنا الافطار سويا ثم تنزهنا في الحديقة وبدأ والدي الحديث :

« في الساعة الثانية عشرة اليوم سيصل جنرالان لزيارتي لمنـــاقشة مهمتي المستقبلة . وعليه فاليوم سيتقرر مصيري فإما محكمة الشعب او قيادة جديدة في الشرق » .

وسألته : «وهل تقبل مثل هذه القيادة ؟ » .

واخذ من ذراعي وقال :

« يا ولدي العزيز ان عدونا الشرقي رهيب لدرجـة ان اي اعتبارات اخرى يجب ان ننساها . ولو نجح في اجتياح اوروبا ولو حتىموقتاً فسيكون هذا نهاية لكل شيء . بالطبع سأقبل الذهاب الى هناك ».

وقبل الساعة الثانية عشرة بقليل ذهب والدي الى غرفتـه في الدور الاول وغير ملابسـه من السترة المدنية بنية اللون التي كان يرتديها فوق بنطلون ركوب

الى زيه الأفريقي الذي كان يفضله بسبب ياقته المفتوحة . وحوالى الساعة الثانية عشرة وصلت سيارة خضراء قاتمة عليها نمر معدنية تحمل اسم برلين وتوقفت امام بوابة حديقتنا . وكان في المنزل بالاضافة لوالدي النقيب آلدينجر ومحارب قديم جريح برتبة العريف وانا . ونزل جنرالان وهما بير جدورف (وهو رجل ضخم مورد اللون) وما يزل (وهو رجل ضئيل الحجم ورفيع) ثم دخلا المنزل. وكانا مهذبين وطلبا من والدي السماح لهما بالتكلم معه على انفراد . وغادرت انا والدينجر الغرفة . وشعرت بالراحة (أثناء صعودي للسلم لابحث لنفسي عن كتاب) لأنهم لن يقبضوا عليه .

هتلر يقرر قتل رومل :

وبعدها بدقائق قليلة سمعت والدي يصعد السلم ويدخل غرفة أمي . وللهفتي على معرفة ما يدور نهضت ودخلت الغرفة . وكان يقف في منتصفها ووجهه شاحبا . وقال في صوت منقبض :

« تعال معي للخارج » . وذهبنا الى غرفتي. وبدأ يتكلم ببط « لقد اضطررت لأن اقول لوالدتك انني سأموت بعد ربع ساعة » . وكان هادئاً واستمر في حديثه :

« ان موت المرء بيد بني وطنه أمر صعب . ولكن المنزل الآن محاصر وهتلر يتهمني بالخيانة العظمى » . وقال بسخرية : « ونظراً لخدماتي في افريقيا فلي الخيار في أن أموت بالسم ، وقد احضره الجنرالان معهما ، وهو يميت في ثلاث ثوان ولو قبلت لن تتخذ الخطوات المعتادة ضد عائلتي ، اي ضدكما . كما انهما سيتركا هيئة أركان حربي وشأنها» . وقاطعته : « وهل تصدق هذا » .

واجابني :

« نعم انا اصدقهم فمن صالحهم ألا تفوح رائحة الموضوع . وبالمناسبة لقد كلفوني بأن افرض عليكما الصمت التام . ولو خرجت كلمة واحدة فإنهم لن يرتبطوا بما اتفقنا عليه » .

وحاولت مرة اخرى : « ألا نستطيع الدفاع عن انفسنا » ... ولكنه قاطعني في الحال قائلا : « لا داعي فالأفضل أن يموت واحد منا على ان نقتل

جميعاً في معركة بالنيران وعلى اي حال ليس لدينا ذخيرة». وودعنا بعضنا باختصار ثم قال لي : « ارجو ان تستدعي آلدينجر » .

وكان آلدينجر في هذه الاثناء قد شغل بالحديث مع حرس الجنرالان لابعاده عن والدي . وعند ندائي عليه جاء يجري صاعداً . وقد صدم بشدة عندما سمع بالخبر . وتكلم مع والدي بسرعة . وقال مرة اخرى « انه من المستحيل ان ندافع عن انفسنا لانهم اعدا كل شيء بدقة . وسيقيمون لي جنازة عسكرية . وقد طالبت اقامتها في أولم . وفي خلال ربع ساعة ستتلقى مكالمة تليفونية يا آلدينجر من مستشفى واجنار شيل في أولم تقول اني اصبت بنزيف في المخ وانا في طريقي الى المؤتمر» ثم نظر في ساعته : « يجب ان اذهب فقد سمحوا لي بعشر دقائق فقط» . وودعنا بسرعة مرة اخرى ثم نزلنا سوياً .

وساعدنا والدي على ارتداء معطفه الجلدي . وفجأة اخرج حافظة نقوده وقال :

«ما تزال معي بعض النقود فهل آخذها ؟» .

وقال آلدينجر :

« هذا غير مهم الآن يا سيدي الفيلد مارشال » .

ووضع والدي حافظته بعناية في جيبه . واثناء خروجه للردهة قفز اليه كلبه الصغير الذي تلقاه كهدية قبل ذلك بعدة اشهر في فرنسا وكان ينبح في هياج فقال والدي :

« احبس الكلب يا مانفريد »

وانتظر والدي في الردهة مع آلدينجر اثناء حبسي للكلب في المكتب . ثم خرجنا من المنزل سوياً . وكان الجنرالان يقفان في بوابة الحديقة . وسرنا ببطء في الممر وكان صوت الحصى تحت اقدامنا مرتفع بطريقة لم اعتدها .

وعند اقترابنا من الجنرالين رفعا ايديهما اليمنى بالتحية وقال بير جدورف باختصار : «سيدي الفيلد مارشال» وانحنى جانباً ليمر والدي عبر البوابة وكانت تقف مجموعة من القرويين خارج المنزل وتحول مايزل نحوي وسألني « ما هي بطاريتك » واجبته : « ٧/٣٩ يا سيدي الجنرال» .

وكانت السيارة تقف على استعداد . وفتح السائق باب السيارة (وهو جندي من قوات العاصفة) ووقف في وضع انتباه . ووضع والدي عصا المارشالية

تحت ذراعه الايسر وبوجه هادىء صافحني وصافح آلدينجر مرة اخرى قبل ان يركب السيارة .

وصعد الجنرالان بسرعة الى مقعـديهما وقفلت الابواب وانطلقت السيارة بسرعة صاعدة التل واختفت عند منحنى الطريق . وعند اختفائها تحولت انا وآلدينجر وسرنا ببطء عائدين المنزل . وقال آلدينجر . « الافضل ان اصعد لاكون مع والدتك» . وصعدنا السلم مرة اخرى لانتظار المكالمـة التليفونية الموعودة . وقد منعنا شعورنا بالانهيار من التفكير .

واشعلت سيجارة وحاولت القراءة مرة اخرى ولكن الكلمات لم يعد لهـا معنى . وبعد عشرين دقيقة دق جرس التليفون . ورفع آلدينجر السماعة ليسمع خبر وفاة والدي . وفي هذا المساء ذهبنا لمستشفى أولم حيث يرقـد والدي رقدته الأخيرة. وكان الاطباء الذين قابلونا متوترين وبالطبـع كانوا يعرفون السبب الحقيقي لوفاة والدي . وفتح احدهم باب غرفة صغيرة كان والدي يرقد فيها على السرير في لباسه الافريقي البني وعلى وجهه تعبير ينم عن الاحتقار .

ولم نعرف تماماً ما الذي جرى له بعد ان غادرنا . وعلمنا فيما بعد ان السيارة توقفت بعيداً عن منزلنا في ارض مفتوحة على حافة الغابة . وكان عدد كبير من رجال الغستابو الذين حضروا من برلين هذا الصباح يراقبون المنطقة ويحملون تعليمات بقتل والدي واقتحام المنزل لو أبدى أي مقاومة . وغـادر مايزل والسائق السيارة وتركا والدي وبيرجدورف داخلهـا . وعندما سمح للسائق بالعودة بعد عشر دقائق تقريباً رأى والدي مائلاً للامام وقبعته منزوعة وعصا المارشالية ساقطـة من يده . ثم انطلقوا بأقصى سرعة الى أولم حيث انزلوا الجثمان في المستشفى . وبعدها ذهب الجنرال بير جدورف الى مقر قيادة القوات المسلحة في أولم حيث تكلم مع هتلر تلفونياً لإخباره بوفاة والدي ثم الى عائلته ليأمرها بقائمة طعام العشاء التي تعده له . وكان الجنرال بير جدورف مكروهاً من ٩٩ ٪ من ضباط الجيش لوحشيته وقد انهى حياته بيده في برلـين في نيسان ١٩٤٥ بعد ان ظل يدور فاقد الوعي بتأثير الخمر مع بورمان لعدة ايام في مخبأ الفوهرر .

وأحقر مظاهر هذه القصة هي مشاعر العزاء التي تلقيناها من اعضاء الحكومة الالمانية ، وهم رجال لا بد وانهم يعرفون السبب الحقيقي لوفاة والدي ، وساهم

بعضهم بالفعل فيها بالكلام والعمل وانا اورد هنا بعض الامثلة :

من ميدان المعركة   ١٦ تشرين الاول ١٩٤٤

اقبلي خالص عزائي للخسارة الفادحة التي اصابتك بوفاة زوجك . وان اسم الفيلد مارشال رومل سيرتبط للأبد بمعاركه العظيمة في شمال افريقيا.

آدولف هتلر

مقر قيادة الفوهرر   ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٤

ان وفاة زوجك البطل (نتيجة لجراحه) بعد ان كنا جميعاً نأمل في بقائه للشعب الالماني قد اثر للغاية . وانا ارسل لك يا عزيزتي السيدة رومل خالص عزائي القلبي عن نفسي وعن السلاح الجوي الالماني .

وأشاطرك الاحزان في صمت .

المخلص

مارشال الرايخ جورينج

١٧ تشرين الاول ١٩٤٤

عزيزتي السيدة رومل

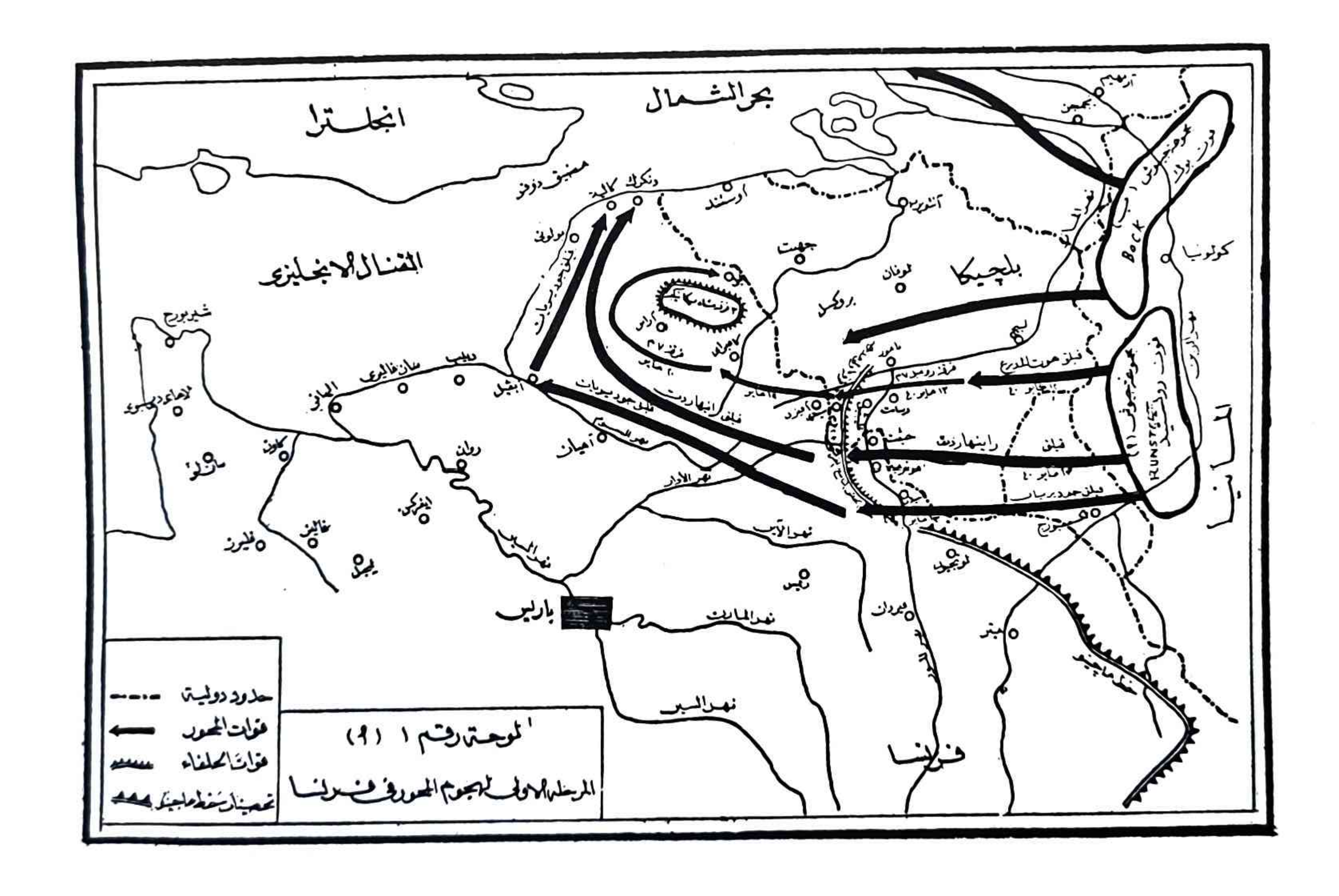
بمناسبة الخسارة المؤلمة التي نزلت بساحتك بوفاة زوجك ارسل لك ومعي زوجتي خالص عزائنا . ولقد فقد الجيش الالماني في شخص الفيلد مارشال رومل واحداً من انجح قادته وسيرتبط اسمه للابد بالصراع الذى دام عامين مع فيلق افريقيا . وارجو ان تتأكدى من مشاركتنا لك في احزانك .

عاش هتلر

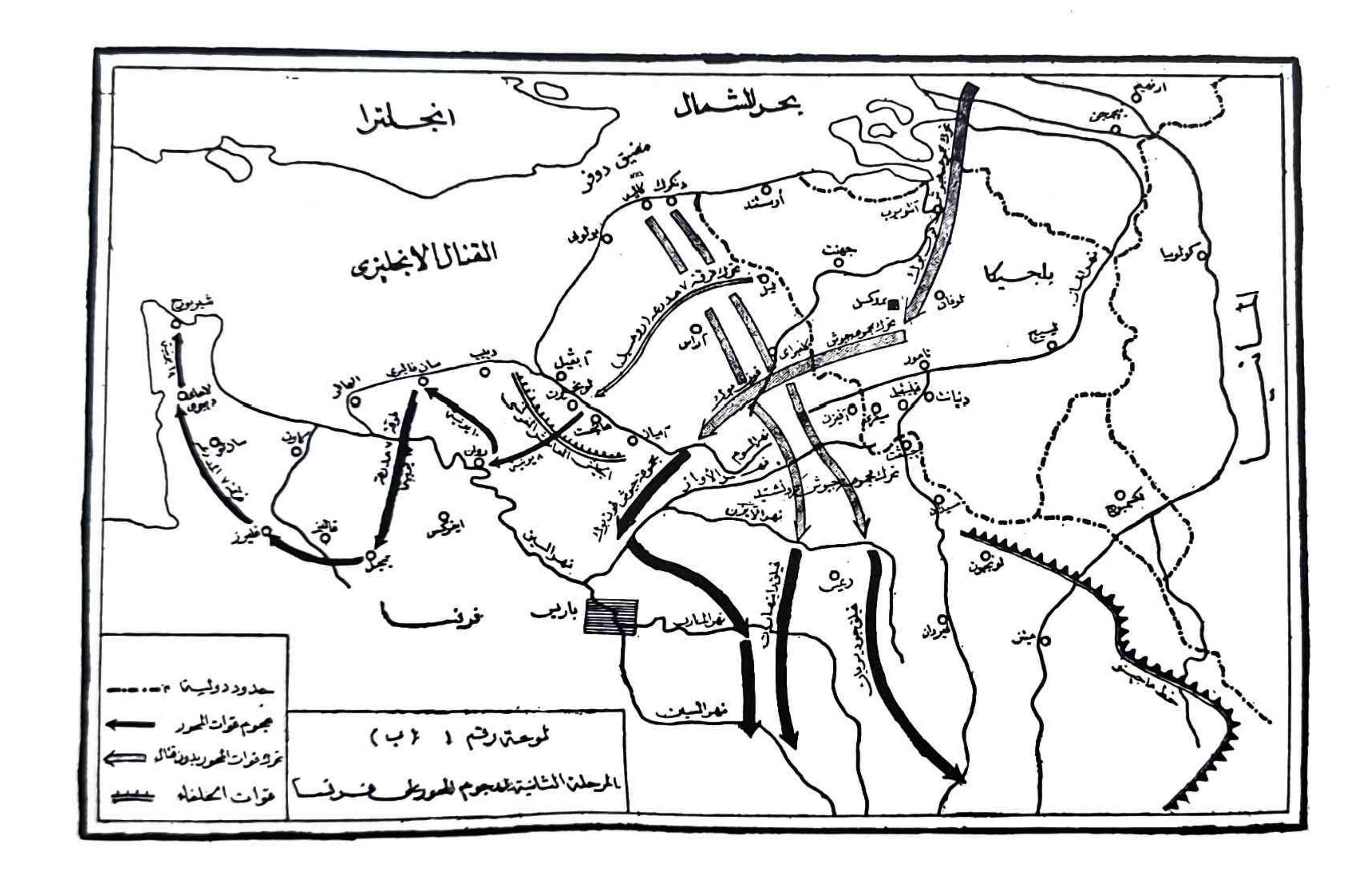
وزير الرايخ – الدكتور جوبلز وزوجته

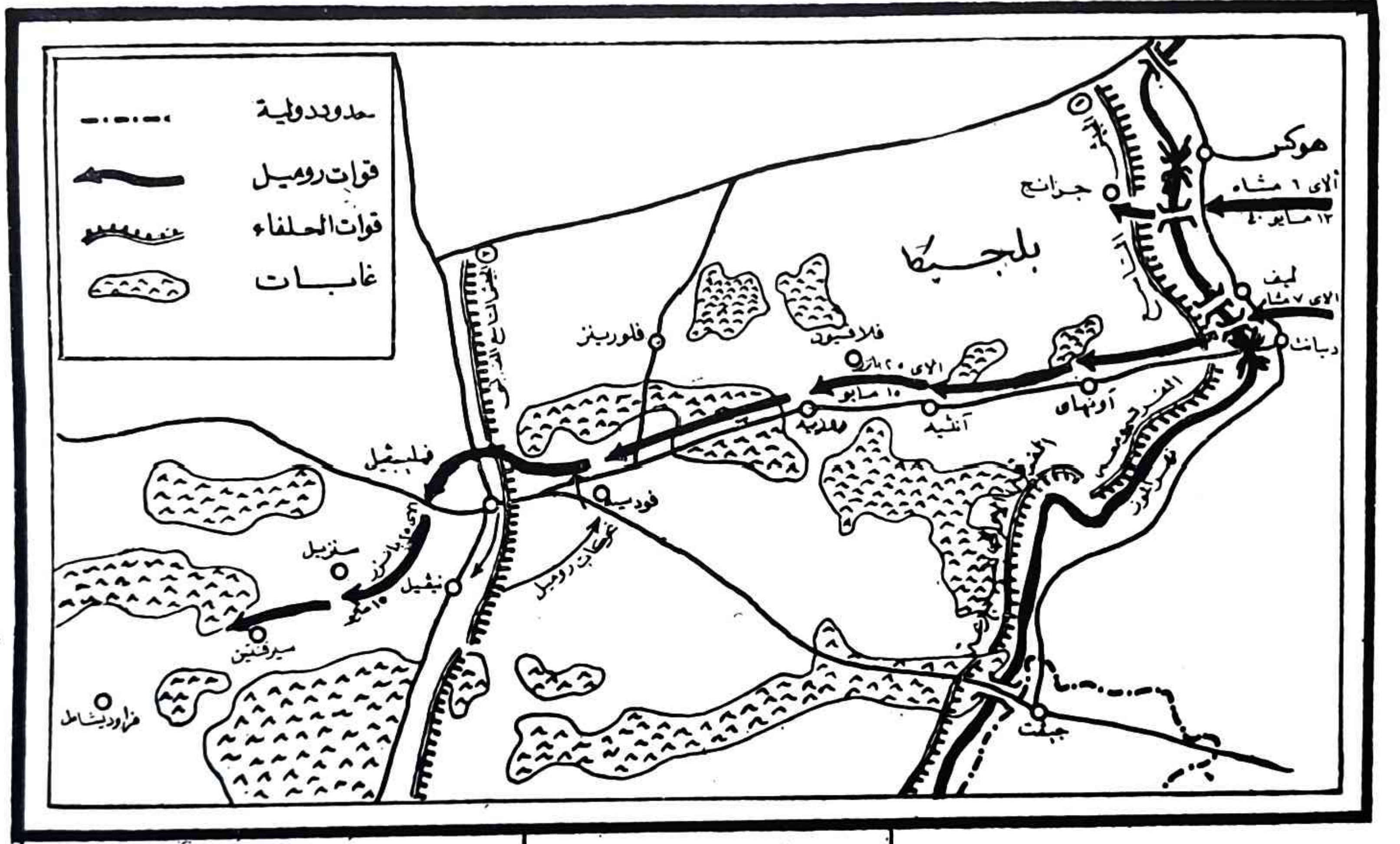
وبينما كان هؤلاء الرجال يحاولون بنفاقهم إخفاء حقيقة هذه المهزلة كان الآلاف من الجنود الالمان يموتون في الشمال والجنوب والشرق والغرب بأمل ضئيل ، ولكن كانوا يثقون ثقة كاملة في قياداتهم .

فهرست

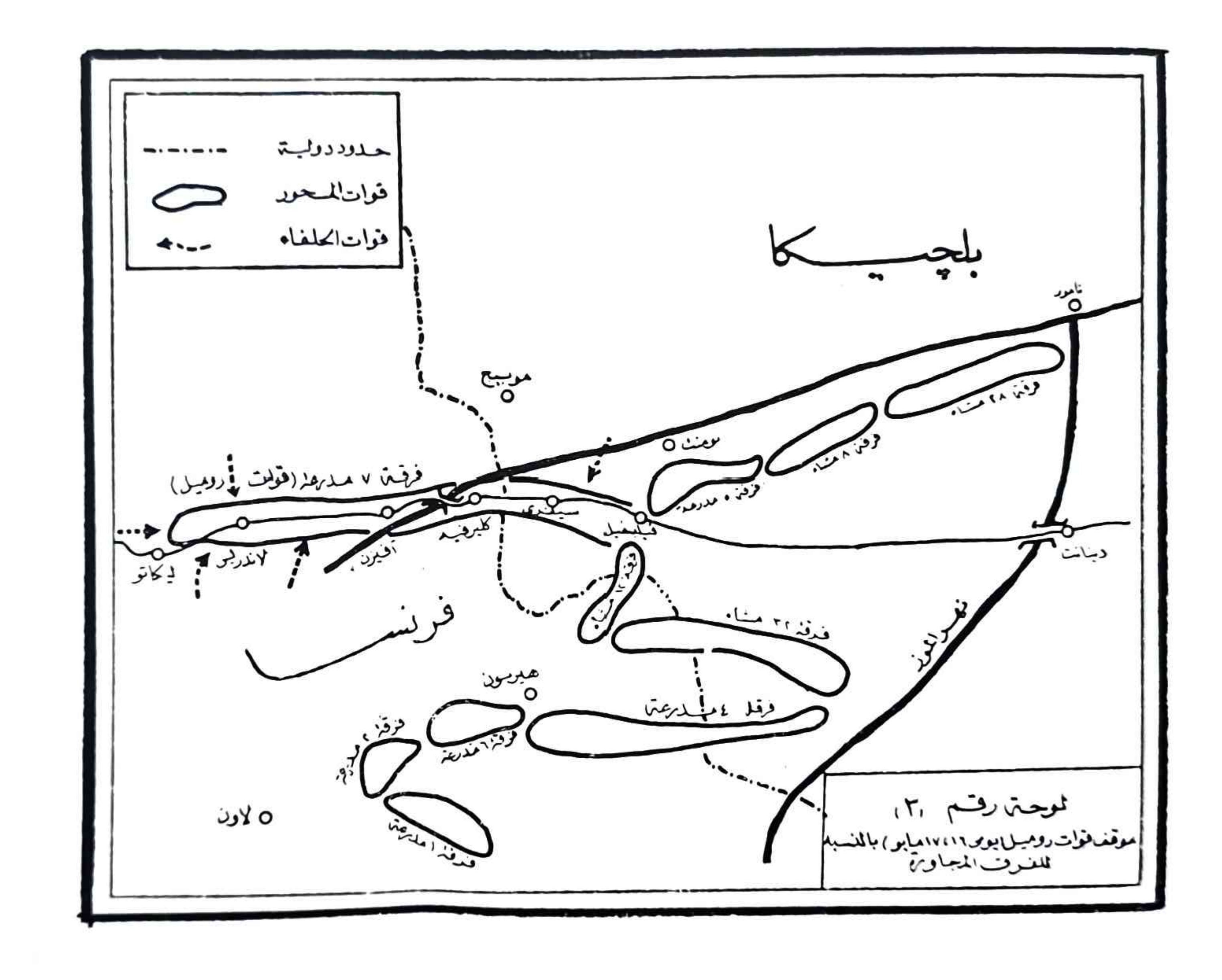


اللوحة رقم ١ (أ)
المرحلة الأولى لهجوم المحور في فرنسا

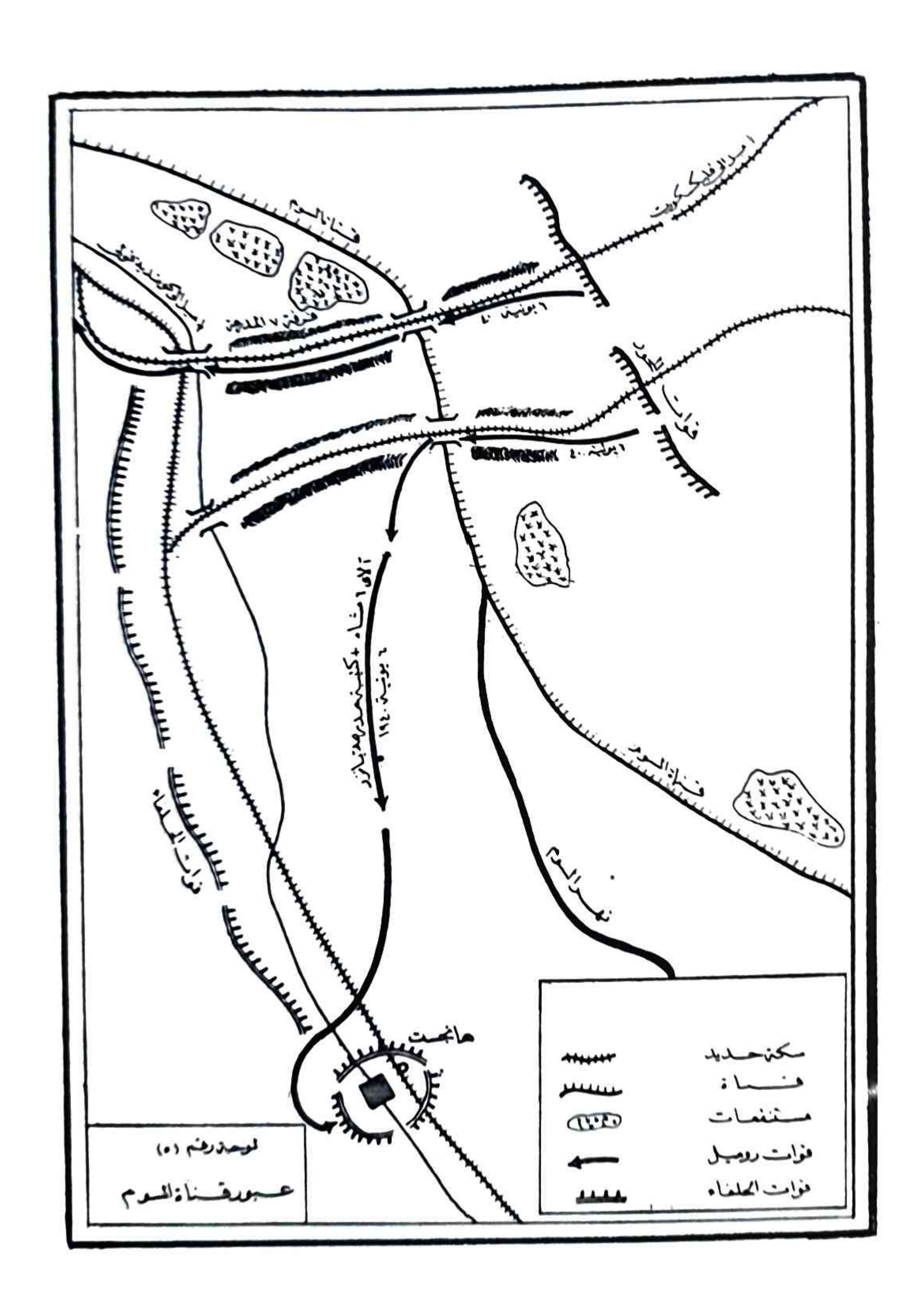

لوحة رقم ١ (ب)
المرحلة الثانية للهجوم الموحد على فرنسا
حدود دولية
هجوم قوات المحور
تقدم قوات المحور بدون قتال
قوات الحلفاء
انجلترا
بحر الشمال
القنال الانجليزى
مضيق دوفر
بلجيكا
فرنسا
المانيا
باريس
نهر السين
نهر المارن
بروكسل
شيربورج
بولونيا
اوستند
جنت
ليل
آراس
امبان
لوفان
لييج
نامور
دينانت
ريمس
فيردان
ميتز
كولونيا
نهر الراين
بلجونيا
بيان
لوكسمبورج

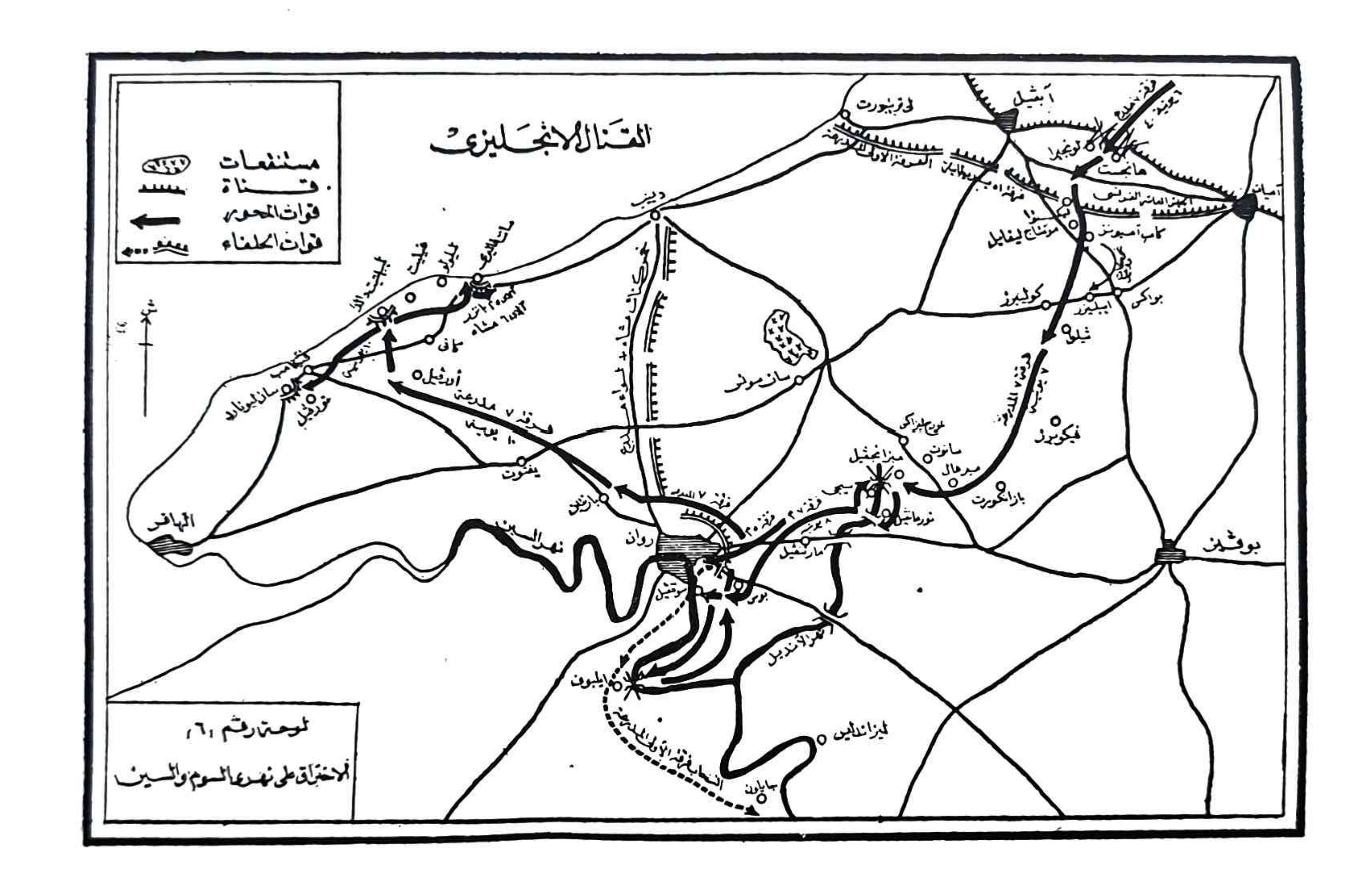


لوحة رقم (٢)
الاختراقات على نهر الموز

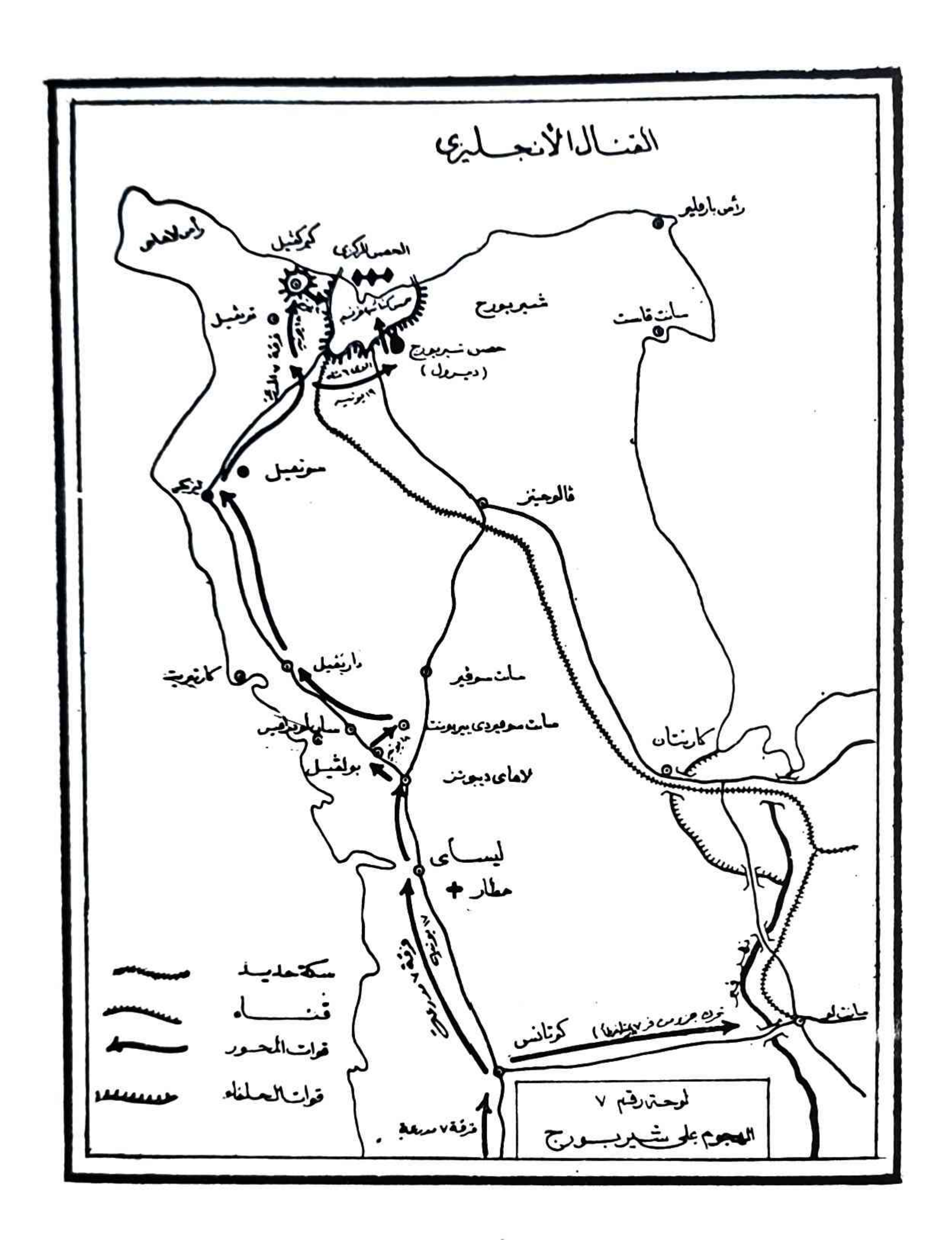


لوحة رقم (٣)
موقف قوات روميل يومي ١٦، ١٧ مايو) بالنسبة للفرق المجاورة

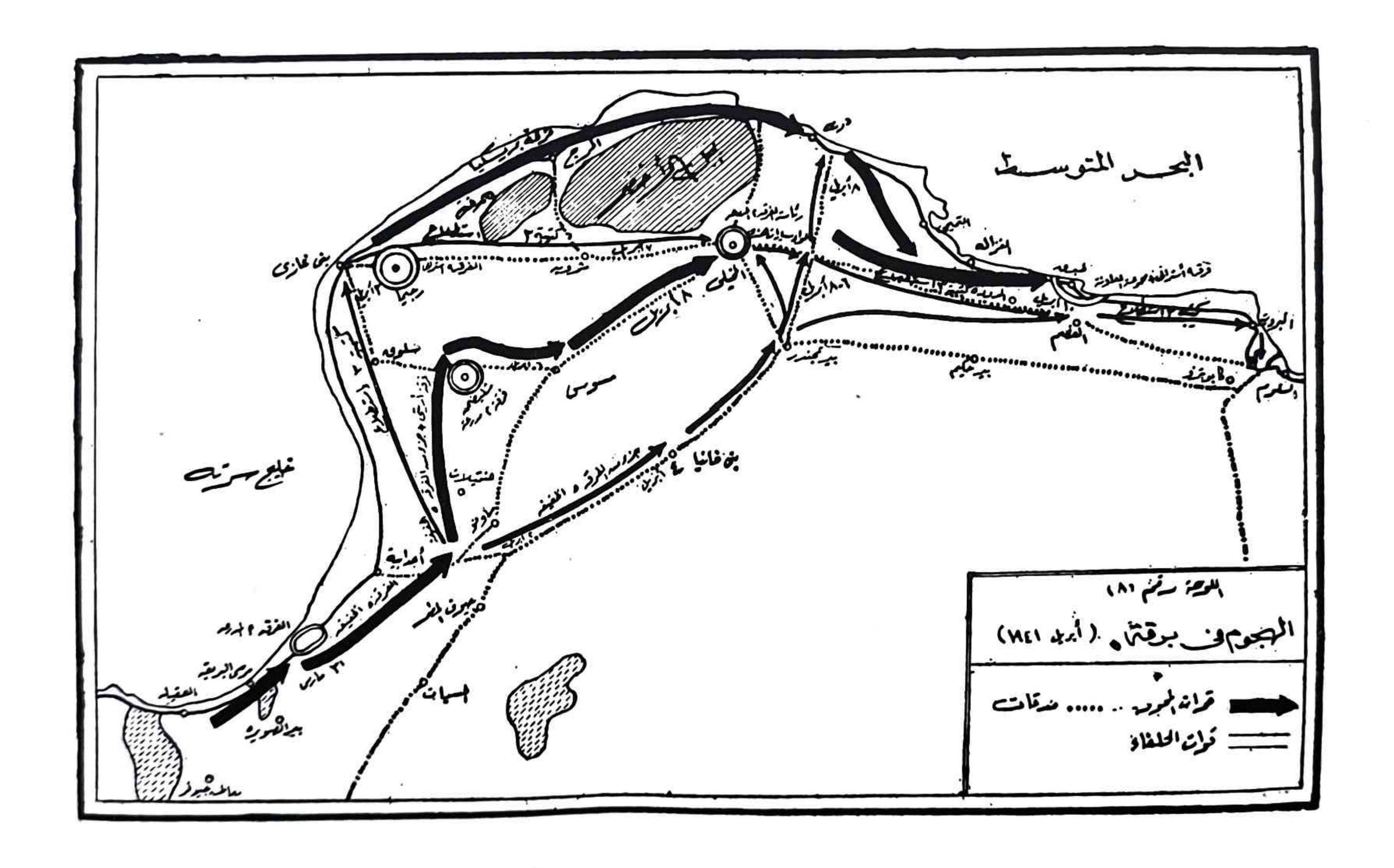

قناة السوم
قوات الحلفاء
قوات الحلفاء
قناة السوم
نهر السوم
هانجست
سكة حديد
قناة
مستنقعات
قوات روميل
قوات الحلفاء
لوحة رقم (٥)
عبور قناة السوم



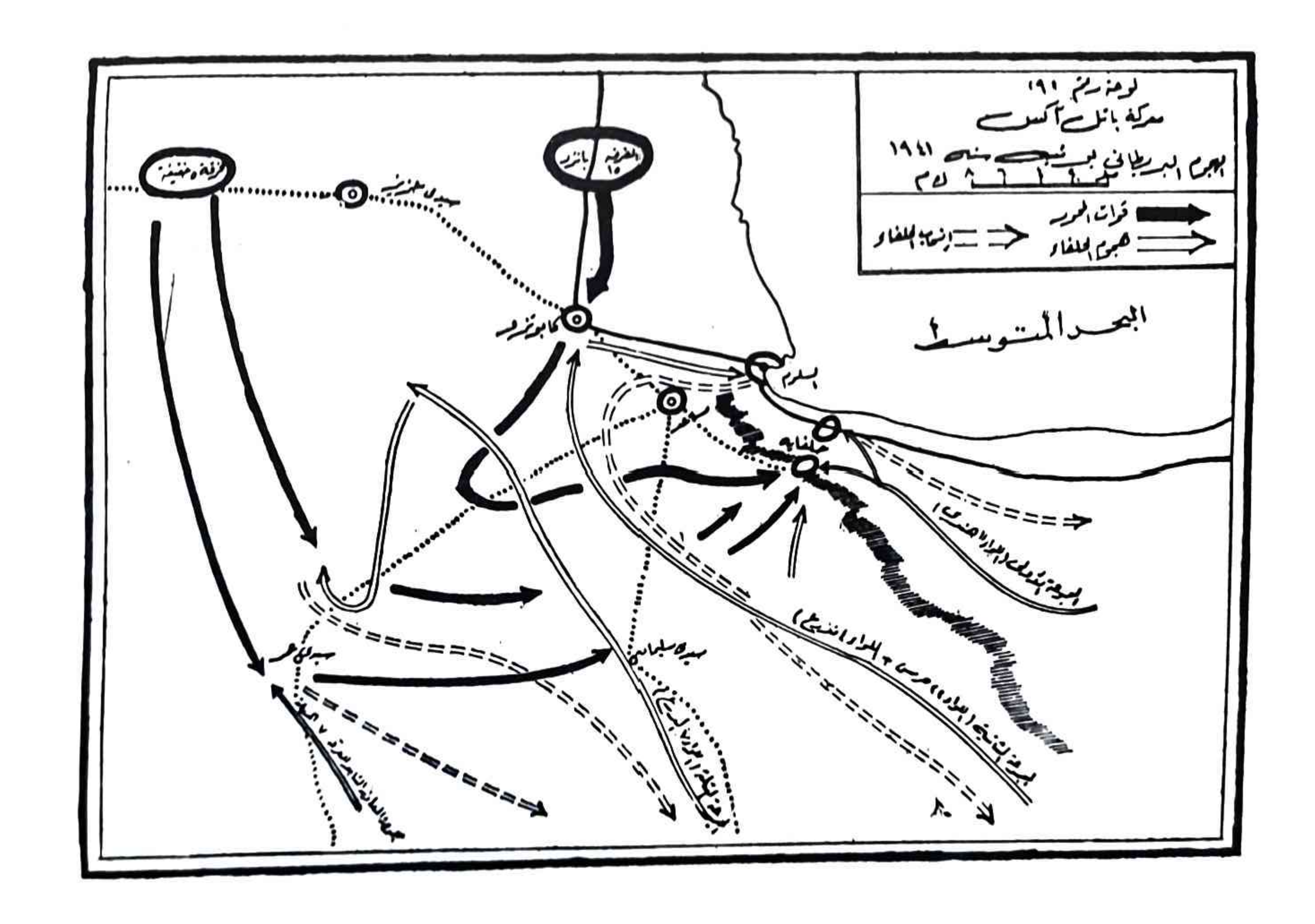
لوحة رقم (٦)
الاختراق على نهري السوم والسين

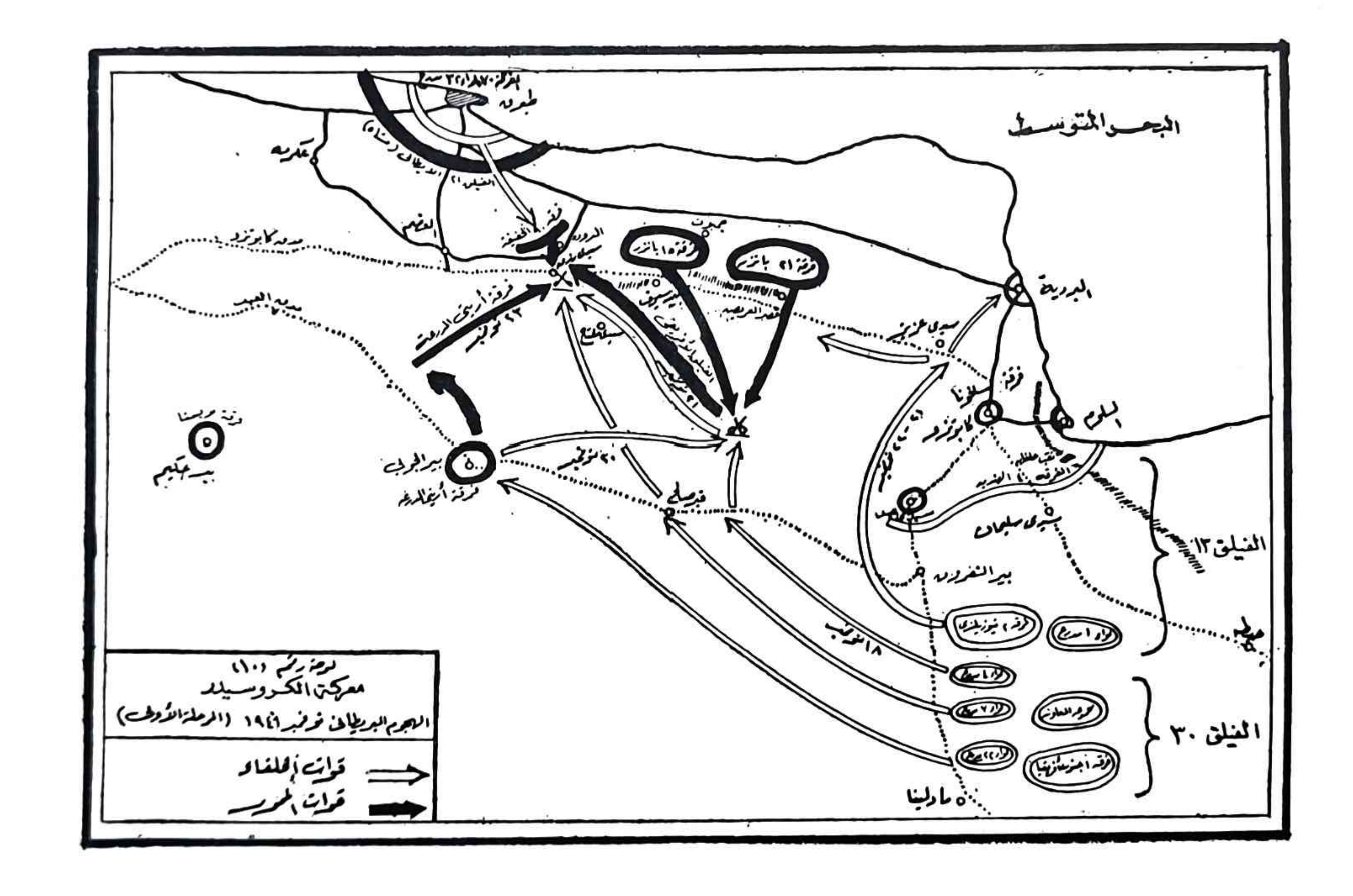


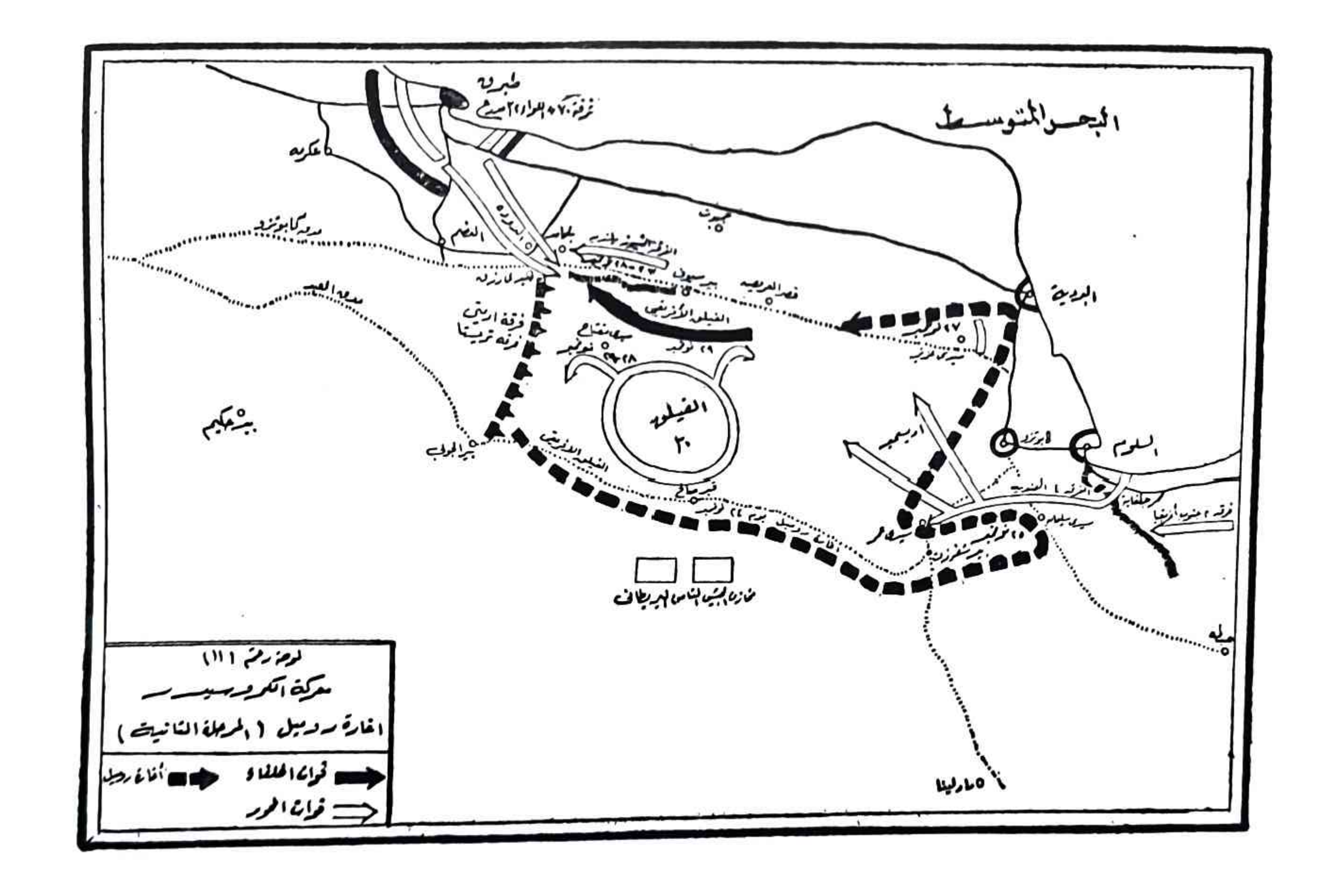
القنال الأنجليزي
رأس بارفلير
كركفيل
الحصن الكبير
شيربورج
سانت فاست
حصن شيربورج
(ديرول)
ڤالوجنز
سانت سوفير
سانت سوفيردى بيرفونت
لاهاى ديبونت
بولڤيل
دارنڤيل
ليساى
مطار
كارنتان
كرتانس
سكة حديد
قناة
قوات المحور
قوات الحلفاء
لوحة رقم ٧
الهجوم على شيربورج



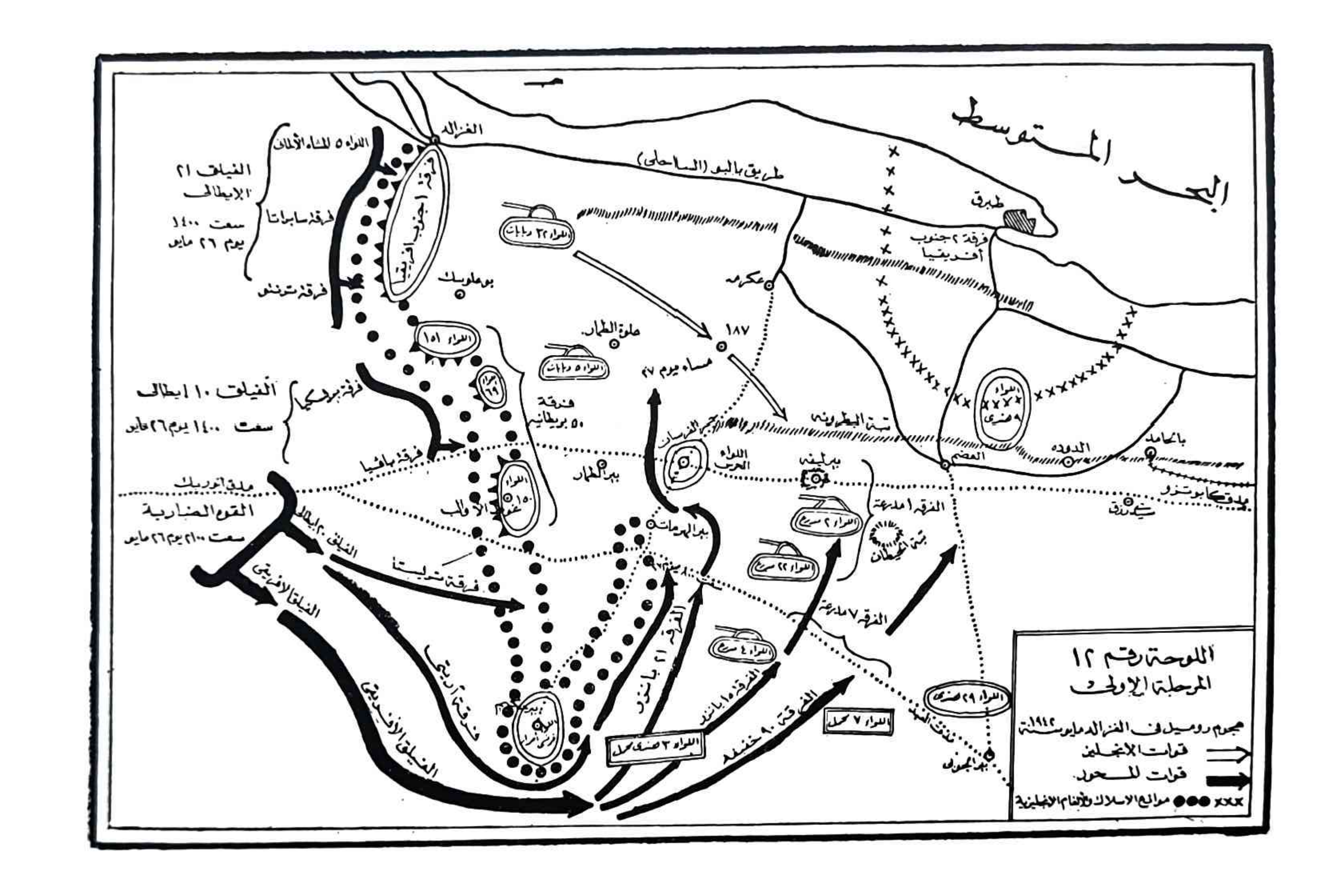
اللوحة رقم (٨١)
الهجوم في برقة. (أبريل ١٩٤١)
قوات المحور ...... مدقات
قوات الحلفاء
البحر المتوسط
خليج سرت
بنغازي
درنة
الجبل الأخضر
المخيلي
طبرق
البردية
السلوم
أجدابيا
العقيلة
مرسى البريقة
مسوس
بير حكيم
العدم


لوحة رقم ١٩١
معركة باتل آكس
الهجوم البريطاني في يونيه ١٩٤١
كم
قوات المحور
هجوم الحلفاء
إنسحاب الحلفاء
البحر المتوسط
السلوم
كابوتزو
حلفايا
الفرقة ١٥ بانزر
بئر سليمان

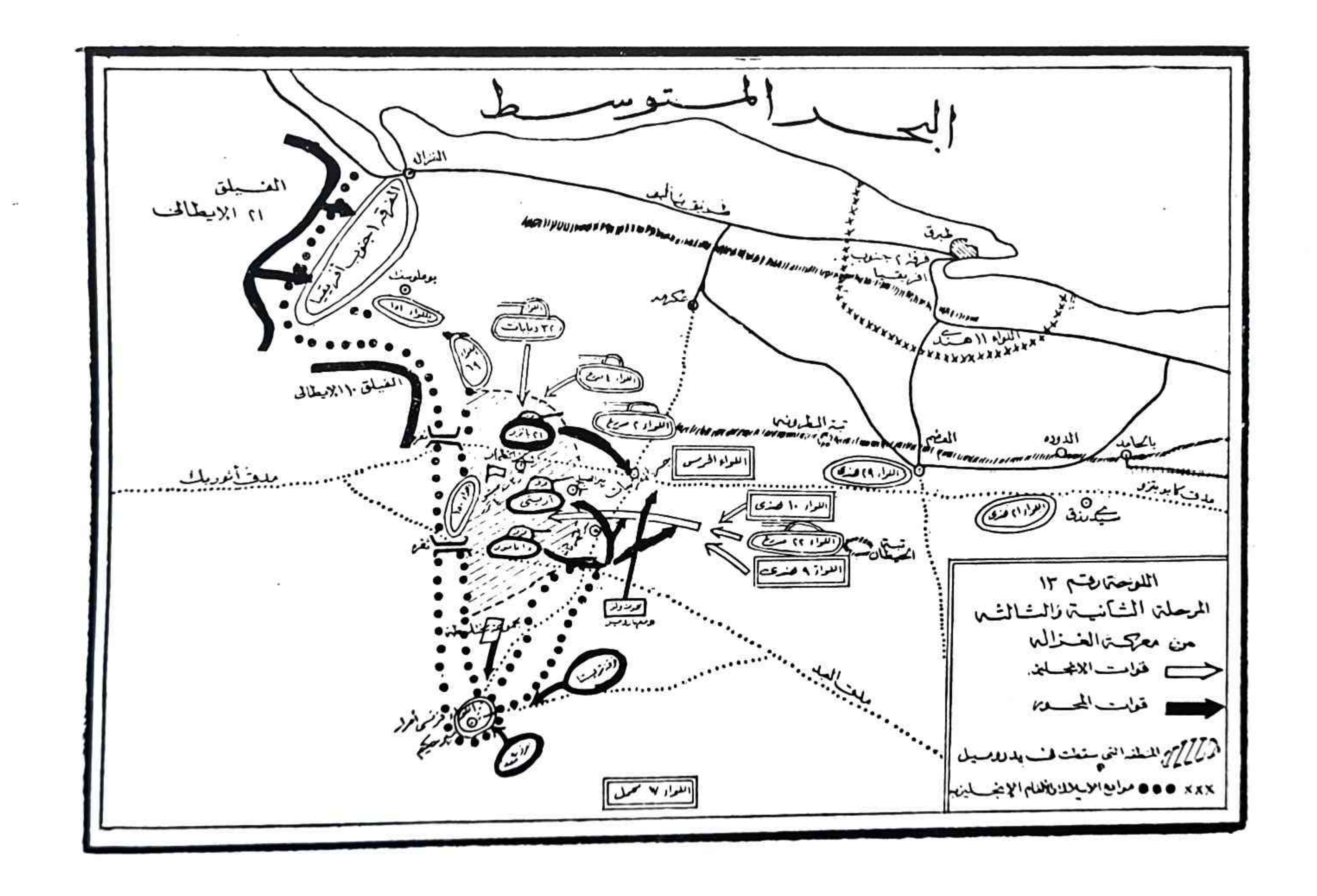

لوحة رقم (١٠)
معركة الكروسيدر
الهجوم البريطاني نوفمبر ١٩٤١ (المرحلة الأولى)
قوات الحلفاء
قوات المحور
البحر المتوسط
طبرق
عكرمة
العضم
جمبوت
البردية
السلوم
كابوتزو
سيدي عزيز
بير الجوبي
بير حكيم
فرقة ١٥ بانزر
فرقة ٢١ بانزر
٢٠ نوفمبر
٢٢ نوفمبر
١٨ نوفمبر
الفيلق ١٣
الفيلق ٣٠
مادلينا



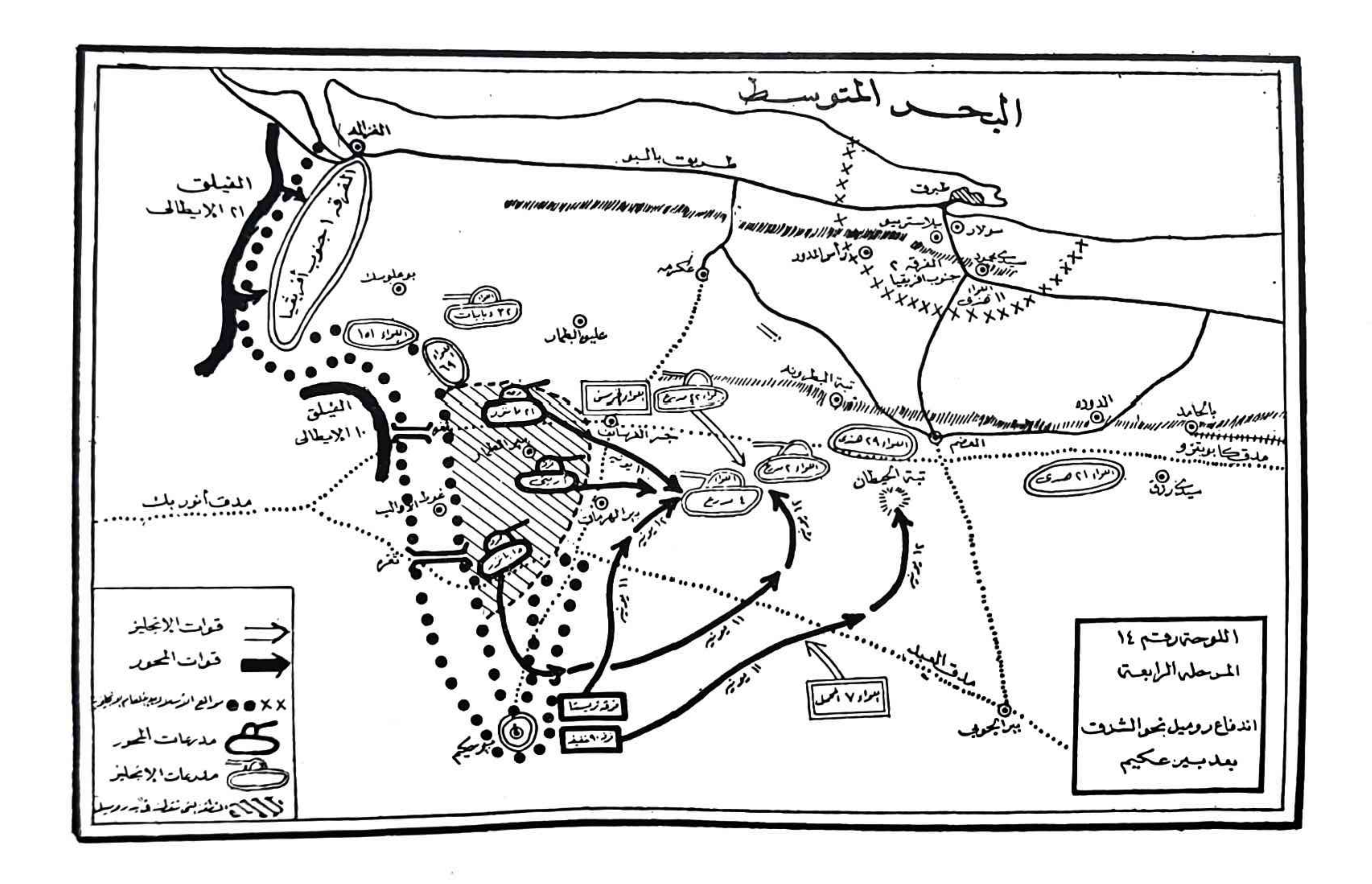
لوحة رقم (١١)
معركة الكروسيدر
اغارة روميل (المرحلة الثانية)
قوات الحلفاء
اغارة روميل
قوات المحور
البحر المتوسط
طبرق
عكرمة
البردية
السلوم
بئر حكيم
بئر الجوبي
الفيلق ٣٠
سيدي رزق
ماداليتا
مخازن الجيش الثامن البريطاني

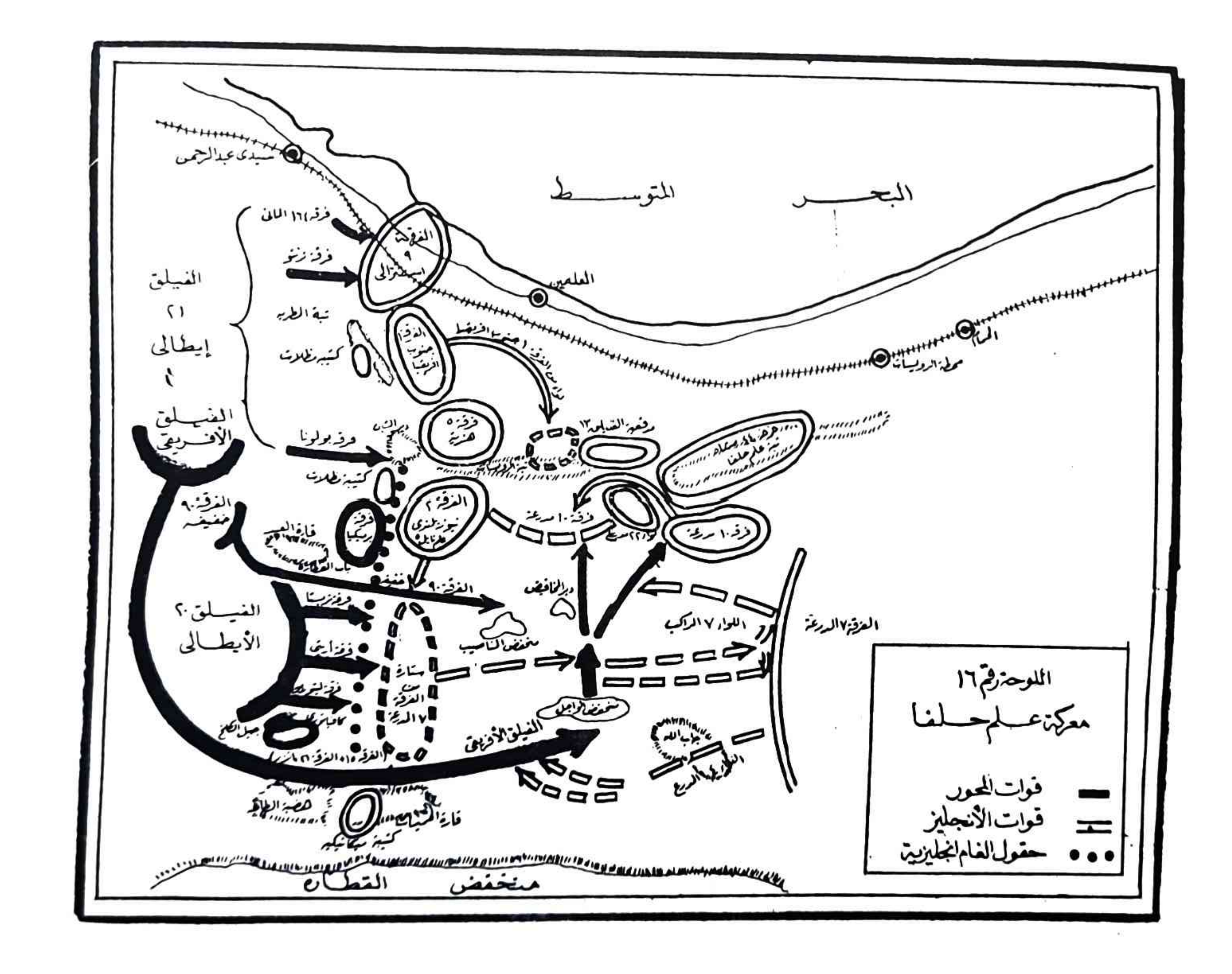


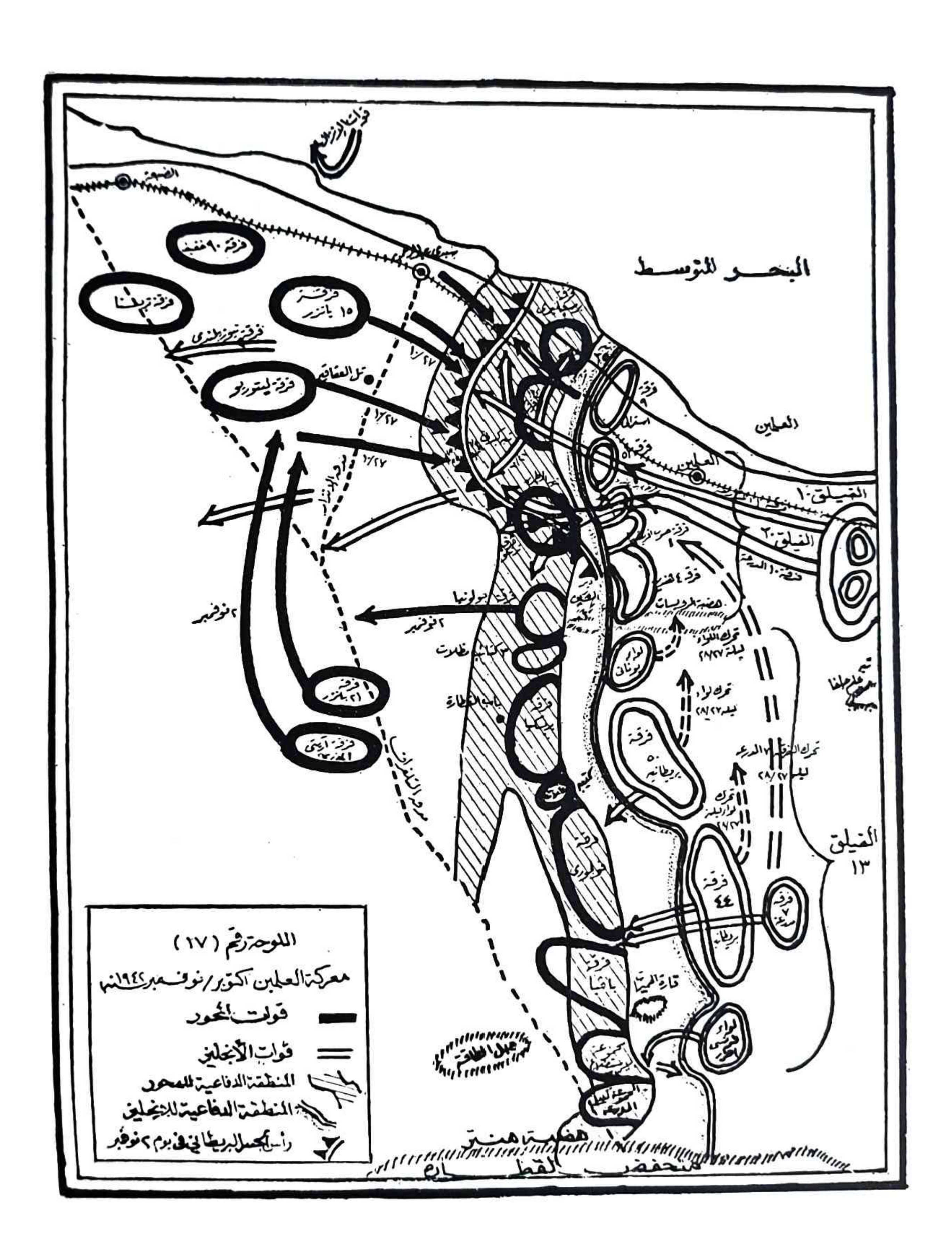
اللوحة رقم ١٢
المرحلة الأولى
هجوم روميل في الغزالة مايو سنة ١٩٤٢
قوات الانجليز
قوات المحور
مواقع الاسلاك والألغام الانجليزية
البحر المتوسط
طبرق
الغزالة
طريق بالبو (الساحلي)
فرقة ٢ جنوب أفريقيا
فرقة ١ جنوب أفريقيا
الفيلق ٢١ الإيطالي
سفت ١٤٠٠ يوم ٢٦ مايو
فرقة سابراتا
فرقة ترنتو
الفيلق ١٠ ايطالي
سفت ١٤٠٠ يوم ٢٦ مايو
فرقة بريشيا
فرقة بافيا
القوة الضاربة
سفت ٢١٠٠ يوم ٢٦ مايو
الفيلق الأفريقي
فرقة تريستا
فرقة أريتي
الفرقة ٢١ بانزر
الفرقة ١٥ بانزر
الفرقة ٩٠ خفيفة
الفرقة ٧ مدرعة
الفرقة ١ مدرعة
فرقة ٥٠ بريطانية
اللواء ١٥١
اللواء ٦٩
اللواء ١٥٠
اللواء ٣٢ دبابات
اللواء ١ دبابات
اللواء الحرس
اللواء ٢ مدرع
اللواء ٢٢ مدرع
اللواء ٤ مدرع
اللواء ٣ هندي محمل
اللواء ٧ محمل
اللواء ٢٩ هندي
بوعلوبك
علوة الطبار
بير الطمار
بير الحرمات
بير حكيم
بير الحيفة
عكرمة
١٨٧
مساء يوم ٢٧
العضم
الدوده
بالحامد
سيدي رزق
بير الجوبي
ملتقى أوتوبيك
ملتقى كابوتزو
مرتفع البطرونة
بترة الحمدان



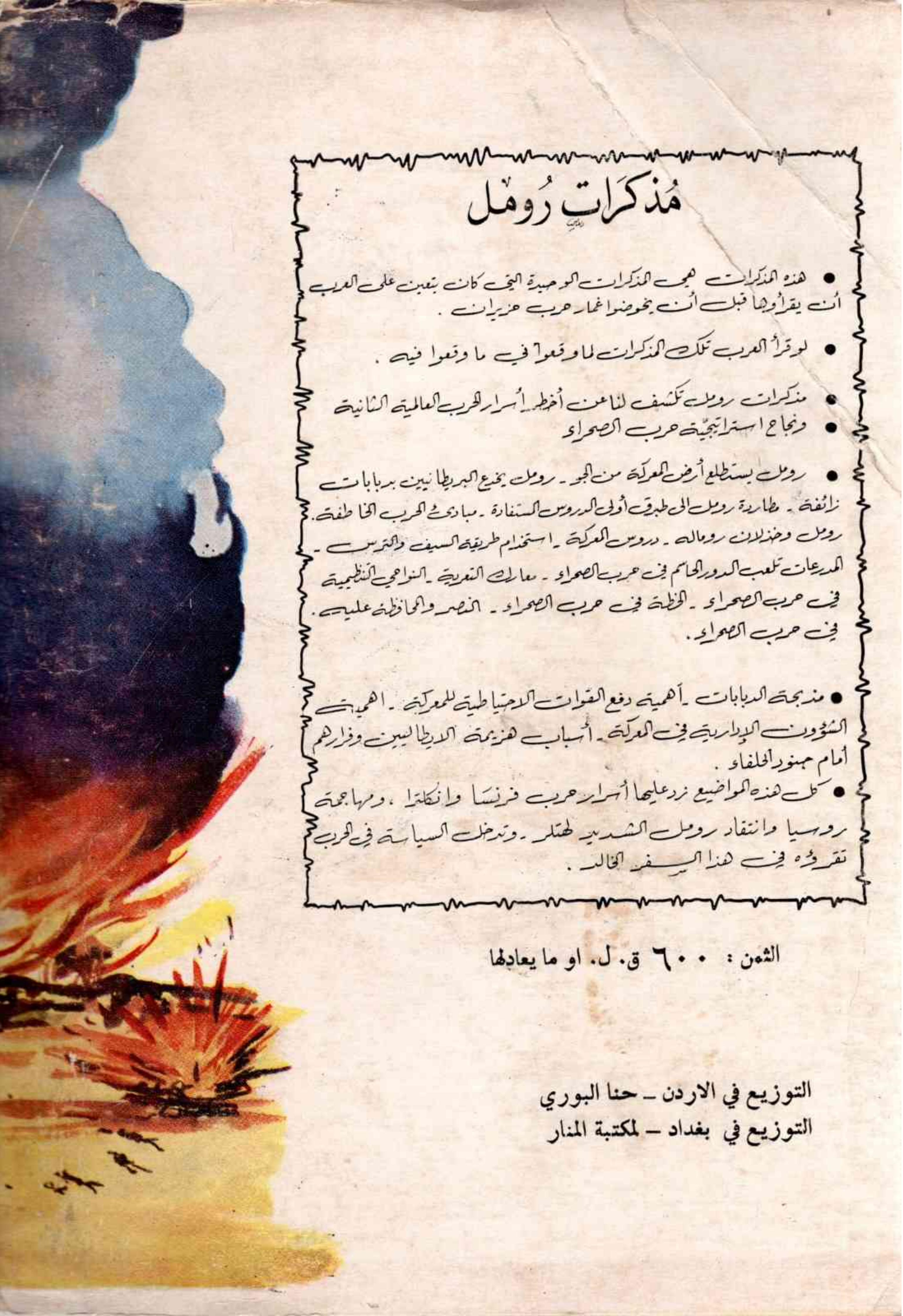
البحر المتوسط
الغزالة
طبرق
عكرمة
بير الحاكم
الفيلق ٢١ الايطالى
الفيلق ١٠ الايطالى
الفرقة ١ جنوب أفريقيا
اللواء ١١ هندى
اللواء الحرس
اللواء ١٠ هندى
اللواء ٩ هندى
اللواء ٧ محمل
اللوحة رقم ١٣
المرحلة الثانية والثالثة
من معركة الغزالة
قوات الانجليز
قوات المحور


البحر المتوسط
الغزالة
طبرق
سولاد
عكرمة
بوعلوس
علم الحمار
الدودة
بالحامد
تبة البطونة
جسر القبابين
المضم
تبة الحيطان
الفيلق
٢١ الايطالي
الفيلق
١٠ الايطالي
الفرقة ١ جنوب أفريقيا
الفرقة ٢ جنوب افريقيا
مدق أنور بك
مدق كابوتزو
مدق العبد
بير الجبوب
بير حكيم
فرقة تريستا
فرقة ٩٠ خفيفة
اللواء ٧ المحمول
قوات الإنجليز
قوات المحور
مدرعات المحور
مدرعات الإنجليز
اللوحة رقم ١٤
المرحلة الرابعة
اندفاع روميل نحو الشرق
بعد بير حكيم


اللوحة رقم ١٦
معركة علم حلفا
قوات المحور
قوات الأنجليز
حقول الغام انجليزية
البحر المتوسط
سيدى عبد الرحمن
العلمين
الحمام
محطة الرويسات
فرقة ١٦٤ ألمانى
فرقة ترنتو
الفيلق ٢١ إيطالى
الفيلق الأفريقى
فرقة بولونا
الفرقة ٩٠ خفيفة
الفيلق ٢٠ الأيطالى
فرقة أريتي
فرقة ليتوريو
دير المنافض
منخفض الراجيل
منخفض الناصب
الفيلق الأفريقى
اللواء ٧ الراكب
الفرقة ٧ المدرعة
فرقة ١٠ مدرعة
منخفض القطارة



البحر المتوسط
العلمين
الفيلق ١٠
الفيلق ٣٠
الفيلق ١٣
فرقة ٩٠ خفيفة
فرقة ترينتا
فرقة ١٥ بانزر
فرقة ليتوريو
فرقة ٢١ بانزر
فرقة ٥٠ بريطانية
فرقة ٤٤ بريطانية
تل العقاقير
هضبة همنت
منخفض القطارة
اللوحة رقم (١٧)
معركة العلمين اكتوبر/نوفمبر ١٩٤٢م
قوات المحور
قوات الأنجليز
المنطقة الدفاعية للمحور
المنطقة الدفاعية للانجليز
رأس الجسر البريطاني في يوم ٢ نوفمبر


مذكرات روميل
• هذه المذكرات هي المذكرات الوحيدة التي كان يتعين على العرب أن يقرأوها قبل أن يخوضوا غمار حرب حزيران .
• لو قرأ العرب تلك المذكرات لما وقعوا في ما وقعوا فيه .
• مذكرات روميل تكشف لنا عن أخطر أسرار الحرب العالمية الثانية
• ونجاح استراتيجية حرب الصحراء
• روميل يستطلع أرض المعركة من الجو . روميل يخدع البريطانيين بدبابات زائفة . طاردة روميل الى طبرق أولى الدروس المستفادة . مبادىء الحرب الخاطفة. روميل وخذلان رجاله . دروس المعركة . استخدام طريقة السيف والترس . المدرعات تلعب الدور الحاسم في حرب الصحراء . معارك التعرية . النواحي التنظيمية في حرب الصحراء . الخطة في حرب الصحراء . النصر والمحافظة عليه . في حرب الصحراء .
• مذبحة الدبابات . أهمية دفع القوات الاحتياطية للمعركة . اهمية الشؤون الإدارية في المعركة . أسباب هزيمة الايطاليين وفرارهم أمام جنود الحلفاء .
• كل هذه المواضيع زد عليها أسرار حرب فرنسا وانكلترا ، ومهاجمة روسيا وانتقاد روميل الشديد لهتلر . وتدخل السياسة في الحرب تقرؤه في هذا السفر الخالد .
الثمن : ٦٠٠ ق. ل. او ما يعادلها
التوزيع في الاردن ـ حنا البوري
التوزيع في بغداد ـ لمكتبة المنار